



التربية والتعليم فى دولة البطالمة (323 – 31 ق. م)

قدمت من قبل :

نجاه جيدالله إبراهيم العبيدى

تحت إشراف :

د. عبدالسلام محمد شلوف

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير فى التاريخ القديم

جامعة بنغازى

كلية الآداب

يناير 2018

Copyright © 2017. All rights reserved, no part of this thesis may be reproduced in any form, electronic or mechanical, including photocopy , recording scanning , or any information , without the permission in writing from the author or the directorate of graduate studies and training of Benghazi university . .

حقوق الطبع 2018 محفوظة . لا يسمح اخذ أى معلومة من أى جزء من هذه الرسالة على هيئة نسخة إلكترونية أو ميكانيكية بطريقة التسجيل أو التصوير أو المسح من دون الحصول على إذن كتابى من المؤلف أو إدارة الدراسات العليا والتدريب جامعة بنغازى .



اسم الطالبة : نجاته جلاله إبراهيم العبيدى

اسم الكلية : كلية الآداب / قسم التاريخ

عنوان الرسالة : التريية والتعليم فى دولة البطالمة (323 - 31 ق.م)

تاريخ الإجازة : 2018 /01/06 م

التوقيع

أعضاء لجنة المناقشة

الدكتور عبدالسلام محمد شلوف (المشرف) ، رئيساً

الصفة والتخصص : أستاذ تاريخ قديم

الدكتور كمال سالم رزيق (ممتحناً داخلياً) ، عضواً

الصفة والتخصص : أستاذ تاريخ قديم

الدكتور سعد صالح الدلال (ممتحناً خارجياً) ، عضواً

الصفة والتخصص : أستاذ تاريخ قديم

مدير إدارة الدراسات العليا والتدريب بالجامعة

يعتمد عميد الكلية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُّهُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ }

صدق الله العظيم

الإهداء

إلى والدى ووالدتى عرفاناً بـعطائهم
إلى أرواح رحلت من وطنى بـرقة وفاءً
إلى أساتذتى الأفاضل تقديراً .

أهدى هذا الجهد

نـجاة جادالله

شكر وتقدير

أشكر الله سبحانه وتعالى الذى أرشدنى ووفقنى وسدد خطاى، وأتوجه بالشكر لكل أساتذتى بوحدتى بحوث التاريخ والآثار بجامعة بنغازى، وأخص بالذكر أستاذى المشرف على الرسالة الدكتور عبدالسلام محمد شلوف، الذى قام بتزويدى بمجموعة كتب قيمة من مكتبته الخاصة، استفدت منها فى دراستى، كما أود أن أشكر الأستاذ الدكتور عطية مخزوم الفيتورى لقيامه بمراجعة وتقييم هذه الدراسة منهجياً، فلهؤلاء الأساتذة الأفاضل كل التقدير، ولكل من ساعدنى ولو بكلمة تشجيع خالص الشكر والعرفان .

فهرست

| الصفحة | الموضوع |
|--------|--|
| ب | حقوق الطبع |
| ج | قرار لجنة المناقشة |
| د | الإهداء |
| هـ | شكر وتقدير |
| و | فهرس المحتويات |
| ز | الخلاصة |
| 1 | المقدمة |
| 13 | تمهيد |
| 31 | الفصل الأول: العوامل التى أثرت على التربية والتعليم فى دولة البطالمة |
| 64 | الفصل الثانى: التعليم البطلمى |
| 107 | الفصل الثالث: مراحل التعليم البطلمى |
| 164 | الفصل الرابع: مؤسسات التعليم البطلمى |
| 206 | الخاتمة |
| 221 | قائمة المصادر والمراجع |
| 234 | الخلاصة باللغة الأنجليزية |

التربية والتعليم فى دولة البطالمة (323 - 31 ق. م)

إعداد

نجاه جيدالله إبراهيم العبيدى

المشرف

عبدالسلام محمد شلوف

الملخص

إن التعليم فى دولة البطالمة، الذى شهد انتشاراً وتنوعاً كبيراً، بقدر ما أخذ الطابع والشكل الإغريقي القديم، بقدر ما كانت له هويته وخصوصيته الحضارية، وإن هذه النهضة التعليمية البطلمية غالباً ما ظلت تعكس نهضة علمية وطيدة ومميزة ، وقد تبنت المؤسسات التعليمية التى جأت بعدهم الكثير من طرق وأساليب وسمات هذا التعليم البطلمى الإغريقي، فلم يعد العلم من بعدهم غاية مثلما كان التعليم الإغريقي القديم، وإنما وسيلة تصل بالمجتمع إلى أعلى المستويات وتخدمه وتحقق مصالحه، وتعد أفراده للحياة والعمل الإعداد المطلوب، وصار التركيز على التدريب والإعداد للحياة العملية، ومن هنا جأت الأهمية والقيمة إلى معرفة شكل ووسائل وأساليب ونظم هذا التعليم والتدريب، حيث جمعت الدراسة قدر كبير من المعلومات والبيانات المدونة عن الحياة التعليمية فى تلك الحقبة التاريخية الحضارية، فتناولت النظم والمراحل والمؤسسات التعليمية البطلمية التى ظهرت وانتشرت وتطورت فى تلك الفترة، وخاصةً المدارس والمعاهد والمكتبات الكبرى، فهذه المؤسسات اعطت وقدمت إضافات مهمة فى المجال التعليمى عندما نشرت ورسخت إلى حد كبير أساليب البحث والعلم الطبيعى، وفرضت الأتجاه العلمى التجريبي على الدراسات النظرية .

مقدمة

إن عهد دولة البطالمة من العهود المهمة فى التاريخ الإنسانى، وهو المعروف بالهيلينىستى الذى يتصل بكل ما هو إغريقى وشرقى، وكان وظل له تميزه واستمراره الحضارى، ولاينتهى تأثيره بنهاية دولتهم، بل بقيت سماته ومعالمه إلى مابعد العهد الرومانى بزمان طويل، وهذه الدراسة موضوع الرسالة رؤية تاريخية وحضارية عن التربية والتعليم فى المملكة التى شكلت ثقلاً وحيزاً كبيراً من ذلك التاريخ، حيث تتناول بشئ من التفصيل والتبسيط الأسس والأشكال التعليمية التى سادت فى الدولة البطلمية الهيلينىستية، وتحديداً فى الفترة من سنة 323 - 31 ق.م. فهى محاولة لترتيب وجمع وتحليل أكبر قدر ممكن من المعلومات والبيانات المدونة عن الحياة التعليمية فى تلك الحقبة التاريخية، وربما تكتسب قيمتها فى كونها محاولة للإلمام بالجوانب المختلفة للتعليم البطلمى من خلال منظور تاريخى وحضارى فى ذات الوقت، فتعرض أولاً كمدخل لذلك العصر وللجوانب السياسية والإقتصادية والاجتماعية التى شكلت معاً البوتقة والخلفية والبنية التاريخية والحضارية للدول الهيلينىستية، فلا يمكن الفصل بين البناء السياسى والحضارى؛ شكل ونظام الحكم فى أية دولة، وواقعها الأمنى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى، فهذه السمات والملاحم كافية لتعطى صورة قريبة وكلية عن الظروف والمعطيات والبيئة والعناصر والأفكار التى اسهمت جميعها فى تشكيل وصياغة مكوناتها الحضارية، فهى جزء لا يتجزأ من حضارة عميقة الجذور والامتداد، حتى وإن بدت مختلفة ومتميزة عن ماضيها البعيد، فمن البديهي تحليل الواقع التاريخى والجغرافى لكيان البطالمة، لاستيعاب البعد السياسى والأساس الثقافى الحضارى الذى تكونت عليه تلك الدولة، متمثلاً فى الإرث الإغريقى العريق؛ الفكر والعلوم والآداب والفنون، التى تعتبر أعمدة الحضارة، وتبين وتعطى صوراً صادقة عن النهضة التعليمية؛ أهم ما بُنيت عليه أسس نهضتهم الحضارية، ليست الإغريقية الهيلينىستية فحسب، وإنما حضارة البشرية إلى اليوم .

إن الأساس التعليمى البطلمى كان انعكاساً للجوانب الحضارية المختلفة فى دولة البطالمة، كما يرتبط وينتمى للعصر الهيلينىستى الذى ظلت الحياة الثقافية والاجتماعية فيه نشيطة إلى حد كبير حتى آخره، والاصطدام بالظروف والمتغيرات السياسية والدينية فى النهاية، فلا يمكن لأية دراسة تاريخية وحضارية أن تتجاوز التأثيرات العميقة لهذا العهد الذى برزت فيه الدول الكبيرة برؤاها وامكاناتها، وحيث ظل يمثل ويعبر

فى جانب عن مرحلة إنتقالية، وفى جانب آخر عن التنافس الحضارى بين الثقافات؛ الثقافة الإغريقية التى نهضت من جديد فى البلاد الشرقية بشكل وسمات خليط أختلفت عن جذورها الأصلية، وفى هذا ما يدل على أن الحضارات الإنسانية تحيا حيثما تتوافر الظروف والمقومات، ولا ترتبط بمكان وزمان إلا بتوافر معطياته الحضارية، وهذا ما يكسبها بُعدها الإنسانى العام .

إن غالبية المؤرخين يرون أن العصر الهيلينيسى الذى برزت فيه المملكة البطلمية من المراحل الإنتقالية التاريخية الكبرى، وهذا الرأى تبناه من يتخذون من الأوضاع السياسية والتطور الاجتماعى مؤشراً للتغيير وللتقدم فى النواحى الحضارية عامةً، وأيضاً من يهتمون بالنواحى التعليمية والثقافية خاصةً، لما شهدته الفترة من تقدم تعليمى وعلمى ورقى حضارى، فإنهم توافقوا جميعاً على أن العصر البطلمى كان عصرًا مميزاً فى كل شئ، بطابعه وسماته ونزعته الطبيعية والإنسانية، وتوجهه نحو إحياء الإرث الإغريقى الكلاسيكى، إذ بعد أن شهدت القرون السادس والخامس والرابع ازدهار ونهضة الآداب ومدارس الفنون والفلسفة الإغريقية، شهدت القرون الثلاثة التالية لها، نهضة التعليم ككل، وانتشار مدارس الطب والهندسة والعلوم الطبيعية والتجريبية خاصةً .

فى القرون الثالث والثانى والأول ق.م. وهى الحقبة الزمنية البطلمية، بدأ كأنه قد حان الوقت المناسب الذى يتحتم فيه تقييم الأساليب القديمة، إذا أُريد أن تكيف المجتمعات حياتها لكى توائم التغييرات السياسية والإقتصادية والثقافية بدلاً من مقاومتها، فالثراء والفراغ غير كافى وحده إذا لم تقترن به الأفكار المستنيرة، لقد كان للمؤسسات والعلماء، ثم تلاميذهم دورهم الكبير، فهى تعد من بين العوامل التى كان لها أعظم الأثر فى تغيير جوانب من الحياة الإغريقية، وخاصةً الجانب التعليمى، فدورها الأهم والأكبر كان فى اتساع دائرة التعليم، وتيسير انتقال المعرفة، إذ انها جمعت من جميع أنحاء بلاد الإغريق مستويات من العقول أكثر مما جمعت أية مؤسسات أخرى، فى أى وقت مضى، واسهمت فى تنامى حركة البحث العلمى، بفضل ما بعثته من حافز قوى، وما قدمته من أمثلة، فشغفت الأجيال بالبحث والكشوف، وافتتحت أعظم المدارس فى شتى العلوم، وفى أى علم لابد أن يذكر الإغريق، فلاتزال الفلسفة والهندسة وأشكال العمارة والنحت والتصوير وقواعده الفنية إغريقية، من ابتكار وإرث الإغريق .

بذلت المؤسسات العلمية البطلمية وقت وجهد كبير، منذ أن بدأت تنشر أساليب العلم الطبيعي، وأدخلت أو فرضت الأتجاه العلمى التجريبي على الدراسة النظرية، فأخذت تفسر الإنسان والحياة والطبيعة تفسيراً مستنداً إلى أسس وقوانين طبيعية وعلمية، وبدأ أساتذتها وطلابها يتجهون إلى البحث والتجربة والمشاهدة، وكثير من النظريات والأفكار التي تداولوها ونشروها كانت من العوامل المشجعة والدافعة للتفكير النقدي والتحليل العلمى، وانتقلت الكثير من الآراء على أيدي هؤلاء الأساتذة وتلاميذهم، فأصبحت مادة جميع الدراسات العلمية فى القرون التالية، وما كان من الممكن أن يحدث ويكون هذا الإنتقال التعليمى، لولا هذه الظروف المتميزة لهذا العهد، وهؤلاء الرواد الذين كافحوا من أجل إرساء كثير من الأسس العلمية والتعليمية على مدى ثلاثة قرون متتالية .

فى رأى بعض من أساتذة التاريخ القديم، إن البحث فى التاريخ الحضارى أكثر جدوى وأهمية من موضوعات التاريخ السياسى والعسكرى، وأن التعليم الإغريقى عامةً، وموضوع التعليم البطلمى على وجه التحديد والخصوص، من الموضوعات الحضارية المهمة والجديرة بالبحث والدراسة، وحتى إن تم تناول التعليم مسبقاً عند البطالمة بواسطة عدد من الباحثين العرب والأجانب، ولكن يظل الموضوع كبير ومتشعب، ونظراً لكبره وتشعبه، فإنه يمكن دراسته مُجدداً من جوانب عديدة، وهم يتوقعون فى حالة تناوله من جديد، وإن كان تحت نفس المسمى والعنوان، أن تتطرق الدراسة إلى أسس ومحاوَر جديدة، وأن يتم التعامل مع الموضوع بمنهجية مختلفة .

إن القاعدة العلمية تقول: إن لكل نظرية تطبيق ونتائج عملية وواقعية، وإن عرض وتقييم أى تعليم كان، يعنى بالمحصلة متى بدأ وجاء، وكيف ترسخت نظم وقوانين وأسس هذا التعليم، وماهى الظروف والمراحل التي مر بها حتى أصبح بالشكل الذى صار عليه، أى من بداياته وانتشاره، إلى تعدد مراحلها وتنوع مستوياته ومؤسساته، وقد جمعت هذه الدراسة فى ترتيب زمنى ومنطقي خلاصات من المعلومات التعليمية الإغريقية، وقد بدأت أولاً بالتمهيد للتعليم الإغريقى القديم، وعرضت للأفكار والنظريات التعليمية العامة التي كانت سائدة قبل الحقبة البطلمية فى مدن الإغريق الحرة، إذ لو لم تكن توجد قاعدة وأساس تعليمى حر وعميق، لما كان هناك ما يستدل منه على استمرار وبقاء هذا الشكل التعليمى الإغريقى، سواء عبر تلك المدارس الفلسفية والفنية العديدة، أو إلى تلك الأهمية والقيمة المعرفية التي صار يُنظر إليها

بجميع المستويات فى المجتمعات الإغريقية لكل الأمور التعليمية والثقافية .

إن المجتمعات الإغريقية استطاعت أن تصل فى القرن الخامس ق.م. إلى مستوى من النضج العقلي والفنى، ومن إتقان لبعض جوانب العيش، ومن صور هذا النضوج شغفهم بالمعرفة والتعليم، وإن كان هذا التعليم الإغريقي القديم فى بدايته ظل تعليماً أدبياً ورياضياً، وتأثر وارتبط بالديانة وبالأساطير الإغريقية ثم بالفلسفة، ومن الشواهد على نشاط النواحي التعليمية نشأة المدارس الفلسفية فى أثينا، وإشادة كتاب وفلاسفة الإغريق بأكاديميتها، ومجئ الشباب من كل المدن الإغريقية لتلقى المعرفة فيها، وبرزت بعدها مدارس عديدة فى الآداب والفلسفة والفنون فى كل مدن الإغريق " . . . بقدر تقديرهم للشكل قدروا العقل، وعُرف عنهم بإنهم أمة مفكرة ونشيطة، تسعى للعلم والحقيقة لذاتها، وتجد سعادتها فى التفكير المحض، والاستمتاع بالجمال العقلي والشكلي حتى أنه وجد قول إغريقي مأثور فحواه إن التعليم هو المصدر الرئيس للتفكير " .

فى القرن الرابع ق.م. نمت المدارس الفلسفية والفنية وانتشرت، كما انتشرت الساحات الرياضية فى كل المدن الإغريقية، وظهرت مثلها فى المستوطنات خارج بلاد الإغريق، ولكن المدارس والتعليم بالمفهوم العام والخاص قبل القرن الثالث ق.م. كان يعنى عند أغلب الإغريق تعلم وتعليم الفلسفة والآداب والرياضات والفنون، ولهذا ظل يعمل على ترقيته أدباء وفنانين وفلاسفة أكثر منهم علماء، وظلت أغلب العلوم ذهنية ومعنوية، وليست علوم عملية وتجريبية تسعى إلى خدمة البيئة المادية الطبيعية، فلقد كان للفلسفة والفنون أثرها على واقع الحياة الإغريقية الإجتماعية والدينية والثقافية والتعليمية، إذ ظل بعض الفلاسفة يركزون اهتمامهم على النواحي النظرية، وحاول البعض الآخر مقاومة ذلك الاتجاه، فى الوقت الذى رأى البعض أن الفلسفة لم تعرقل العلم، بل هى من وضعت أسس العلم وأوجدت قوانينه الأولى، وأصبح هناك قناعة وإدراك مع الوقت لقيمة التجارب العلمية والخبرة العملية فى العلوم الإغريقية " ما كان لأحد أن يخبرنا به، فإن التجربة تعلمنا آياه " .

إن تعليم وعلم الإغريق بدأ كنتيجة طبيعية من نتائج النهضة الفنية والفلسفية الإغريقية، ونتيجة لذلك الخيال العلمى الواسع الذى تحدى الخرافات والأساطير، وجرب كل شئ، ومنها هذا النزوع الدائم إلى الهجرة والبحث والاكتشاف الذى ظل يميز الإغريق دون غيرهم، فروح البحث هى التى أنشأت مدارس وتعليم

الإغريق، ودفعت بمستواهم العلمي والثقافي، منذ أن بدأ ولعهم وتقديرهم للفنون والرياضات بقدر تقديرهم وسعيهم للعلم والمعرفة، ذلك التقدير الذي قوى وعيهم وحرر ونشط عقولهم، وكان هذا الميل مُشجعاً لهم على القيام بكثير من التجارب في أساليب العيش، ودفعتهم بتطلّغهم المعرفي إلى محاولات الكشف عن حقائق ومشكلات الحياة، ولكنهم لم يطبقوا في الغالب ما توصلوا إليه بصورة عملية، لكن السمة الغالبة عندهم هي اتباع العقل، فهي الوسيلة التي امتاز بها التفكير الإغريقي النقدي .

على عهد البطالمة لم يعد العلم للعلم هو الغاية مثلما كان التعليم الإغريقي القديم، وإنما أصبح التعليم لخدمة المجتمع وتحقيق مصالحه وغاياته، ومن هنا جاءت الحاجة إلى معرفة شكل ووسائل وأساليب ونظم التعليم والتدريب، الذي يعد المتعلمين للحياة والعمل الإعداد المطلوب، وهو الوسيلة التي تصل بهم إلى كل المستويات، والتعليم البطلمي ظل وارتبط لذلك بفن وبفلسفة الإغريق وبمظاهر حياتهم وتراثهم التعليمي الذي خلّفته الأجيال الإغريقية، كما كان مرتبطاً أو متأثراً إلى حد كبير بالنظم السياسية والاقتصادية والثقافية التي عرفوها، وبنوع القيم والمثل التي كانوا يعتزون بها، فازدهرت ساحات التدريب الرياضي، وظهرت وانتشرت المدارس العديدة والمتنافسة، حتى أضحت دور ومكتبات ومؤسسات عليا، منها تلك المقيدة بشروط ومعايير، وتلك التي لا تتقيد بنظام محدد ولا بأساليب مألوفة أو تقليدية، فلقد نهض وقام التعليم البطلمي على أسس مستمدة من الواقع، وبجوانب الحياة الإنسانية والطبيعية في هذا العهد الذي شهد انتشار التعليم الإغريقي على أسس وقيم عملية .

أقام البطالمة نظاماً تعليمياً مختلفاً عن سابقه ومتنوعاً ومحكوماً بآليات جديدة، فهذا التعليم النوعي العملي قام على مبادئ التطبيق والتجربة، وتنمية البحث العلمي العقلي، وبمعنى أدق أوجد التفكير النقدي التحليلي لأول مرة، بل حتى في مجال الآداب، أخذ الدارسون للتراث الأدبي الإغريقي يقتبسونه منه، ويبحثون فيه ويحققون نصوصه ويهتمون بنشرها، على اعتبار أن ذلك نوع وأتجاه من اتجاهات وفروع العلم، فلم يعد الشعر والنثر الأدبي كما كان من قبل تعبيراً عاطفياً إبداعياً فقط، بل أصبح درساً وتدريباً، ونتيجة من نتاج العقول في المدارس والحلقات .

إن التربية والتعليم في الفترة التي شهدت انتشار الحضارة الهيلينية في الشرق بقدر ما أخذت الطابع والشكل الإغريقي القديم في التعليم، بقدر ما كان لها هويتها وخصوصيتها، وقد استمر أحفاد هؤلاء

الإغريق؛ البطالمة، متحمسين للعلم والتعليم بنفس حماس أسلافهم إلى الفنون والفلسفة والآداب وتفسير الحياة، ولكن لم تعد العقلية الإغريقية البطلمية تسعى وراء العلم من أجل العلم، بل اعتبروه وسيلة، وأحدثوا في أغلب جوانبه نوعاً من التطبيقات تتلاءم مع رؤيتهم، ومع البيئة التي صاروا جزءاً منها، وصار التركيز على التدريب والإعداد للحياة العملية " فليس العلم أن تعرف، ولكن أن تستفيد من معرفتك" .

تبنّت المؤسسات التعليمية البطلمية التعليم الإغريقي، وبرامج التدريب الإغريقية التي أدخلوا عليها بعض التحوير، لتتفق مع أهدافهم وحياتهم وبيئتهم الجديدة، كما أعطت خبرة وإدارة وقيادة البطالمة لسكان الدولة؛ الإغريق وبقية العناصر الأخرى غير الإغريقية، إضافات مهمة في المجال التعليمي، فجميع هذه العناصر الثقافية الخليط التقت في محيط المملكة البطلمية، وكل هؤلاء كانوا أصحاب حضارات سابقة عتيدة، ومع تنامي النشاط العلمي والتعليمي ظلت لهم تقاليدهم وعاداتهم ونظامهم التعليمي القديم، الذي يركز على التدريب والإعداد للحياة العملية كذلك، وقد توفرت للتعليم بمدنهم القديمة مقوماته الأساسية من اختراع الكتابة وموادها، وبراعتهم في العلوم والآداب وفروع المعارف المختلفة، وبرغم تأثرهم بالتعليم الأدبي مثل الإغريق، إلا أنهم نظروا إلى بعض الجوانب على أنها ليست من الأساسيات، ولهذا لم تنتشر بشكل واسع في مدن الشرق مدارس الموسيقى والنحت وساحات التدريب الرياضي، إلا مع مجئ البطالمة خاصةً والإغريق الهيلينيين عامةً، فهم من ساهموا في نشر وتطوير التعليم الإغريقي بكل صوره وأشكاله، وبالتالي الحفاظ عليه والارتقاء به، فلا يُنكر الدور الذي قاموا به، وقامت به مدارسهم ومكتباتهم وعلمائهم في الحركة العلمية والتعليمية، وهذا النشاط والتأثير العلمي، وبلوغهم لمستويات ودرجات عليا في المجال التطبيقي التعليمي " . . وإنا لتطوف بالخيال صورة طائفة كبيرة من النساخين، ينسخون صوراً من أصول الكتب القيمة، ومعهم عدد لا يُحصى من العلماء، يقسمون هذه الكتب إلى مجموعات، وبعض من هؤلاء الرجال ينسخون بانفسهم تواريخ مختلف الآداب والعلوم، وبعضهم يخرجون للناس طبقات من الروائع النادرة، ومنهم من كانوا يكتبون تعليقات وشروحات للنصوص، ليستنير بها غير الاخصائيين وقراء الأجيال التالية " .

لا يمكن أن توجد الحضارة من دون وجود العلم والتعليم، وعلى اعتبار ان التعليم أهم دعامة من الدعامات الحضارية التي قامت وتقوم عليها أسس الحياة الإنسانية، فإن هدف الدراسة هو تبيان وعرض

تاريخى وحضارى مجمل عن البنية التعليمية فى الدولة البطلمية، من انتشار للتعليم بأشكاله ونظمه كافة، إلى عوامل نهوضه وتقدمه، وعن مراحل ومؤسساته ومخرجاته، مع التطرق بإيجاز للخلفية السابقة له، واستعراض للبناء السياسى والثقافى للدولة البطلمية، والتسلسل المنطقى للمراحل والأحداث التى مرت بها النهضة التعليمية فيها، لمعرفة الظروف والوقائع التى أكتنفته وواكبته، وساعدت على علو وتيرته فى تلك الفترة بالذات، ولهذا الدراسة تتبع المنهج التاريخى الحضارى، وتستعين بالمنهج التحليلى أحياناً، وبوساطة الإحاطة بكل ماسبق من الأبحاث والدراسات، أو عبر الإطلاع على رؤى ثقافية وتربوية كاملة، سواء كانت مختلفة وعلى النقيض أو مكملة لها، مع أن البحث فى هذا البعد التاريخى التعليمى من جميع جوانبه، سيبين أن أجزاء منه مازالت مبتورة مقارنةً بجوانب أخرى، ما يعطى مؤشراً لمدى القيمة التى ينبغى أن توجه لهذه النواحي، فلا يستطيع الإلمام بكل جوانب الموضوع ككل، إذا لم توجد الأفكار والرؤى الواضحة عن التطور الحضارى فى العالم القديم .

لا تحوى المصادر التاريخية كل المعلومات عن الجوانب الحضارية للفترة الهيلينستية عامةً، والبطلمية خاصةً التى امتدت لأكثر من ثلاثة قرون من عمر التاريخ، ومنها بعض من الجوانب التعليمية التى حاولت ان تلم به عناصر هذه الدراسة، لإن الخلل فى أغلب المدونات القديمة تركيزها على النواحي السياسية والعسكرية والإقتصادية بشكل أكبر من الناحية الثقافية، فمن الصعوبات غير أن جُل ما هو مدون أو مأخوذ عن الكُتاب القدامى هو فى التاريخ السياسى، وأكثر بكثير من مدونات الحضارة الإنسانية، وحيث كان التركيز غالباً عندهم سواء المؤرخين أو الجغرافيين والرحالة وحتى الشعراء، على الأحداث والوقائع السياسية والعسكرية البارزة وتجاهل ماعداها، والصعوبة الأخرى أن المعلومات فى هذه الفترة ليست على سياق ووتيرة واحدة، فبينما توجد معلومات وافية وكافية بالنسبة لبعض مدن الأقاليم، لا توجد المعلومات ذاتها فى مدن أقاليم أخرى مجاورة، وإن وجدت ستجدها فى تواريخ وأماكن وأحداث محددة " . . . وهكذا نجد انفسنا على اتصال وثيق بطبقات قلما يعنى المؤرخ بالتعرض لها، أو يرد لها ذكر، فأغلب ما يسجله التاريخ السياسى هو الزبد الطافى على سطح الوجود الإنسانى " .

عند البحث فى جُل الكتابات والنصوص التاريخية القديمة، تجد أن معظمها انشغلت أكثر بالأحداث السياسية وغاب فيها ما يتعلق بجوانب الحياة اليومية، وخاصةً العلمية والتعليمية، والشئون الثقافية

والاجتماعية عموماً، ولهذا فإن النصوص فى هذه الجوانب شحيحة، وإن كم من المدونات والوثائق القديمة أمدت بشذرات ليس إلا، ولا تحتوى على بيانات وافية ومعلومات مفصلة عن الحياة التعليمية البطلمية بوجه خاص، أو ببعض من الحقائق العلمية بشكل عام، ولكن مع كل هذه الصعوبات بدأت تبرز وتتضح تدريجياً قيمة كل ما وجد من كتابات الباحثين القدامى فى المجال التعليمي، بمستوى إسهام هؤلاء فى مجال الثقافة والفكر والعلم فى العصر الهيلينيستى .

على هذا النحو فإن جُل تلك المدونات القديمة فى الغالب لم تتطرق إلا بصورة موجزة لجوانب التعليم البطلمى، أو أنها تناولت التعليم الإغريقى بوجه خاص، ولم تتطرق إلى التعليم البطلمى إلا بصورة عامةً ومقتضبة، وعلى اعتبار أن التعليم البطلمى هو بالأساس تعليم إغريقى، ولكن برؤية أخرى ونهوض إغريقى آخر، ولذلك يمكن رسم صورة للنظام التعليمى والتربوى الذى كان قائماً فى العهد البطلمى، وما طرأ عليه من تغيير .

إن البطالمة الأوائل وبعض من الأواخر برغم تعليمهم الإغريقى، ومهما كان تشربهم للثقافة الهيلينية، وشغفهم بالفنون والآداب، لم يكشفوا فى سياستهم الرسمية عن أى اهتمام بالنظريات البحتة، فكانوا إداريين متسمين بالجدية والعملية، ورجال أعمال متحمسين، هينوا للمؤسسات التى أسسوها كل ما يلزمها من الأستقرار والدعم، وغالباً ما كانت تُحركهم فى سياستهم هذه اعتبارات سياسية وإقتصادية، وتطلعات وطموحات ذات طابع عملى، ولذلك اعتمدوا بوجه خاص فى الإدارة الحكومية المدنية والأعمال الإنشائية على الخبرات والعناصر الإغريقية والمقدونية مطبوعين بالطابع الهيليني، كذلك الأمر فى تعبئة الدوائر العلمية، كان يديرها ويشرف عليها علماء وخبراء وموظفون يطلبهم ويعينهم الملك، وظل المستشارون والمساعدون الرئيسيون فى الدولة من أطر وكوادر الإغريق .

على الرغم مما يوجه للبطالمة من نقد لسياستهم هذه، وانهم ميّزوا الإغريق عن غيرهم من عناصر الدولة، وانهم عنوا بإقامة حكم عائلى أكثر من إقامة دولة قومية، وانتقادات أخرى شخصية توجه إلى بعض من ملوك وملكات الأسرة البطلمية ربما بولغ فيها، وفى النهاية لكل نظام إدارى أو سياسى مساوى ومزايا وجوانب قوة وضعف، ومن الطبيعى أن يعقب التراجع السياسى والإقتصادى تدهور كذلك فى النظم

والقيم التي شكلت كيان دولتهم، ومع ذلك فقد اسسوا لدولة كبيرة؛ ازدهرت وأثرت وعمرت أكثر من أية مملكة هيلينيسية أخرى، وظلت سياسات معظم ملوكها متجهة نحو حوض المتوسط تحديداً، حيث سعوا وتطلعوا دائماً إلى القيام بدور محوري في محيطه، وضمت حدودهم بقاع وممتلكات غنية ومهمة كان لها شأنها ودورها الحضارى المميز والمؤثر في السياسة الدولية منذ القرن الخامس والرابع ق.م.

لا تقتصر الدراسة على جمع المعلومات والبيانات والعرض التاريخي الموجز لها، بل شملت كل القراءات السردية والتحليلية والنقدية الوافية عن الموضوع، لإستيعابه ولإحاطة بكل أبعاده، وأما الإيجاز في بعض جوانبه، إما لقلّة وضيق المعلومات المدونة عنها أو لاتساعها وتشتتها، فالرؤية العامة والموضوعية مطلوبة، ولكنها لم تغن عن البحث في الخلفيات وحتى الجزئيات، فلا يمكن تصور التطور التربوي والتعليمي بدون الخلفية التاريخية والحضارية، ومن دون فكرة كلية وواضحة ومحددة عن عناصر الموضوع كافة؛ الظروف المكانية والفترة الزمنية، أى الخريطة التي قام البطالمة بترسيمها وتكوين حدودها وإطارها، فليس ثمة مجال من المجالات جاء من لاشئ، أو تأسس من فراغ، بل الأمر أولاً وأخيراً أمر نضج ووعى تراكمى، وجهد إنسانى موصول عبر الزمان والمكان، وليس من المبالغة فى شئ القول بأن كل الأسس والنظم التربوية والتعليمية الحديثة تحمل فى ملامحها وسماتها من تلك الأفكار والنظم البطلمية الإغريقية القديمة .

تبدأ الدراسة بتمهيد عن التعليم الإغريقى قبل العصر الهيلينيسى، لإن التعليم البطلمى فى الأصل وبالأساس ظل وليد ونتاج وامتداد لذلك التعليم الإغريقى القديم، ولكن برؤية أخرى، وتنقسم الدراسة إلى أربعة فصول، وكل فصل يتكون من عناوين وعناصر تنتهى إلى سياق واحد، وفى الواقع أن كل فصل، بل كل مبحث من هذه الدراسة يشكل موضوع دراسة قائمة بذاتها، واستغرق وقتاً وجهداً، لإن الإلمام وإحاطة بالقراءة الكاملة للظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للدولة التي امتدت لحوالى ثلاثمائة عام ليس بالأمر الهين، فهو موضوع طويل ومتشعب، خاصة وأن التفاصيل فى أغلب المصادر التاريخية كما هو معروف للجميع على الجوانب والأحداث والوقائع الكبرى دون غيرها، ولذلك سنتظل الصعوبة دائماً أن جُل ما هو مدون فى التاريخ الحضارى أقل بكثير من مدونات التاريخ، وحيثما كان التركيز غالباً على الأحداث البارزة وتجاهل ماعداها، ولذلك فى خضم البحث عن تلك الشذرات الحضارية

التي لم يلق لها بال أغلب الكُتاب الأوائل، أو انهم تعرضوا لها بشكل موجز، ولذلك سنصل لأهمية البحث عن تلك الخلفية الثقافية التي شكلت التقاليد والعقلية الإغريقية، وحيث كان للثقافة تأثيرها ودورها في مجتمع شكل التفكير النقدي والإتجاه الفلسفي والعلمي أحد ملامحه الأساسية .

يتناول الفصل الأول الأسس التي قامت عليها دولة البطالمة، المملكة التي ظهرت واتسعت حدودها بسرعة خلال القرن الثالث ق.م. في أقاليم ومناطق إستراتيجية، فهي بلا شك نشأت ونهضت على أسس وقواعد عديدة، فيعرض هذا الفصل للأوضاع والبنية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للدولة البطلمية، والتي كان للتدافع والتنافس بينها وبين الممالك الأخرى أثره في تنوع وازدهار وحيوية المرحلة، فيبدأ بالبعد السياسي أولاً ثم للعوامل الاقتصادية ثانياً، على اعتبار أن السياسة والإقتصاد أسباب وعوامل جوهرية في نهوض أو انتكاس الدول، ثم لجوانب البنية الحضارية؛ الخلفية الاجتماعية والثقافية، والتي تطرقت فيها لإبعاد جوهرية في هذا التأسيس والتكوين؛ ومنها الملوك البطالمة، والمدن الإغريقية، التي لعبت الدور الأبرز في المحيط الثقافي الهيلينيستي، وبعض من تلك الأسس الثقافية؛ كالمدارس الفلسفية والفلاسفة؛ أو الفلسفة وارتباطها الوثيق بالحياة العلمية والتعليمية، أي عن ذلك الأثر السياسي والإرث الحضاري الذي تأثرت به النواحي التعليمية، كما تشكلت منه ملامح وسمات وثقافة الدولة البطلمية .

يتناول الفصل الثاني في البداية سبل انتشار وعوامل ومقومات النهوض التعليمي في الشطر الأول والثاني من عهد دولة البطالمة، ثم اتساع وأختلاف نظم وأشكال هذا التعليم البطلمي، مدى انتشاره وتنوعه، وتطور نظمه ومؤسساته، فالنشاط التعليمي سيشهد انتشاراً ودعماً غير مسبوق للمدارس والمعاهد الإغريقية التي ظلت دعامة رئيسية في التعليم البطلمي، فحتى القرن الثالث لم يكن هناك انتشار واسع للتعليم، وإلى ذلك الوقت " العهد الهيلينيستي " حيث ازدهرت تلك الأفكار والآراء والأسس التي مهد لها مفكروا الإغريق منذ أيام ما عُرف بدويلات المدن؛ حيث الحرية والمهارات التقنية، كانت ذات أهمية في تطور التربية والتعليم بدرجة تلائم تلك النظم التي عرفوها ومارسوها منذ ذلك الوقت، ومنذ ان لفت النظام التربوي عند الشرقيين اهتمام كبار فلاسفة الإغريق، فقد تضافرت عوامل ثقافية وفكرية عديدة ساعدت في تنوع واتساع وانتشار التعليم، وللتربية نظمها التي ينبغي معرفتها والإحاطة بها قبل التطرق إلى استعراض مراحل ومستويات التعليم .

فى الفصل الثالث نستعرض المراحل التعليمية الثلاثة؛ المرحلة الأولى أو الأولية والمرحلة المتوسطة والمرحلة الثالثة العليا، وتشمل مرحلة الدراسة العالية بعض من الدراسات والمخرجات التعليمية، ويستعرض الفصل الرابع الأخير للمؤسسات العلمية الكبرى؛ المدارس والمعاهد والمكتبات التى جمعت العلماء من كل مكان، سواء تلك التى تعهدتها المدن، أو تعهدتها العلماء والفلاسفة والملوك البطالمة حتى استطاعت أن تصل لأدق وأرفع المستويات، وقد حاولت فى ختام هذا الفصل الأخير أن أوثق بإيجاز لبعض من المعلومات الموثوقة والمدونة عن النظم والحياة التعليمية والثقافية فى أهم مدن كيريناياكا؛ عن دستور كورينى العتيد، وأبرز مدارسها وأعمال فلاسفتها وعلمائها .

إن أجزاء من المعلومات أو النصوص الواردة فى بعض جوانب هذه الدراسة جأت من تلك المصادر الكلاسيكية أو المدونات المأخوذة عن الكتاب الكلاسيكيين؛ الإغريق والرومان، ومنهم ديودورس الصقلى وأسترابون البونتي وبلوتارخوس وبلينيوس وبوليبيوس وليفيوس وأثيناوس، وأما بالنسبة للدراسات الحديثة عن الموضوع، فهناك أكثر من دراسة قيمة مترجمة، ومنها تاريخ الحضارة الهيلينيستية لويليم تارن، وقصة الحضارة لويل وأيريل ديورانت، والهيلينية فى مصر لآدرس بيل، وكذلك فى اللغة العربية تاريخ التربية والتعليم فى مصر البطالمة لإبراهيم نصحى، وتاريخ الفلسفة لأحمد بدوى، ولكن أغلب الدراسات فى الموضوعات الحضارية ظلت بلغات أخرى أجنبية، كما أن البحث فى تاريخ التعليم بمعناه العام والواسع موضوع طويل ومتشعب، ويتصل بعناوين هى جزء آخر من التاريخ التعليمى والتربوى الطويل والبعيد المدى، ولهذا سيظل التركيز على الجوانب التى تلقى الضوء على أبعاد وزوايا هذا الموضوع من منظور تاريخى وحضارى فقط، بعيداً عن الخوض فى اتجاهات ومفاهيم لها علاقة بتاريخ التربية والنظريات والأفكار التربوية والاجتماعية، وبمعنى أقرب وبالخلاصة هى محاولة أخرى لتسجيل وتحليل الأحداث والوقائع التعليمية، التى قد تبدو واضحة أحياناً، أو يلفها الغموض والتشتت أحياناً أخرى .

مع أن المكتبات الألكترونية التى غدت تمثل واجهة لجامعات العالم المعروفة اليوم، عالجت كثير من أسباب ومشكلات البحث عن الكتب، ووفرت الوقت والجهد، وأصبح الحصول على كتاب قيم، أو موسوعة نادرة فى أى جانب من الجوانب، لايتطلب أكثر من وجود شبكة جيدة، والبحث فى محرك قوغل عن موقع تلك المكتبة، ولكن لاتزال أغلب خدمة هذه المكتبات الألكترونية محدودة وغير متاحة للجميع، وإلى أن

تصل مكتباتنا إلى ذلك المستوى، لاشك ان هناك صعوبات كثيرة تكتنف سبل البحث العلمى، فلا يخفى على أحد ما فى الدراسة العليا خاصةً من صعوبات معروفة للجميع، ستواجه كل من يتصدى لها فى كل مكان وزمان، من امور قد تكون أساسية لها صلة مباشرة بموضوع البحث، أو بالباحث المبتدئ نفسه، أو ظروف أخرى طارئة قد تعيق وتعرقل البحث والباحث على السواء، وبالنسبة لى فقد واجهت كل أشكال هذه الصعوبات العلمية واللوجستية؛ من اختياري لموضوع البحث فى التاريخ الحضارى الذى هو شئ مختلف عن الدراسة التاريخية البحتة، وهو مالم أتمكن من تقدير صعوبته إلا بعد أن قطعت وقتاً وشوطاً فى سبيله، إلى مشقة الحصول على المصادر والمراجع الأساسية، وإلى صعوبة وتكلفة الترجمة عن اللغات الأخرى، وانتهاء بتعطيل الجامعة وتوقف الدراسة وإغلاق دور المكتبات بسبب حالة الحرب وأوضاع النزوح وعدم الاستقرار، فالأمور الحياتية والأمنية ظلت صعبة لفترة طويلة فى بنغازى، حيث شهدت وعاشت المدينة وسكانها وجامعتها ونواحيها أحداثاً قاسية وعصيبة، ستبقى محفورة آمداً طويلاً فى تاريخ الحروب، وفى ذاكرة من عاشوها وأكتووا بنارها ودمارها .

أن تأتى مثل هذه الدراسة فى هكذا ظروف وأوضاع هو دعوة للجميع للاهتمام أكثر بالجوانب الإنسانية والحضارية عامةً، وجوانب التربية والتعليم خاصةً، والاستفادة من تلك التجارب الإنسانية المحفزة، كما أتوجه معكم بالدعاء أن تنتهى الحرب ويعم السلام أرجاء الوطن، وأن يعود للمدينة استقرارها وازدهارها، ونرى جامعتها العتيدة تنهض من ركامها لتعود فى يوماً أفضل مما كانت، وتصل المراتب الأولى بين الجامعات الكبرى .

تمهيد

التعليم الإغريقي قبل العصر الهيلينيستي

لا يُعرف الكثير عن التعليم عند الإغريق قبل القرن السابع ق.م. ويعتقد أن المدارس والمكتبات في المدن الإغريقية بدأت مع نهضتها الثقافية في القرن الخامس ق.م. ففي العالم الذي وصفته ملاحم هوميروس Hómēros (1) وهو العالم الميسيني الذي تُنسب إليه هذه الملاحم لا توجد معلومات عن التعليم في تلك الفترة، ففي حقبة ما قبل الأدب المدون في بلاد الإغريق، كان الإنشاد هو الوسيلة لتداول الأخبار ولتبادل المعارف من جيل إلى جيل، ولقد تم ذلك التناقل عبر طرق أهمها الرواية الشفهية، والتي انتهت بالإغريق إلى الأساطير والملاحم الهومرية، أو تلك النصوص الشعرية التي رتبها هيسودوس Hesiodos (2) فالأدب الإغريقي القديم جُله أدب مروي لا أدب مدون، حتى أواخر العصر الإغريقي عندما شرع في تحقيقه وتدوينه، ولذلك أي معطيات مدونة توجد في بعض الرُقم لها أهمية كبيرة في إعادة تصور شكل العلاقات الاجتماعية والبنية الاقتصادية، والكثير من جوانب الحياة اليومية، ولكن مع ذلك لا تُعطي إجابات كافية عن الكثير من الأسئلة حول التعليم، ولهذا لا يُعرف شيئاً عن المدارس التي تعلم فيها الطلاب، وعن إمكانية وجود مدارس أصلاً ومكتبات أو مراكز رسمية للوثائق كما وجد في الشرق، ويحتمل أن عدد من عرفوا القراءة والكتابة كان بسيطاً في محيط محدود من الموظفين والكتبة والعاملين لدى الدولة، إذ أنه من المرجح أن الكتابة كانت فقط لأغراض إدارية- رسمية، وربما هنا يكمن السبب في عدم

(1) شاعرٌ إغريقي يُعتقد أنه مؤلف الملحمتين الإلياذة والأوديسة، وهي نصوص شعرية طويلة تروى حرب وحصار طروادة عام 1250 ق.م. وقد جمعت أشعارها حوالي القرن التاسع أو الثامن ق.م، وقد اختلف القدماء حولها وحول زمن الشاعر اختلافاً كبيراً، لكن معظم الأبحاث الحديثة تُورخ بالقرن الثامن ق.م. . Loeb Classical Library, Homer: Iliad, I, William, F. Wyatt, Homer: Odyssey, II, George, E. Dimock, Harvard Uni. Press, 1995, p. 27; Petrie, M. A., Greek History and Literature, Trans. Yowell Y. Aziz, Oxford Uni. press, 1932, pp. 102- 103 .

(2) يعتبر مؤسس لمدرسة اهتمت بالأخلاقيات وكتابة تواريخ وأساطير منظمة، ومن الممهدين للشعر الغنائي والتعليمي، والشعر التعليمي هو تعبيراً عن موضوع معين أو علم من العلوم بطريقة شعرية بقصد تسهيل حفظه وتعليمه في الذاكرة. أحمد، الشعر الإغريقي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1984، ص27.؛ Petrie, Ibid, p. 104 .

استمرارية التسجيل مع نهاية الحضارة الكريتية- الميسينية، وحيث لا يوجد ما يشير إلى تدوين النصوص الإدارية أو الأدبية، ولا وجود لنصوص تعليمية في تلك الفترة، فكان التعبير الشفهي هو ما نقل الأحداث التاريخية من جيل إلى جيل " . . لم يُعثر في الرقم الطينية لهذه الفترة على أى نص مدرسي؛ أدبي أو تاريخي بل على أية رسالة أو وصية، فلا يوجد جواباً واضحاً من الرقم على الكثير من الأسئلة التي تهم الباحثين بهذا الخصوص، وهكذا لا يُعرف شيئاً عن الكتب والمدارس بشكل خاص والتعليم بشكل عام، وبعض ما يوجد من معلومات وصل عن طريق السماع وليس عن طريق القراءة في الغالب، ولعل بسبب ذلك الضياع للمحفوظات الشفهية أضحت الملحمتان؛ الألياذة والأوديسة، وهما كل مابقي من سلسلة طويلة من الملاحم، أثنى العناصر في تراث الإغريق الأدبي كله، وبفضلها صارت دراسة الشعر العنصر الأساسي في نظام التعليم الإغريقي، ومستودع الأساطير والمسرحيات، وأساس التدريب الخلقى، بل انهما صارتا الكتاب المقدس الذي يستمد منه الإغريق دينهم الصحيح، حتى أن بعض من فلاسفة الإغريق اعتبروا تلك الأشعار؛ منبعاً لا ينضب من الورع الديني والحكمة الفلسفية، وإن من تتسنى له فرصة فهمها يسيطر على أساليب الفنون جميعها " (1) .

الأساطير الإغريقية التي جأت من ذلك العهد البعيد، سواء من معارف الناس، أو من نظم شعراء مجهولين، صارت عقيدة الإغريق وآدابهم وتاريخهم، ومنها استمدوا الموضوعات التي درسوها في مناهجهم، وهي التي اوحت إلى الفنانين والأدباء ما أبدعوه من التماثيل والنقوش والنصوص، فالنصوص الشعرية كملاحم هوميروس، بل حتى الكتابات التاريخية كتواريخ هيرودوتس Herodotus كانت تروى كملحمة نثرية على المستمعين وتُحفظ في الغالب ولا تقرأ (2) وهذه المحفوظات الشعرية الباقية أصبحت تراثاً تتداوله الأجيال، وأساساً للتعليم، وتنوعت بين شذرات تاريخية وأمثال خلقية، وتصنف في الغالب إلى أبواب هي التعاليم والنبوءات والقصص، وانعكست فيها صورة مجتمع كانت الأعمال والأفكار فيه حرة

(1) ول وإيريل ديورانت، قصة الحضارة "حياة اليونان"، ج1، مج2، 6، (ت.مجد بدران)، بيروت، دار الجبل، 1998، ص 383؛ ستيفنتيش، الكسندر، تاريخ الكتاب، (ت.مجد.الأرناؤوط)، القسم الأول، 19، الكويت، سلسلة عالم المعرفة 169، 1993، ص ص 59-60 .

(2) مؤرخ إغريقي آسيوي ولد في هليكارناسوس في القرن الخامس حوالي 484 ق.م- 425 ق.م. من أهم كتبه تاريخ هيرودوتس الذي يصف فيه أحوال البلاد والأشخاص حول حوض المتوسط، وكتب عن الحروب بين الإغريق والفرس، اشتهر بلقب أبو التاريخ . Petrie, Idem, p. 11;

Lateiner, D., The Historical Method of Herodotus, Uni. of Toronto, 1989, P. 37 .

مادامت تراعى العادات، فالإغريق القدامى لم يكن لهم تربية منظمة، ولم يكونوا يتعلمون الكتابة والقراءة، ولا يوجد عندهم كتب، فكانت الأسرة تقوم بتعليم أطفالها، فيدرب الأولاد على الصيد والحرب، ويتعلم البنات الأمور المنزلية، فقبل وجود المدارس كانت الأسرة هي من تتولى التربية وتقوم بالواجب التعليمي، حيث يتعلم منها الأطفال اللغة وإتقان لفظ الكلمات أو الهجاء وربما القراءة والكتابة ومبادئ الحساب، وبعض الآباء يعلمون أولادهم مهنتهم بالممارسة العملية، بينما تقوم الأمهات بتعليم بناتهن شؤون البيت، وقد يشمل إعداد الأولاد واجبات عسكرية أو إقتصادية وإجتماعية عن طريق التقليد والتدريب، فغرست الأسر المحتفظة بعاداتها في أفرادها الأساليب والقيم التي لا بد منها لاستمرار أنشطة الحياة لقرون (1) .

في الحضارات الإغريقية الأقدم، كما تلك اللاحقة في العصر الكلاسيكي استمرت الأحاديث المروية الوسيلة الأكثر شيوعاً للتعليم ولنقل النصوص، فكل الأعمال تنتقل في الغالب من جيل إلى آخر بطرق شفوية حتى القرن الرابع ق.م، عندما أصبحت المعارف تنتقل عبر التعليم شفهاً وبالكتابة أحياناً، فانتقلت معها عادات الإغريق وأحداثهم شعراً ونثراً كما انتقلت الأعمال الأدبية والفلسفية، وهذا يعنى ان الانتقال التدريجي في المجتمع الإغريقي صار من التواصل الشفهي إلى التواصل بالقراءة، ومع ذلك استمر كسب العلم في ذلك الزمن غير ميسر، لأن معرفة القراءة لم تكن سمة منشرة ، ولذلك ظل معظم التعلم يؤخذ بالتلقين، وكان معظم الأدب يتلوه قراء تعلموه او حفظوه بالسماع، والجائز أن المدارس بشكلها المؤلف ظهرت في وقت ما من التدرج الثقافي أصبح تعلم الكتابة أمراً ضرورياً، وتحتم فيه نقل التراث المكتوب إلى الأجيال التالية (2) .

كان للإغريق مدنهم الواقعة على الشاطئ الشرقي لآسيا الصغرى، ومن هناك اتصلوا بمدن الشرق؛ ولا شك اقتبسوا منها الأبجدية وسلسلة من العناصر الثقافية التي تسربت لثقافتهم، حيث اخذ الإغريق مقومات حضارتهم عندما بدأوا الاتصال بها أفراداً وجماعات، شرقاً وغرباً قبل القرن الثامن ق.م، ولكن قلما كانت هذه الأمم المحيطة بالإغريق تعنى بما يعتبره هؤلاء جوهر الحياة ألا وهو الحرية؛ حرية التفكير

(1) روان، بيبى تشارلز، التربية الإغريقية " الأدب والمجتمع"، م. إيناكا، ط2، مطبعة جامعة كورنيل جاردن سيتي، نيويورك، 1975، ص 1 .

(2) ديورانت، مرجع سابق، ج1، مج2، 6، ص 376؛ ستيفنيتش، مرجع سابق، ص ص 64-65 .

والقول والعمل، وبطرق عديدة دخلت علوم الهندسة المصرية والفلك البابلي الفكر الإغريقي، ونمت التجارة الداخلية والخارجية، والجغرافيا والملاحة والتعليم، كلها في ذات الوقت، وفي هذه المدن لا بد بدأ التعليم، وظهرت المكتبات على نمط المكتبات في الشرق، وحتى ذلك العهد ظل التعليم أغلبه اختياري، واقتصر على فئات خاصة، أما الأغلبية فكانت الحياة مدرستهم ومعلمهم، فلم يعرفوا القراءة ولا الكتابة ولا الكتب ولا تداولها، فلم تكن توجد مدارس ولا مكتبات بالرغم من أنها ستعتبر لاحقاً مقياس المعرفة للأجيال القادمة (1) .

" كان الأبناء يظلون تحت رعاية ذويهم حتى السابعة، وتقوم الأم بالدور الأكبر، وأحياناً تساعدها مربية تروى للأطفال القصص، وأما ألعابهم فتشمل أنواعاً من اللعب والدمى مصنوعة من الطين أو الشمع، وكانت عربات الأطفال والدمى والحلقات والأراجيح من الألعاب المفضلة في لعبهم، وبعد هذه المرحلة عندما يصبح الذكور منهم في عمر أكبر يوضعون في رعاية عبد مُسن حسن السيرة، وظيفته الإشراف عليهم وتلقينهم الأخلاق الحسنة، ولكنه لا يشترك في مهمة تعليمهم بالمعنى الحقيقي، وعندما توجد مدرسة، كان هذا العبد يرافقهم في ذهابهم إليها، وهذا يعني أن التعليم ظل مهمة الأسرة، وأن المدن لم تبني مدارس نظامية ولا ساهمت في تمويلها، . . وحتى زمن سولون Solon، الذي سن قانوناً أصبح مصدراً للتقاليد والنظم التربوية الأثينية أجيالاً، وهو القانون الذي فرض على حكومة المدينة تربية أبناء من يقتلون في الحرب وتعليمهم على نفقتها، وكانت الأرستقراطية الثرية في المجتمع الذي عاش فيه هذا المشرع الأثيني تُقدر الذكاء كما تُقدر المولد، وشجعت العلم والتعليم، . . هذه البيئة لاشك مهدت معنوياً ومادياً وعملياً للأعمال الثقافية الفذة التي تمت في العهد الذهبي، فتلك الظروف هي التي نمت فيها الفلسفة والعلوم والفنون، ونشأت فيها نظم التعليم " (2) .

ظلت المدارس إن وجدت أهلية أو خاصة لفترة طويلة، وأن التربية منذ ذلك الزمن اهتمت بالناحية

(1) نفسه، ص 62 .

(2) مشرع عاش في القرن السادس، شاعر ورجل قانون قام بسن مجموعة من النظم والقوانين الإصلاحية تعارضت مع نظام أثينا آنذاك، وحاول ادخالها في الحكومة لحل كثيراً من المشاكل، يعتبر الممهد لما عرف لاحقاً بالنظام الأثيني . الشيخ، رأفت غنيمي، تطور التعليم في العصور الحديثة، دار التنمية للنشر والتوزيع، ط1، 1972، ص 25؛ ديورانت، مرجع سابق، ج2، ص2، 7، ص 82 .

الخلقية أكثر من الفكرية، فكان هدفها تربية أبناء أو مواطنين صالحين، أما أركانها الأساسية فهما الرياضة والموسيقى، وهما يعسكان معاً التربية الثقافية والبدنية الإغريقية، ويقوم المعلم فى هذه المرحلة الابتدائية بتعليم القراءة والكتابة أيضاً، وأما الحساب إن وجد فكان يعلّم بطريقة بسيطة وبدائية، ويدل على ذلك أسلوب العد باليد أو بواسطة عداد، الذى استعمله حتى الكبار، ثم بعد ذلك فى مرحلة متقدمة أصبحوا يعلمون التلاميذ شيئاً من الدروس النظرية فى الحساب والهندسة والرسم (1) .

بعد أن يتم التلاميذ مدة ثلاثة أعوام فى تعلم القراءة والكتابة والحساب، وربما حينها بدأو بحفظ الأشعار، ويقوم المعلم بشرحها لهم مركزاً على معناها الخلقى، وظل هوميروس فى المرتبة الأولى بينها، وفى الكتب المدرسية ما يدل على ان التلاميذ كانوا يحفظون عن ظهر قلب الألياذة والأوديسة، وعدا عن هوميروس، درسوا شعر هيسيودوس وشعراء الحكم والشعر الغنائى وكتاب المسرحيات والأقوال المأثورة، واما بالنسبة للموسيقى فيتعلمون الغناء بمصاحبة القيثارة، ويشرف على ذلك معلم خاص، ولم يكن المزمارة من بين الآلات الموسيقية، واهتموا كثيراً بأثرها الخلقى، واعتبروها ذات قيمة وأثر على الطبيعة الإنسانية- وفى اعتقادهم- النعمة الدورية لها صفة الحرب، والليدية رقيقة، وفى التربية البدنية كانت التمارين تزداد كلما صار الأولاد فى عمر أكبر، ويتولى تدريبهم مدرب خاص فى ساحة أو مدرسة، حيث تشمل المصارعة والركض والقفز ورمى القرص والرمح، وربما أيضاً السباحة والرقص (2) .

اما تلك الألعاب الرياضية التى شغف بها الإغريق، واقاموها فى ساحات المدن، فكانت فى البداية عبارة عن احتفالات لتخليد الأبطال، وكان الغرض منها هو العمل على تكوين جيش قوى أولاً، ولهذا كان تركيز التعليم فى البداية على التدريبات البدنية، لاكتساب الصحة والقوة، وكانت القراءة والكتابة تُعلم بشكل محدود، ثم تلقوا بعد ذلك الدروس فى الحساب والبلاغة والفلسفة، والتى اصبحت من ضمن منهج التعليم للشباب مع مضي الوقت، ولكن ظل التعليم الرياضى يستحوذ الجزء الأكبر من التربية الأولية التى تهدف

(1) Petrie, Ibid, pp. 80- 81 .

(2) Idem, pp. 81- 82 .

للشباب مع مضي الوقت، ولكن ظل التعليم الرياضي يستحوذ الجزء الأكبر من التربية الأولية التي تهدف إلى تقويتهم لكي يكونوا مستعدين للدفاع عن وطنهم، ومن هنا كانت للتربية البدنية قيمة أساسية في لياقة النشء، وتضمنت مختلف الأنشطة الفردية والجماعية، وتدريبات على بعض العادات الاجتماعية والخلقية، ولهذا يرجع البعض بداية التعليم والتربية الإغريقية المنظمة إلى العصر الذي انتظمت فيه دروس الرياضة حوالى القرن الثامن ق.م (1) .

كانت لذلك أولمبيا Olympia وجهة الإغريق لما لها من أهمية علمية ورياضية، بعد أن صارت مع الوقت موقعاً جامعاً للمنافسات السنوية، وساهمت رياضاتها في توحيد المدن الإغريقية وحافزاً لها على الإلتقان، فأقيمت المسابقات الأولمبية منذ عام 776 ق.م. واشترك فيها الشباب من جميع مدن الإغريق، فكما كان عشقهم للشعر، كان ولعهم بالألعاب الرياضية، وكانت أنواعاً مختلفة منها ألعاباً محلية وألعاباً إغريقية جامعة، وصارت من أولويات الإغريق المتعلمين أكثر منها مباريات، وبنيت ساحات وحجرات خاصة بالألعاب، ونشأت ألعاب عامة، وأخرى خاصة في مناسبات معينة، كما يحدث عند تكريم بطل أو تدين مشروع، ثم نشأت بعدها ألعاب البلديات التي يمثل فيها المتبارون أماكن أو طوائف مختلفة في إحدى المدن، أما ألعاب الجامعة الأثينية فهي أقرب ماتكون إلى الألعاب الدولية، وكانت تشمل فضلاً عن الألعاب الرياضية المألوفة، سباقات العربات والمشاعل والتجديف، ومباريات موسيقية في الغناء والعزف على القيثارة والمزمار والناي والرقص، وإلقاء شعر هوميروس (2) .

في الواقع لقد مرّ التعليم الإغريقي بمراحل قبل أن يكون بالشكل الذي أصبح عليه، أي قبل أن يكون هناك مكان ووقت مخصص للتلاميذ لتلقى الدروس، فلم يكن هناك تهيئة أو إعداد للمعلمين، ولم يتلقون أى مناهج خاصة بإعدادهم وتدريبهم، بل كان يكتفى بعضهم بمعرفة القراءة والكتابة والإلمام بالمعلومات التي يقوم بتعليمها " . . . كان حرم التعليم متاحاً يدخل فيه كل من يريد ان يجرب نفسه معلماً دون أن يمتلك مواصفات محددة ومدرسة في مبادئ نقل المعلومات إلى المتعلمين، فخلال العهد الكلاسيكى

(1) سمعان، وهيب إبراهيم، الثقافة والتربية في العصور القديمة، القاهرة، دار المعارف، 1961، ص 74 .

(2) ديورانت، مرجع سابق، ج1، مج2، 6، ص 387-388 ; Petrie, Ibid, pp. 95-96

انشأت بعض المدن الحرة المدارس العامة، وبالنسبة لأغلب التاريخ الإغريقي ظل التعليم خاصاً، ويمكن للعائلات الثرية فقط أن تتحمل التكاليف، وفي بعض الأوقات كان يتم تدريب كل الأولاد معاً للخدمة العسكرية، وتعلمت قلة من الفتيات القراءة والكتابة، وفي أغلب الأحيان لم تتلق غالبيةهن أى تعليم بعد مرحلة الطفولة، وظل حظهن من التعليم والثقافة ضئيلاً، ومارست الفتيات فى أسبرطة التدريب الرياضى، بينما لا تذهب فتيات أثينا إلى التدريب، فى حين يواظب إخوتهن على الألعاب الرياضية، ويذهبون إلى المدرسة، حيث يتعلمون القراءة والكتابة والحساب، ويحفظون الشعر ويعزفون على القيثارة، فقد تضمن منهج الدراسة مواد؛ الكتابة والحساب، ولكن ظلت الموسيقى والرياضة من اهم المقررات فى المنهج الدراسى الأثينى، وكانت الألعاب الرياضية تُعلم فى مدارس الألعاب، ولم يكن إغريقى يُعد متعلماً إذا لم يتقن المصارعة والسباحة واستعمال القوس، وأضيف بعد ذلك إلى هذا المنهج الرسم والتصوير، وكانت الكتابة تشمل القراءة والحساب، وكانوا يستخدمون فيها الحروف لا الأرقام، ومطلوب من كل تلميذ تعلم العزف على آلة، وبعض من مواد الدراسة يصاغ فى عبارات شعرية، ولم يكونوا يضيعون وقتهم فى تعلم أية لغة غير لغتهم، لإنهم كانوا شديدي العناية بتعلم الإغريقية واستخدامها " (1) .

أما عن تربية وتعليم البنات، فكن يدرسن فى بيوتهن، وتعليمهن فى الغالب اقتصر على التدبير المنزلى، فلم يكن للبنات فى غير اسبرطة نصيب من التعليم والألعاب الرياضية، وقامت الأمهات بتعليمهن شئ من القراءة والكتابة والحساب، وشؤون البيت كالغزل والتطريز، وأحياناً العزف على آلة موسيقية، فلم يكن تعليمهن يتجاوز المرحلة الابتدائية، إلى أن أنشأت سافو Sappho (2) مدرسة للفتيات، تعلمهن فيها الشعر والموسيقى والسلوك، وكانت المعلمة الوحيدة فى المدرسة، وتعد من أولى مدارس البنات، وكانت تسمى تلميذاتها بالرفيقات، وحتى استطاعت أسبازيا Aspasia افتتاح مدرسة لتعليم البنات " ولما وصلت أسبازيا إلى أثينا فى عام 450 افتتحت فيها مدرسة لتعليم البلاغة والفلسفة، وأخذت تشجع خروج النساء من عزلتهن، وتربيتهن تربية عالية، والتحققت بمدريستها كثيرات من فتيات الطبقات العليا، وأرسل

(1) ديورانت، مرجع سابق، مج2، ج 2، ص 7، ص 83-87؛ فايز، أحمد، التربية والتعليم فى الحضارة اليونانية والرومانية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، ص 300-302 .

(2) شاعرة ولدت فى لسبوس 612 ق.م . آن كارسون، سافو الشاعرة الإغريقية، (ت. أحمد مرسى) فيوتشر برس، نيويورك، 2012، ص 11 .

كثيرون من الأزواج زوجاتهم ليدرسن معها، وكان الرجال أيضاً يستمعون إلى محاضراتها، ومن بينهم بركليز وسقراط " (1) فلطالما حدث أختلاف في التربية وشكل التعليم بين مدينة وأخرى، فكان خاصاً في معظم المدن الإغريقية، وتجد التعليم في بعض منها يركز على الجوانب البدنية، وأسلوب الدراسة أشبه بالثكنات، حيث الأوامر والألتزام بالتدريبات وحضور الدروس، وحيث العزوف على دراسة الفنون والآداب، فلقد كانت بلاد الإغريق مقسمة إلى دويلات مستقلة، وكانت أثينا Athena وإسبرطة Sparta (2) من أهمها، واختلف شكل التعليم في كل منهما، ولكن هدف إلى الإعداد للخدمة المدنية أو العسكرية بحسب ظروفها، ففي إسبرطة كان التعليم مشتركاً للذكور والإناث، وكان الفرد تابعاً ومقيداً، ففي سن السادسة يتجه الأطفال لنظام عام إجباري، وعندما يبلغون السابعة يبدأون تدريباتهم البدنية، وفي سن العاشرة يتجهون للجيش بعد قسم الولاء، فالأولاد في إسبرطة ألتحقوا بمدارس هي أشبه ماتكون بالمعسكرات، وتلقوا فيها تدريبات خشنة وألعاب ومباريات رياضية وأدبية، وفي سن الثلاثين يصبحون مواطنين كاملي الأهلية، كما كانت البنات يزاولن الرياضات، أى أن التعليم العسكري والإعداد البدني كان يشكل حياة الأفراد في إسبرطة، ونظم كل شئ فيها من أجل تحقيق هذا الهدف، والذي على أساسه تفرغ الإسبرطي لتلقى التدريبات بأنواعها، وهذه التربية كانت خاصة بالدولة الإسبرطية، تحقق غايات الدولة الحربية وأهدافها، ولذلك قامت على غرس قيم قتالية (3) .

على العكس اتسمت أثينا بالحياة السياسية، فكانت أهدافها التربوية تتناسب مع نظامها الاجتماعي،

(1) فيلسوفة بارزة من ميليتوس 470 - 400 ق.م. عاشت في أثينا، واشتهرت بعلاقتها مع السياسي الأثيني بريكليس، ومن سيرتها تعتبر من اللاتي رفضن القيود التقليدية والقوانين التي تقيد المرأة، وسعت للمشاركة في الحياة العامة، ووفقاً لبعض المصادر فإنها تتقدم العديد من الفلاسفة الذين أصبحوا رمزاً فكرياً مثل سقراط، وكان الكثيرون منهم يذهبون إلى منزلها لسماع خطبها وأحاديثها. ديورانت، مرجع سابق، مج2، ج2، 7، ص ص 18 - 19؛ Wider, K., "Women philosophers in the Ancient Greek World", Brill Academic Publishers, 1989, p. 21 - 62 .

(2) أكبر المدن الإغريقية؛ أثينا أهم مدن إقليم أتيكا Attica، وأزهى مراكز الحضارة الإغريقية ومهد الديمقراطية، وأسبرطة عاصمة إقليم لاكونيا Laconia، وفي القرن الرابع ق.م. حين كانت المدن الحرة الإغريقية في الوسط والجنوب آخذة بأسباب الضعف والانحلال قادت المدينتان تحالف ضم الدويلات المتفرقة في مواجهة القوى المعادية. Ferguson, Hellenistic Athens, London, 1911, p. 5 .

Brubacher, J. Seiler, A History of the Problems of Education, New York, Mc
(3) Petrie, Ibid, p.16;

Graw. Hill Book Company, Inc, 1947, p. 3 .

فاهتمت بتعليم الفنون والآداب، وبالرغم من أن الناحية الحربية لم تكن كأسبرطة إلا أنها اهتمت بالرياضات كذلك، فكان الطفل الأثيني عند بلوغه سن السابعة يلتحق بالمدرسة، والمرحلة التعليمية الأولى تتم في مدرستين، أولاها الباسترا وكانت متخصصة في التعليم الرياضي، وثانيها الديداسكوليوم تختص بالأدب والموسيقى وجانب من التدريبات، ففي أثينا كان الوضع مختلفاً، ولذلك الحياة التعليمية بدأت متنوعة، وظهر أثر ذلك التنوع، فساكن أثينا مارسوا النشاط البدني لتقوية اجسامهم، وليتمتعوا بحياة صحية أكثر، وللحصول على توازن في النواحي العقلية والجمالية، فأنشأت في المدينة ساحات للألعاب ومدارس للرياضة البدنية، ولها بعض الإشراف على المدرسين، وبالرغم من انها أوجدت لنفسها نظاماً تربوياً وتعليمياً متميزاً، فإن التعليم في أثينا لم يسمح للجميع، واقتصر على أبناء المواطنين الأثينيين، ولم يوجد فيها مدارس عامة، أو جامعة تشييدها وتديرها الدولة، حيث ان التعليم معظمه خاص (1) .

إن نوع وشكل وهدف التعليم في كل مدينة ارتبط بما يسود فيها من نظم سياسية وإقتصادية وإجتماعية، فقد غرسوا بما كونوا عليه الشباب؛ المقومات الإنسانية والثقافية، ومن هنا رأى بعض من سياساتهم السيطرة على الثقافة، فركزوا السلطة التربوية في ايديهم، ليسهل عليهم توجيهها التوجيه المطلوب، فالتربية إذا أدت وظيفتها، يستوعب الناس سياسات حكوماتهم ومجتمعهم، ويشتركون في توجيهها بما يعود عليهم بالنفع، والواقع أن كل مؤسسات التعليم بمعظم مدن الإغريق، كما اهتمت بالتربية العقلية بصورة أساسية، اهتمت بالتربية البدنية، وألزمت مواطنيها بخدمة الدولة بشكل أو آخر، ولذلك أوضح عملية التربية واتجاهاتها العامة والخاصة العديد من مفكريهم، حيث كرسوا أعمالهم عنها، ودونوا أراؤهم الفلسفية حولها، ويسجل التاريخ التربوي أن الإغريق هم أول من تناول التربية في محور الأهتمام الفلسفي، فالتربية جزء من الفلسفة، بل إن الفلسفة هي ذاتها التربية، فالتعليم والتربية لم تصل إلى هذا المستوى الذي وصلته من دون مساعدة الفلسفة، وظل هناك ارتباط وعلاقة متصلة ومتبادلة بين الأثنين، فمن وجهة نظر فلاسفاتهم ان الوعي الإنسانى وسيلة من وسائل النهوض، والتعليم هو السبيل للوصول إلى هذا الوعي المنشود، وإذا لم يبين التعليم على أسس، ما اتسعت فروعه ، ولما أرتقى شكله ونوعه

(1) التومى، عمر محمد، تطور الأفكار والنظريات التربوية، ط2، تونس، الدار العربية للكتاب، 1977، ص ص 27-28 : ديورانت، مرجع سابق، ج2، مج2، 7، ص 83-87 .

ومراحله، كالتنظيم الداخلى للمدارس والمناهج، فالتعليم بالمفهوم الإغريقي ليس فقط تثقيف للفكر وتحصيل للمعارف، بل كذلك تهذيب للنفس عن طريق دراسة الفنون؛ تنمية الذوق كما تنمية البدن، وهذا ما تؤكدته تلك الآراء الفلسفية العديدة عندما تبحث فى القيم العليا للتربية والتعليم، وفى عناصر وأهداف التربية؛ الفكرية أو الجسدية، والخلقية أو الجمالية، وأصول وأشكال التربية التى ينبغى أن يُقدم، فهذا التعليم المرحلى الذى يبدأ مبكراً، يختلف ويتنوع تبعاً لمستوى الحياة الإجتماعى وتبعاً لعمر وجنس الطفل، وهو لاشك كان تعليم فكري، ولكن غلب عليه الطابع والنشاط العملى، وهدفه ان يجعل النشء قادراً أولاً على تلبية حاجاته وحاجات عائلته ومجتمعه (1) .

" . . استحوذ السعى للمعرفة على عقول الإغريق، فالإغريقي يعشق العقل؛ طالب علم ومهتم بالفلسفة والمسرح، وقلما تجد إغريقي يشك فى قدرته على إدراك العالم وتصويره، فالذكاء والخيال واسع ومبدع تشهد عليهم خطبهم وأغانيتهم وتشبيهااتهم وأقاصيصهم وألعابهم ومنحوتاتهم، وكل الأعمال المادية والثقافية التى تمت فى عصرهم الذهبى والعصور التالية، وظل حب المعرفة أعظم مشتغلاتهم، وبنفس القدر من المحافظة على تنمية عقولهم يكون الاهتمام بتقوية وصحة اجسامهم بأوقات يقضونها فى التمرين الرياضى، ولهذا جعل الإغريق غاية التربية عندهم ان يصل الإنسان إلى الحياة السعيدة، وبلوغها من خلال البحث المعرفى، والسعى وراء العلم بمستوى سعيهم إلى المال والجمال، ومن فرط هذا الكمال الإنسانى والمادى وضع الإغريق معايير للجمال البشرى الباطنى والظاهرى، ولاعجب أن غدوا ذوى نزعة خيالية مثالية، وأهتمام بالفلسفة والفنون وبالمظاهر العليا للحياة، ونشأت الحريات الفكرية والدينية، وانشغل معظم مفكرى وفلاسفة الإغريق بممارسة مهنة التعليم، أو ظلوا طلبية طوال حياتهم، وإذا كان هؤلاء مجتمعين وتلاميذهم من بعدهم قد كونوا مدارس متفرقة، فإن هناك من كان بمفرده مدرسة، وبعضهم كان يُعلم فى أى مكان يجد فيه من يعلمه، أو يستمع إليه فى السوق أو الساحة، أو فى أى مكان يلتقى ويجتمع فيه الناس " (2) .

(1) التومى، مرجع سابق، ص ص 29 - 31؛ ديورانت، مرجع سابق، ج2، مج2، 7، ص ص 86 - 87 .

(2) ديورانت، مرجع سابق، مج2، ج2، 7، ص ص 100 - 102؛ نفسه، ص ص 216 - 217 .

أدركت أننا أن المنافسة في التعليم كما في الألعاب أمر منتج وستعود بالأفضل، وهو ما يفسر ازدهارها بأولى المكتبات والجامعات، ففي الموقع المسمى بحدائق أكاديموس **Academus** أنشأ أفلاطون **Plato** (1) الأكاديمية **Academia**، وقام بتدريس الفلسفة والرياضيات، وعرفت بالمجمع العلمي، واصبحت فيما بعد أهم جامعة في بلاد الإغريق، ولم تكن هي أولى الجامعات الإغريقية، بل كانت في كروتونا **Crotona** مدرسة منذ عام 520 ق.م. تقدم مناهج دراسية، هي مدرسة فيثاغورس **Pythagoreanism** (2) كما كانت مدرسة إسوكراتيس **lokrates** (3) قائمة قبل جامعة أفلاطون بسنوات " . . منذ القرن الخامس ق.م. ازدهرت في أثينا المدارس الفلسفية، ولم يكن يؤدون أجوراً عن التعليم، ولكنهم كانوا في الغالب من أبناء الأسر الثرية، ولذلك كان ينتظر من ذويهم أن يمنحوا المجمع هبات قيمة، وبعض من الأغنياء يوصون قبل وفاتهم لأعضاء المجمع بما يكفل لهم أن يحيوا حياة الفلاسفة غير مضطرين إلى العمل لكسب قوتهم، وكان بعض الشعراء في ذلك الوقت يهجون الطلاب بقولهم إنهم أشخاص متصنعون في أخلاقهم، متطرفون في ملابسهم ذوو قلانس رشيقة وعصى وستر قصيرة أو أردية جامعية، وكانت النساء يقبلن في المجمع لأن أفلاطون بقي متطرفاً في أفكاره متطرفاً جعله من أقوى أنصار المرأة، وكانت أهم موضوعات الدرس هي العلوم الرياضية والفلسفية، وقد كتب على المجمع (لن يدخل هذا المكان إنسان بلا هندسة) وكان أفلاطون يعطي الأفضلية للسمع أكثر من القراءة، مع انه كان قد كتب الكثير، وكان على شاكلة هذا التفكير كثيرون من كتاب وفلاسفة عصره، وظل تلاميذهم يعلمون الطلاب على طريقتهم بالمحاضرات والحوار، وبعرض المسائل لحلها " (4) .

(1) عاش في القرن الرابع ق.م. كان تلميذاً للفيلسوف سقراط أبرز فلاسفة الإغريق الذي عاش 469-399 ق.م. ونادى بوجود إله واحد وأن الروح خالدة، ولد أفلاطون سنة 429 لأسرة أرستقراطية تعود أصولها إلى آخر ملوك أثينا، ووالدته إلى المشرع الإغريقي صولون، تعلم في مصر على يد رفاق فيثاغورس، كتب في العلوم السياسية والقوانين وماوراء الطبيعة الميتافيزيقا وحوارات فلسفية، ويعتبر مؤسس لأكاديمية أثينا التي هي أول معهد للتعليم العالي في العالم الغربي . ديوران، مرجع سابق، ص 468 .

(2) من علماء الرياضيات 492ق.م، رحل إلى مصر وزار بابل حيث تعلم ودرس وجمع مشاهداته، وعندما عاد أدخل الهندسة النظرية وعلم الفلك والطب والدين، رأى أن جوهر الأشياء هو العدد، أي أن كل شيء له علاقات هندسية ورياضية، وكشف كثيراً من النظريات الهندسية، ويعتبر واضع أساس العلوم الطبيعية، ومن تلاميذه الفيلسوف سقراط. السيد، أشرف، موسوعة الفكر التربوي الإغريقي، ص 30-34 .

(3) ولد في عام 436 ق.م. لأسرة كانت تصنع آلات الناي الموسيقية، وأتاحت لابنها جميع الفرص التعليمية، وقامت بإرساله لدراسة البلاغة على في تساليا، اضطر إلى كسب قوته بقلمه بعد أن ذهبت حرب البلوبونيز بثروة عائلته؛ فبدأ بكتابة الخطب لغيره، ولم يحاول أن يكون خطيباً. نفسه (4) عبد الدائم، عبدالله، التربية عبر التاريخ، بيرت، دار العلم للملايين، ط3، 1978، ص ص 19-56 .

كان للفلسفة أثرها في الوعي، كما لها أثرها في شكل ونوع التعليم، وليس ثمة مذهب تربوي منذ العهد الكلاسيكي إلا وأعلن أن رسالة الإنسان هي تحقيق ماهيته، ومن تلك الأيام احتدم النقاش بين الفلاسفة، حول أهداف التربية العقلية أو الخلقية، وهل تكون أكبر العناية بتنمية الكفاية العملية أو بتعليم العلوم النظرية البحتة، ولكنهم اتفقوا على أن مكانة المعرفة هي أسمى مكانة، فحث سقراطيس على الفضيلة، وطلب من الإنسان أن يعرف نفسه لأن النفس مليئة بالحقائق واتخذ من عبارة منقوشة في معبد (اعرف نفسك بنفسك) نقطة بداية لأن إذا ما عرف الإنسان نفسه، فإنه يدرك الحالات التي تميزه عن غيره، كما يدرك الحالات التي يشترك فيها مع الآخرين، فانصرف عن دراسة الطبيعة إلى دراسة الإنسان، وكانت تعاليمه وتعليمه عن طريق الحوار، ولهذا لم يترك وراءه مؤلفات تشرح فلسفته، إلا انه ترك تلاميذه ومنهم المفكر أفلاطون، الذي سجل أفكاره التربوية في شكل محاورات فلسفية تدور حول المجتمع، ومنها أن التعليم يجب ان يسود الحياة العامة والخاصة، وان تنشئ الدولة مدارس وتشرف إشرافاً تاماً على شؤون التعليم، ويجب أن يكون أكبر موظف في الدولة هو وزير المعارف، ويجب ان تحل السلطة محل الحرية في شؤون التعليم، ورسم في كتابه الجمهورية الذي يعتبر أكمل عرض لفلسفته مخططاً لمجتمعاً مثالياً، وابتكر نظاماً تربوياً يعمل من أجل خلق هذا المجتمع، فالأطفال يولدون ويؤخذون إلى الدولة حيث يتلقون تعليماً يتكون في معظمه من الألعاب الرياضية والموسيقا، إذ يؤكد هو كذلك على الهدف الأخلاقي للتعليم البدني، فالفساد يرجع إلى التعليم السيئ والحالة البدنية الضعيفة، فالتربية البدنية وسيلة الكمال الأخلاقي، وضرورة الموازنة بينهما، فالألعاب الرياضية تعد الجميع للحياة الفعلية، وأفلاطون قسم الناس فئات، وخصص لكل فئة مايناسبها من تعليم، طبقاً للوظيفة التي يريد أن يؤديها، فلم يميز بين رجل وأمرأة بل آمن بأن النساء قادرات على القيام بجميع الأعمال إذا كانت لهن الكفاية، فالتفاوت بينهما في الدرجة لا في النوع، وجعل للنساء فرصاً تعليمية متقاربة مع الرجال، فقال: على الدولة ان تتولى تربية الأطفال جميعهم، وتقدم لهم فرصاً للتعليم متكافئة، ويجب ألا تكون الطبقات وراثية، وأن يكون للبنات من الفرص مثل ما للأولاد، وألا تُمنع النساء من تولى مناصب الدولة لأنهن نساء، واعتقد أنه بهذا النموذج يستطيع أن يوجد مجتمعاً يسر الفيلسوف ان يعيش فيه (1).

انشأ أرسطوطاليس (2) Aristoteles مدرسة لتعليم الفلسفة والبلاغة، وفيها حديقة للحيوان ومتحفاً

(1) عبدالدائم، مرجع سابق، ط3، ص 59-63؛ سيجل، جانيس، التربية والتعليم في اليونان القديمة، المملكة المتحدة، هامبدن للنشر، 2003، ص ص 94-95؛ ديورانت، مرجع سابق، ج1، مج2، ص6، ص 426 .

(2) أرسطوطاليس 384-322 ق.م. تلميذ أفلاطون، واستاذ الإسكندر، جاء إلى أثينا من اسطاغيرا في تراقيا، وكان أبوه الطبيب الخاص لأمينتاس الثاني والد فيليب، يوصف بأول المدرسين، من إنتاجه الباقي: فيما وراء الطبيعة والأخلاق والسياسة والمنطق والبلاغة . Petrie, Ibid, pp. 118-119 .

للتاريخ الطبيعي، واختار مكانها فى أجمل مكان للتدريب الرياضى فى أثينا، به مجموعة من المباني تحيط بها حدائق وطرقات، وسميت المدرسة فيما بعد باللوكيوم Lyceum، كما سُمى الطلبة بالمشائين ومدرستهم بالمشائية نسبة إلى المماشى المسقوفة التى كان يحب أن يمشى فيها مع طلبته وهو يحاضرهم، وقامت منافسة بين اللوكيوم التى أغلب طلبتها من الطبقة الوسطى، وبين المجمع العلمى الذى أعضائه من طبقة الأشراف، ومدرسة إيسوكراتيس التى يأتى إليها فى الغالب إغريق المستعمرات، وجمع وألحق أرسطوطاليس بمباني المدرسة مكتبة، ولم يكن يوجد فى بلاد الإغريق حتى ذلك الوقت مكتبة عامة بالمعنى والشكل المعروف، إذ أصبحت وقتها أشهر مكتبة حينئذ، فلا يوجد معلومات عن أية مكتبة أخرى قبلها، الملوك، وبفضل الكتب التى وجدت فيها باللغة الإغريقية أو بلغات أخرى فمن المرجح أن العلماء والفلاسفة استفادوا منها، وباستثناء المكتبات التى تأسست بعد ذلك فى الممالك الهيلينية، وربما وجد ما يشبه المكتبة أو مركز للوثائق الرسمية فى ميليت، ، وربما كان فى بلاد الإغريق منذ ذلك العهد وعلى الدوام دور كتب تقتنيها الدولة (1) .

هؤلاء الفلاسفة وبعض من تلاميذهم جعلوا من أثينا مركزاً للدراسات الفلسفية، وصارت جامعتها تحظى بمكانة توطدت دعائمها مع الزمن، وأثرت لاشك على تطور التعليم الإغريقى، فقد أنشئت فيها المدارس الكبرى، التى صار مقدراً لها أن تسيطر على الفكر الهيلينيسى وعلى الحياة الثقافية، لأنها ظلت أكثر نشاطاً تعليمياً لاجتذاب الطلبة من أى مكان آخر، حيث جمعت من جميع أنحاء بلاد الإغريق من العقول أكثر مما جمعت أية مدينة أخرى فى أى وقت مضى، وهؤلاء الرواد وتلاميذهم تنافسوا فيما بينهم فى ظل سياسة مستنيرة، ولا عجب ان استمرت أثينا من بعدهم أقوى قطب لاجتذاب الفلاسفة إليها، وأفضل موقع لاحتواء طلاب العلم (2) .

إن قيم وفلسفة العصر الهيلينيسى قامت على الأسس التى وضعها فيثاغورس وسقراط وأفلاطون

(1) ديورانت، مرجع سابق، ج2، مج2، 7، ص ص 492-522؛ نفسه، ج1، مج2، 6، 376 .

(2) Guthrie, W., A History of Greek Philosophy, II, London, 1996, pp. 10- 15; Robert. Rusk, The Philisophical Vases of Education, Uni. Of London Press,1929, p. 110 .

وأرسطوطاليس، والدليل ان هؤلاء ظلوا أكثر ذكراً من ذلك العدد الكبير من الفلاسفة أو المعلمين الذين برزوا فى عصر بريكليس Perikles، وأطلق عليهم السوفسطائيين، والذين كان لهم دور كبير كذلك فى الحياة التعليمية والاجتماعية والسياسية، وهم معلمين على خبرة بفرع من فروع المعرفة، وقاموا بتعليمها لتلاميذهم لقاء أجر أو بدونه أحياناً، وقد كان أثر هؤلاء فى التربية والتعليم واضحاً، فقد ساهموا فى نشر ما يمكن أن يطلق عليه بالمفهوم العام " الدراسة العليا" بإدخالهم موضوعات ودروس جديدة أعلى قاموا بتعليمها لكل من يرغب، والأهم أنهم نادوا بأفكار مادية فى بحوثهم عن الكون أو المجتمع، وأن تلك الطرق والأساليب والأفكار التى نشروها، هى التى أرست قواعد التفكير العلمى الذى لم يكن له أساس من قبل، ولذلك فهؤلاء الفلاسفة أو المعلمين العمليين يعتبرون رواد التعليم العالى الأوائل (1) .

فى العهد الهيلينيستى بدأ الاهتمام أكثر بدراسة الظواهر الطبيعية، فوضعوا التطبيق العلمى والتجربة فى القاعدة الأولى، بعد أن كانت الأولوية للفكر النظرى، فعدت التجريبية اتجاهاً وسمة من سمات المعرفة منذ تلك الفترة، وأنتجت تطبيقاتهم عن نتائج اسهمت بشكل عملى فى اتساع الاتجاه العلمى وفى فهم بعض من مشكلات الواقع الإنسانى، وبرغم ذلك لا يزال البعض يرى أنه ليس هناك وجه مقارنة بين العصر الإغريقى الكلاسيكى، الذى يعتبر العصر الذهبى للحضارة الإغريقية، وبين العصر الهيلينيستى، فلكل عصر ظروفه وأحداثه التى تميزه وتؤثر على انتاجه الفكرى (2) .

حاولت بعض من اتجاهات الفلسفات السابقة فرض بعض أساليبها على العلم الطبيعى، فظهر اتجاه عارض ذلك، وانتقد التركيز على النواحي النظرية، فى الوقت الذى رأى اتجاه آخر ان الفلسفة لا تعرقل العلم، فهى من وضعت أسسه وقوانينه الأولى، وبدأت اتجاهات فلسفية علمية تتجه من البحث فى الأخلاق والسلوك الإنسانى إلى أسس طبيعية، وبدأ بعض من الفلاسفة يدفعون تلاميذهم إلى العلوم الطبيعية، وكثير من النظريات والأفكار كانت من العوامل المشجعة للتفكير النقدى وللتحليل العلمى، وانتقلت وانتشرت تلك الآراء فأصبحت مادة جميع الفلسفة الكبرى فى القرون التالية (3) .

(1) ديورانت، مرجع سابق، مج2، ج2، 7، ص ص 11- 17 ; نفسه، ص ص 211- 212.

(2) نفسه، ص ص 196- 199 . ; Petrie, Ibid, pp. 34-35 .

(3) ديورانت، مرجع سابق، ج1، مج2، 6، ص 426 .

" ظهرت المدارس الفلسفية كالرواقية Stoikoi والأبيقورية Epikoureioi والمدرسة الكورينية وغيرها من المدارس الفلسفية فى الفترة الهيلينيسية، وخاصة الفترة 323 - 300 ق.م. وكانت تقوم على المنهج العقلى والأستدلال على أسس منطقية، ومنذ ان بدأت هذه المدارس تكسب اتباعاً، والعلم والتعليم بمختلف فروعه يلقى رواجاً، إذ ان قواعد التفكير العلمى غدت أساس لكل عمل وبناء وكشف، فالواقعية والعلمية التى أرسى أساسها ودعائمها مفكرو الإغريق أتت بثمارها ونتائجها، عندما أخذ العلم يتحرر من الدين والفلسفة كما تحرر من الأساطير والخرافات، وهذا الأتجاه الواقعى بدأ بالنظريات الفلسفية التى ظهرت فى القرن الرابع ق.م." (1) .

كل تلك الأفكار العديدة التى خرجت على الفكر النظرى الذى ساد وقتذاك، مهدت لبروز مدارس فلسفية كبرى ازدهرت فى الفترة الهيلينيسية، وكان لكل منها اتباعها وطرقها فى نشر أفكارها، لكنها اتفقت على أن تضع أمام إغريق المرحلة حلوياً تساعدهم فى مواجهة الظروف والمتغيرات، ومع أنهم لم يضعوا السياسة الأسرع لهذا الانتقال، ولكنهم أيقظوا الوعى، ولولاهم لما وجدت النظريات والتجارب فى مدونات الفترة الهيلينيسية، وبدا كأنه حان الوقت الذى يجب فيه بحث الأساليب القديمة، لكى تواكب التغييرات السياسية والثقافية بدلاً من مقاومتها، فالتفكير النقدى والنظرة العلمية واتساع المعرفة كانت سمة من سمات عصرهم، وسبباً فى جعل الجميع ينظرون إلى الأمور نظرة أخرى، فلم يعد البعض يستثنى حتى الديانة الإغريقية بدون نقدها، كما انتقدوا التقاليد السائدة، واعتقدوا أنهم بعملهم هذا يتحررون من الجهل، ويقيموا نظاماً جديدة بدل النظم التى لا يؤيدها العقل (2) .

كان للفلاسفة الأوائل، ثم المدارس الفلسفية دورها، فهؤلاء يعدون من بين العوامل التى ظل لها الأثر البارز فى جوانب الحياة الإغريقية كلها، ولكن دورهم الأهم كان فى اتساع دائرة التعليم، عندما رفضوا

(1) من اهم مدارس الفلسفة، اسسها الفيلسوف ابيقور 341 - 371 Epikourous ق.م الذى تحولت الفلسفة فى عصره من النظرية إلى التطبيق، ومن العقلانية إلى دراسة السلوك، الرواقية مدرسة فلسفية مناهضة للأبيقورية مؤسسها الفيلسوف زينون 333 - 261 ق.م. إبراهيم، محمد حمدى، الأدب السكندرى، القاهرة، دار الثقافة، 1985، ص ص 45 - 55; Zeller, E., Stoics, Epicureans, and Sceptics, London, 1870, pp. 209 ff; Wright, Ibid, pp. 234 ff .

(2) Idem, pp. 669- 670 .

الأفكار التقليدية، مقدمين معايير غير مسبوقه تركز على العقل وحده، واشتركوا فى تنامى حركة البحث والجدل والتفكير، فالاتجاه للعلمية والإصلاح التعليمى جاء به السوفسطائيين، فهم الذين اخترعوا المنطق، ورقوا الجدل وحلوا أشكال الحوار، وعلموا طلبتهم كيف يكشفون الخطأ المنطقى، وبعثوه فيهم شغف بالمناظرة والأستدلال، فيسروا انتقال المعرفة، فالفلسفة والبلاغة وقواعد اللغة، والخطبة والمسرحية والسيرة والتاريخ والجغرافيا والطب والهندسة، وفى أى علم لابد أن يذكر هؤلاء، فالتعليم والبيئة خلقت العقول، وشكلت جيل متحمس للمعرفة، يجد متعة فى جمع الكتب، والبحث عن المكتبات الكبيرة، ويهتم بالمسرحيات، كذلك نشر هؤلاء السوفسطائيون نتائج أبحاثهم العلمية فى محاضرات وفصول، وبذلك أصبحوا مؤسسين للدراسات العليا وجذبوا الطلبة من جميع الطبقات يستمعون إلى تعاليمهم، فالتعليم والعلم نهض على أساس من التجربة ونتائجها، وهى الطريقة التى سيطبقها علماء الإغريق خلال القرنين الرابع والثالث ق.م. فالعلوم الإغريقية بلغت شأناً فى ذلك العهد، وافتتحت أهم المدارس فى شتى العلوم، وجاء إليها الطلاب من كل الأنحاء فى الغرب والشرق، ولعل اختلاف أصولهم وثقافتهم قد ساعد على تكوين الفلسفة الهيلينيستية الجامعة (1).

إن الجدل والمنافسة التى بعثها هؤلاء فى العلم وفى التربية والتعليم، جعلت من أئينا منذ عهد مبكر مركز التفكير الإغريقى، واستمر نشاطها بفضل تلاميذ أرسطو وأفلاطون، والمدارس الفلسفية الجديدة بعد ذلك، وجاء الشباب من جميع مدن المتوسط ليدرسوا فى الأبهاء والأروقة التى رعاها الفلاسفة، برغم ماكانوا يلاقونه من الصعوبات، فالمدينة التى كانت مهد الديمقراطية والحرية، ومركزاً فكرياً ولطالما سعت إلى التغيير، لم يعد لها من الناحية العسكرية والسياسية دورها الكبير فى الفترة الهيلينيستية، ولكن ظلت لها مكانتها الفلسفية الأولى، واستمر العديد يذهبون إليها من اجل دراسة الفلسفة طوال هذا العصر تقريباً، فالشهرة التى تمتعت بها مدارسها، اجتذبت إليها الجميع، فلاسفة وطلاب، وجعلتهم يفضلون ممارسة نشاطهم فيها على ممارسته فى عواصم الممالك الجديدة حتى الإسكندرية، التى لم تكن البيئة فيها مشجعة لهذا النوع من النشاط العقلى، ولعل الملوك لم يشجعوا دراستها منعاً لانتشار المعرفة الفلسفية وبروز مدارسها، فالإسكندرية لم تشتهر بدراسة الفلسفة حتى فى العصر البطلمى، وبرغم أنها لم تكن

(1) Tarn, W. & Griffith, G., Hellenistic Civilisation, 3, London, 1959, pp. 325- 330 .

المكان الأفضل لها إلا أن بعض من الفلاسفة وجدوا فيها جمهوراً متابعاً، ووفد إليها عدد من اتباع بعض المدارس وخاصةً من كوريني التي كان لها نشاط فلسفي واضح وازدهرت فيها مدارس الفلسفة، وظهرت فيها اتجاهات فلسفية معروفة ، ونظراً للدور الذي قامت به مدارسها في تلك الفترة، فقد صارت لها مع الوقت مكانتها، ومنها جاء جُلّ الفلاسفة الذين برزوا في الإسكندرية أو اثينا موطن الفلسفة، وربما لذلك لم توجد منافسة بين مدارس كوريني الفلسفية ومدارس الإسكندرية حتى عهدها الأخيرة، عندما ظهرت فيها اتجاهات بعضها ظلت محافظة وتقليدية، وبعضها الآخر استخدمت طرق وأساليب جديدة، إلى أن غدت المدينة قاعدة لحركات دينية عنيفة في القرن الثاني م (1) .

في العصر الهيلينيستي تنامي الميل العلمي والتعليمي، وغدت العلمية والواقعية من سماته، وسادت رغبة كبيرة في المعرفة سواء في مجال العلم أو التعليم، ففي المجال الأول، أسفر التطبيق العملي للأفكار النظرية عن اكتشافات غيرت من مظاهر الحياة إلى حد ما، وسار التوجه واقعي بعد أن سيطر الاتجاه الخيالي على العقلية الإغريقية، فأقبل العلماء على التطبيق العملي، فبدأوا البحث بالتجربة، واوجدوا ميادين أخرى، وظهرت نتائج أو مخرجات هذا التعليم النوعي في ذلك الكم الكبير من العلماء تلاميذهم البارزين في كل نواحي العلوم والآداب والفنون، فالعقلية الإغريقية لم تتوقف عن الابتكار، والنبوغ والعبقرية الإغريقية في كثير من الأحيان بلغت مراتب عالية، ولقد كان هؤلاء أداة هذا البحث، وحافزاً قوياً لطلب المعرفة، وجعلوا من التعليم سمة العصر، وأنهم جأوا بأفكار وأسباب للتفكير، وأساليب للبحث غير مسبوقة، وأيقظوا الوعي والنضوج الذهني، فاصبحوا يجيزون التجارب العملية ليتوصلوا بها إلى فهم النظريات، كما كانوا يستخدمون النظريات لما تؤدي إليه من نتائج عملية، فكان الاتجاه الأبرز إلى التجريبية والعلمية، وأخذت تلك الآراء التي كانت من قبل أفكاراً تنضج وتتشكل مع الوقت، وأضحت مدارس ونظماً مستقرة ظلت مصدر الحركة العلمية والتعليمية عدة قرون (2) .

(1) إبراهيم، محمد حمدي، مرجع سابق، ص 8 .

(2) نفسه، ص ص 13 - 50 .

قصارى القول أن القرون الخامس والرابع ق.م. فى جميع المستعمرات الإغريقية كان عصر تطور علمى، ففى ميدان التعليم هم لم يبنوا إلا فوق الأساس القديم، ومع احتفاظهم بالأسس قاموا بالكثير حتى صار تعليماً متعدد الأشكال والمعارف، فى وقت لم تكن المعرفة فيه قد بلغت حداً من الاتساع يجعلها فى متناول الجميع، فقبل العهد الهيلينيستى لم يكن هناك انتشار واسع للتعليم، وإلى ذلك الوقت حيث ازدهرت تلك الأفكار التى مهد لها مفكروا الإغريق منذ العصر الكلاسيكى، حيث الحرية والمهارات التقنية، كانت ذات أهمية فى تطوره وانتشاره بدرجة تلائم تلك النظم التى عرفوها ومارسوها منذ ذلك الوقت، فالإغريق حققوا تقدماً تعليمياً ملموساً فى عهدهم الذهبى وفى الفترات اللاحقة، وهى العهود التى اعتمدت وقامت إلى حد كبير على نظم وأسس التربية الإغريقية القديمة، فلقد بقى التعليم الإغريقى امتداداً ومعينا هائلاً للتعليم اللاحق، ومن خلاله يمكن الحكم على مقدار ما وصل إليه من سبل ونقاط ضعف أو قوة مهدت للنهضة التعليمية التى شهدها العصر البطلمى .

الفصل الأول

العوامل التي أثرت على التربية والتعليم في دولة البطالمة

الفصل الأول

العوامل التي أثرت على التربية والتعليم في دولة البطالمة

إن دولة البطالمة ظهرت على أسس عديدة سياسية وعسكرية وإقتصادية واجتماعية وثقافية، وامتدت حدودها خلال القرن الثالث ق.م. شرقاً وغرباً في عدة أقاليم ومناطق مهمة في شرق المتوسط وبحر إيجيه وشواطئ آسيا الصغرى الجنوبية والغربية والدرديل وبحر مرمرة وشواطئ البحر الأسود الجنوبية، فكانت الممتلكات البطلمية تشمل مصر Egypt وكيرينايا Kyrenaika وقبرص Cyprus وسوريا Syria والمدن الإغريقية في آسيا الصغرى وفي الجزر، وهي البقاع التي كان لها أبعد النثر في السياسة الدولية خلال ذلك العهد وعلى مدى ثلاثة قرون (1) وذلك يعني إن البطالمة استطاعوا تكوين شبه إمبراطورية مركزية، وأرتبطت بعض أجزائها بمركز هذه الإمبراطورية، وبعضها الآخر ظل بعيداً عن المركز، وأنهم لم يوفروا وقتاً وجهداً في الحفاظ عليها في مواجهة كل الظروف الداخلية والخارجية (2).

قبل أي حديث عن التعليم البطلمي؛ مدى انتشاره وتنوعه، وتطور نظمه ومؤسساته، سنتناول بشئ من الإيجاز الأوضاع والعوامل التي أثرت على التعليم في دولة البطالمة، ففي الواقع جوانب وظروف عديدة تلك التي اسهمت مجتمعة في رسم وخلق الخلفية والإطار والعمق والأبعاد للأشكال والصور والنتائج التي صار عليها أو وصل إليها هذا التعليم المختلف والتميز عن سابقه وحتى لاحقه، ولذلك سنعرض في البداية للظروف والأسباب التي اكتنفته وأثرت بشكل أو آخر، مباشر أو غير مباشر على نشاطه واستمراره؛ تراجع وضعه أو قوته وعلو وتيرته .

(1) نصحي ، إبراهيم، مصر في عصر البطالمة، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، ط4، القاهرة، 1976 .

(2) Jougue, Pierre, Macedonian Imperialism and The Hellenization of The East, The Institut Francaisd, Archeologie Orientale, 1926 .

أولاً: الأوضاع السياسية :

تدل كل الوقائع إن دولة البطالمة منذ تأسيسها دخلت فى صراعات مستمرة من أجل استقلالها وبقائها، فمذ تولى بطلميوس بن لاجوس Ptolemaios Lagos ولاية مصر عام 323 ق.م. اتخذها قاعدة لعملياته الحربية والتوسعية، ومنها بدأ فى مد حدوده، فاتجه إلى ثلاثة اتجاهات؛ نحو الجزء الشرقى للمتوسط، ونحو الجبهتين الغربية والجنوبية، وكل هذه الجهات شكلت بُعداً أمنياً لحدود دولته وخطوطها الدفاعية، فبطلميوس الأول الذى حمل لقب سوتير Soter بعد ذلك هو القائد المؤسس وأول حكامها، وقام بالكثير من العمل السياسى والحربى فى ظروف مختلفة؛ مساعدة وغير مساعدة فى أوقات أخرى، حتى استطاع أن يثبت وجودها وموقعها، وقد سارت سياسته فى عدة خطوط محددة تهدف جميعها إلى إرساء أسس هذه الدولة، أولها كان سعيه لمساندة التيار الذى كان ضد وحدة الإمبراطورية المقدونية، أما الخط الثانى فتمسكه بأن تكون مصر هى مركز الدولة، على ان استقلاله بها، وأعتراف الأطراف الأخرى بسلطته عليها، لم يشكل النهاية بالنسبة له، والخط الآخر الأوضح فى سياسته هو العمل وبكل الوسائل على ان يكون لهذا الكيان الجديد المكانة الأكبر فى المنطقة التى يشملها العالم المتأغرق (1).

لقد اتبع أول ملوك البطالمة كل الطرق والسياسات التى مكنته من تحقيق أهدافه، ولهذا ظلت كل أعماله وخطواته موجهة بالكامل نحو تأكيد استقلاله وتثبيت مركزه عن طريق تمكين قاعدة حكمه وسلطته داخلياً وخارجياً، فاستطاع فى بعض الأحيان أن يحقق بالدبلوماسية ما عجز عن تحقيقه بالوسائل العسكرية، تلك التى بدأت بمقاومته كل محاولات توحيد الإمبراطورية، وانتهت بمشاركته فى القضاء على السلطة المركزية، وكذلك هو لم يشارك بقواته فى كل تلك الحروب التى دارت رحاها بين الإغريق والتى انتهت بهزيمة جزء منهم ودفعت بالجزء الآخر خارج بلادهم (2).

(1) العبادى، مصطفى، العصر الهيلينستى، بيروت، دار النهضة العربية، 1988، ص 33؛ مكاوى، فوزى، الشرق الأدنى فى العصرين الهيلينستى والرومانى، القاهرة، المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات، 1999، ص 44-47؛ بورتر هارفى، مختصر التاريخ القديم، (ت. إبراهيم حورانى)، القاهرة، مكتبة مديولى، 1991، ص 301 .

(2) بورتر، مرجع سابق، ص 300؛ مكاوى؛ مرجع سابق، ص ص 28-30؛ دياكوف، س.، كوفاليف، ف.، الحضارات القديمة، (ت. نسيم واكيم اليازجى)، 2، دمشق، منشورات علاء الدين، ط1، 1997، ص 405؛ لامب، هارولد، الإسكندر المقدونى، (ت. عبد الجبار عبد المطلب)، بغداد، المكتبة الأهلية، 1965، ص 50؛ Mahffy, J. P., Empire of the Ptolemies, London, 1895, p. 206

بحسب ما مر من وقائع وأحداث، فإنه بعد فترة من الصراع الحربى والسياسى تمكن القائد المقدونى بطلميوس من الإستقلال بولايتيه الشرقية التى كانت جزءاً من الإمبراطورية المقدونية، وقد تعززت قاعدته منذ كان والياً على مصر ووصولاً إلى اتخاذه لقب ملك، عندها عمل على الإستقلال واستغلال كل الظروف والإمكانات لدعم كيانه السياسى، ومن البداية ساعدت تلك التطلعات السياسية والعسكرية الفرص والأوضاع، سواء تلك التى لها صلة باختفاء السلطة المركزية فى الإمبراطورية أو بإبتعاده عن مركز الصراع على القيادة فى مقدونيا Makedonia وبابل Babylon، حيث استمرت الحروب فى هذه المناطق لفترات طويلة بعد الإسكندر المقدونى Alexander III Macedon، ذلك الصراع الذى استمر بين القادة حتى بعد اقتسامهم الأملاك الواسعة، واصبحوا بموجب هذا التقسيم ملوكاً على الممالك المقدونية والسلوقية والبطلمية، ونتيجة أيضاً للتنافس السياسى والعسكرى والإقتصادى الذى استمر واتخذ صوراً عديدة بعد ذلك بين الدول الجديدة (1) .

كانت سياسة بطلميوس الأول التوسعية قامت على تحصين خطوطه الدفاعية أولاً، ثم الامتداد إلى حيث يقدر أن يصل بهذه الحدود، فبطلميوس بن لاجوس هو من شيد الجانب الأكبر لدولة البطالمة، ولكونه المؤسس خاض العديد من المعارك الحربية والسياسية قبل ان يتمكن من تثبيت مركز دولته الناشئة داخلياً وخارجياً، وظل الهدف الأساسى الحفاظ على الاستقلال وإقامة مملكة قوية، فمنذ وقت مبكر بدأ بطلميوس برسم الخطوط والقواعد للرقعة الجغرافية التى حملت اسمه، ولهذا كان عليه وعلى خلفائه من بعده لأجل البقاء والاستمرار مواجهة جميع أشكال التحديات والصعوبات، ومن خلال ما قام به من اعمال رأى ان القوة تتوقف على تضافر كل العناصر والمكونات مجتمعة، وعلى مدى اسهاماتها فى خدمة مرافق وإجهزة مملكته، لذلك كان عليه التركيز لأجل تحقيق هذه الغاية على جميع النواحي بمستوى العمل على القوة العسكرية والسياسية معاً، لتتناسب مع حجم التحديات والطموحات القريبة والبعيدة، وهذه السياسة ساعدته على النجاح داخلياً وخارجياً، فالظروف السياسية والعسكرية والإقتصادية المواتية مكنته من الحفاظ على ماتحت سلطته، ثم التوسع بعد ذلك فى اتجاه الغرب والجنوب والشمال (2) .

(1) نصحى، مرجع سابق، ج1، ص ص 48-59 .

(2) نصحى، مرجع سابق، ج2، ص 217 .

فى أواخر القرن الرابع كان البطالمة أصحاب السيادة البحرية على عسبة الجزر وشاطئ فينيقيا وعلى موانئ سوريا وفلسطين وكيرينايا، وعلى بحر إيجة وشواطئ آسيا الصغرى الجنوبية والغربية، وفى الدردنيل وبحر مرمرة وشواطئ البحر الأسود الجنوبية، وأمام هذا التوسع كان على البطالمة أن يحافظوا على حدودهم المترامية بوجود الحاميات الكبيرة فى كل المناطق الحدودية، ومواجهة المتطلبات والتهديدات الأمنية والإقتصادية، وذلك الامتداد يشير إلى ان البطالمة الأوائل لم يقفوا عند حدود السيطرة على الطرق البحرية والبرية فحسب، بل الإستيلاء كذلك على الأقاليم ذات الأهمية من اجل الحصول على سيادة العالم؛ الهدف الذى كان وراء كل مشروعاتهم السياسية والعسكرية، وهدف جميع القوى المنافسة لهم فى العالم الإغريقى منذ القرن الثالث، فكانت السياسة الأهم طوال عهود ملوكهم الأوائل تستهدف المحافظة على الاستقلال، وعن طريق اعمالهم الداخلية والخارجية التى قاموا بها تمكنوا من لعب الدور الأبرز فى سياسة العالم الهيلينىستي واحداثه، والدليل أنه على الرغم من التحديات التى واجهت البطالمة باستمرار فى هذه المرحلة فى كل جهات حدودهم، إلا انهم نجحوا فى إقامة دولتهم والحفاظ على نفوذهم وسيطرتهم على مدى أكثر من قرن (1) .

المملكة البطلمية ملكية وراثية قامت بحد السيف وعلى الحق الإلهى، والملك البطلمى هو أساس السلطة وقراراته هى القانون، ويعتبر كل سكانها رعايا الملك ومسئولين أمامه، ولذلك تمتع بطلميوس المؤسس وورثته من بعده بالمكانة العليا والسلطة المطلقة فى مملكته، وسار بطلميوس الثانى فيلادلفوس Philadelphus II فى الاتجاه نفسه لسياسة والده التوسعية، فدمج حدود الدولة الغربية والشرقية والشمالية فى ثلاث جهات رئيسية وحيوية هى كيرينايا وسوريا وحوض بحر إيجة، ومع نهاية عصر بطلميوس الثالث يورجيتس Eurgetes III استكمل شكل ونظام الدولة السياسى والإقتصادى والإجتماعى والثقافى أهم معالمه الأساسية، ونعمت الدولة بالإستقرار والأمن فى ظل حكم الملوك الثلاثة الأوائل حتى عصر بطلميوس الرابع فيلوباتور Philopator IV، وعندها المرحلة الأولى للدولة اتسمت بالاتجاه التوسعى (2) .

(1) Jouguet, Mac., Imp., I, p. 332 ff .

(2) لطفى عبد الوهاب، دراسات فى العصر الهيلينىستى، بيروت، دار النهضة العربية، 1977، ص ص 201-202؛ حسين، عاصم

مهدت لبطلميوس لاشك قدراته ومواهبه السياسية والعسكرية، ولكن تهيأت أسباب وظروف أخرى ارتبطت بقاعدة هذا الملك ومركزه، وهي مصر؛ البلاد التي تميزت أولاً ببعدها عن بؤرة الصراع وبموقعها الجغرافي بين العالم المتمدين، فالمنطقة ذات البعد الأمني والإستراتيجي ساعدت بإمكاناتها الطبيعية على تهيئة الإستقرار بمكانها المتوسط والمتحكم بالطرق والمنافذ البرية والبحرية، حيث قواعد الملاحة وملتقى الحركة بين القارات، وشكلت الصحارى والمستنقعات من حولها موانع دفاعية ساعدت على تحصين حدودها من الغزو الخارجى، وتوطيد الأمن فى ربوعها، مما أتاح الفرصة للسيطرة على الأوضاع الداخلية وترتيب النواحي الأمنية والإدارية، فمصر كانت المنطقة المناسبة التي نمت فيها الدولة البطلمية ووجدت الظروف الملائمة لها، فاستحوذهم عليها دعمت استقلالهم السياسى وموقفهم الحربى، ومكنت قواتهم من بناء قواعد البرية والبحرية ذات الوجود الفاعل فى الموانئ المطلة على سواحل المتوسط، أو فى الشرق الغنى بموارده التي تحتاج إليها دولة فى مرحلة البناء والتأسيس (1) .

كان على خلفاء بطلميوس استكمال التأسيس والحفاظ عليه امام القوى المنافسة لهم، مايعنى ان اتجاه الملوك الأوائل فى بناء الدولة بدأ على قواعد عدة، اهمها الأساس الأمنى، ثم السياسى والإقتصادى، ولهذا تواجدت فى كل المدن والمقاطعات البطلمية حامية عسكرية إغريقية، ووجدت كذلك قوة أخرى داخلية من رؤساء ورجال الشرطة لحفظ الأمن والنظام، بينما وجدت أيضاً مائعرف بالفرق الأحتياطية مكونة من العناصر الأخرى غير الإغريقية تؤدى أعمالاً ثانوية مساعدة لايعتمد عليها إلا فى حالات الضرورة، فالإغريق ظلوا يحتكرون هذا المكان أساساً، وإذا دعت الحاجة فقد كانت هذه الفرق التي تتكون منها قوة

احمد، دراسات فى تاريخ وحضارة البطالمة، ط2، مطبعة غاديكوا، القاهرة، 1991، ص ص 28-30 ; داونى،جلانفيل، أنطاكية القديمة، (ت. إبراهيم نصحى)، القاهرة، دار النهضة العربية، د.ت، ص 73; بل، هارولد أيدرس، الهيلينية فى مصر (ت.زكى على)، القاهرة، دار المعارف، 1959، ص 82; لانجر، وليم، موسوعة تاريخ العالم، ج1، (ت. مصطفى زيادة)، مكتبة النهضة المصرية، د.ت، ص ص 212-213; عبدالحق، سليم عادل، روما والشرق الرومانى، دمشق، المطبعة الهاشمية، 1975، ص 284-286; دياكوف، كوفاليف، مرجع سابق، ج2، ص 405; Cary, M., & Suillard, H., A History of Rome, London, 1974, pp. 319- 335; Chamoux, F., 405 Surkuclque inscription Greeques Trovees Apollonia, der Cyrenaique, Libya in History, Benghazi, p. 47; Green, Peter, from Alexander to Actium ' Historical Evolution of the Hellenistic Age', Uni. Of California press, 1993, pp. 945- 970; Tarn & Griffith, Hellenistic Civilisation, p. 34; Good Child, R., Crene and Apollonia, in Historical guide Department of Antiquities, 4th edition, 1981, p. 70; Livius, Hist., XII, p. I sq; Strabon Geographia, XVII, 797. 8 .

(1) Bevan, E. R., History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty, London, 1927, pp. 132 ff .

الجيش تستكمل من عناصر أخرى من غير الإغريق، فالبطالمة برغم اعتمادهم بشكل كبير على الإغريق مثل السلوقيين، فقد رأوا إقامة جنودهم المرتزقة وسط عامة السكان في مدن الأقاليم بدلاً من إقامتهم في مدن إغريقية الطراز، وحمت القوات البرية والأساطيل البحرية البطلمية الدولة وأمنت استقلالها، ومن أجل هذا اتخذوا سياسة ثابتة لتشجيع وتنظيم هجرة الإغريق إلى دولتهم، فمنحوا الجنود قطعاً من الأرض يمكنهم أن يقيموا عليها ويستثمرونها في وقت السلم، وكذلك طبق هذا النظام بالنسبة لنسبة لموظفي الدولة المدنيين، لأن نظام المرتبات النظامية لم يكن شائعاً في ذلك الوقت (1) .

كان على البطالمة القيام بكثير من الجهود لإيجاد اوضاع مستقرة في كل الجهات المترامية الأطراف التي حكموها، ببناء النواحي العسكرية والسياسية والإدارية حتى تبقى دولتهم وتفرض مكانتها ووجودها في العالم الهيلينيستي المتنافس، لأن بناء الدول لا بد ان تدعمه مقومات وأركان أخرى غير النواحي الحربية، وهي المقومات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ولكن في البداية كانت القوة العسكرية دعامة أساسية اعتمد عليها البطالمة في إقامة مملكتهم في وجه تحديات العصر الذي ماتزال القوة فيه تشكل الفيصل في العلاقات الدولية، وفي رسم حدود الدول، والنظام السياسي أصلاً عند المقدونيين عامةً والبطالمة خاصةً قام على أساس ان الجيش هو القاعدة السياسية والشعبية التي تعطى لسلطات الملك الشرعية، واعتمدوا من البداية في قواتهم العسكرية الأساسية حتى بداية عهد بطلميوس الرابع على ألوية مكونة من عناصر نظامية مقدونية وإغريقية شكلت الأساس للفرق الحربية البرية والبحرية، فنظام الأرتزاق في الجيش البطلمي والذي احتكره الإغريق في البداية أتى بنتائجه، وكان من بين الأسباب التي ادت بعد ذلك إلى تعدد الأجناس في دولة البطالمة، ما أضفى عليها الطابع العالمي المختلط، منذ الاعتماد على الجنود المرتزقة بشكل متزايد من كل الأعراق، ومع ذلك ظلت هذه العناصر كلها يطلق عليها اسم المقدونيين بصرف النظر عن الأصل الذي تنتمي إليه، ولهذا اتسم الجيش البطلمي مع الوقت بالصفة الدولية في طابعه وتكوينه، فالجيش والقوة العسكرية من الدعامات الرئيسية التي اعتمد عليها البطالمة في تثبيت أركان الدولة، وفي مواجهة القوى الأخرى، وساعدتهم في الحصول على هذه القوات المكونة من العناصر

(1) Idem .

والخبرات الإغريقية بدايةً الوقائع والأحداث الأمنية المتلاحقة، فضمت قواتهم أعداداً كبيرة من المهاجرين الإغريق، ثم من أجناس أخرى غربية وشرقية عديدة لاحقاً، وأن وجود هذه الأعراق المختلفة في جيش واحد لم يكن شيئاً يصعب تصوره في ذلك العصر، واتصفت به الجيوش العسكرية بعد ذلك، فالعصر ابتداءً باتجاه برزت فيه العالمية في أكثر من صورة، وقد أدى هذا إلى مرونة أكثر بالنسبة للبطالمة الذين لم يلتزموا في هذا المجال بنسبة ما بين العناصر التي شملت الإغريق وآخرون ينحدرون من سلالات من الشرق والغرب، فكيفوا قواتهم حسب الظروف التي احاطت بهم في المراحل المختلفة من حكمهم، ولذلك لا يمكن القول لذلك إن الدولة البطلمية كانت دولة قومية موحدة، لقد كانت أقرب ما تكون إلى دولة تتألف من عدة أقاليم وعناصر متباينة وتخضع لحكومة بيروقراطية مطلقة (1).

ورث البطالمة السيادة السياسية والعسكرية على المنطقة، وإن دولة البطالمة وقد غدت ملكية مطلقة، أخذت شكلها المركزي من مصر وفارس، واستقلال مدنها بشؤونها الخاصة من بلاد الإغريق، فلم يهتم الملوك كثيراً باستقلال المدن الإغريقية التي خضعت لهم، ذلك أن سيطرتهم في معظم الأحوال لم تقف عند حد القضاء على حقها في إقامة علاقات خارجية، بل امتدت إلى شؤونها الداخلية، كذلك كان من مظاهر خضوعها أنهم فرضوا عليها الجزية، وأحياناً تعفى منها إذا ماعبرت عن ولائها للأسرة البطلمية بمشاركة في الأحتفالات المعروفة بإسم البطلميات، وعلى الرغم من احتفاظ بعض من هذه المدن الأقدم بدساتيرها كمدينة كوريني *Cyrene* (2) التي تمسكت بقوانينها الخاصة، واحتفظت ببعض مقومات الحكم الذاتي، إلا أن غالبيتها لم تعد كيانات مستقلة بذاتها تحت حكم البطالمة، واصبحت تظهر سلطتهم في تعيين الحكام وحقوق السيادة وسك النقود، فبعض من المدن القديمة بقيت من الناحية الشكلية مُدناً متمتعة بالاستقلال الذاتي على غرار دول المدن الإغريقية، لكنها فعلياً أصبحت تخضع للسيطرة البطلمية، ومع ذلك ظلت تستمتع بقسط من الحريات الدينية، وكانت الجماعات الإغريقية والمصرية واليهودية تخضع كل منها لشرائعها الخاصة، وتختار قضاتها وتحاكم أمام محاكمها، وخلال ذلك العهد اعترف النظام

(1) العبادي، مصطفى، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، 2009، ص 38-46;

Rostovtzeff, M., *Social and Economic History of the Hellenistic World*, I, Oxford, 1953, p. 706 .

(2) لاروند، أندريه، برقة في العصر الهيلينستي من العصر الجمهوري حتى ولاية أغسطس، (ت. محمد عبد الكريم الوافي)، بنغازي، منشورات

جامعة قاربونس، ط1، 2002 .

القضائي البطلمي بأربعة أنظمة قانونية؛ للمدن الإغريقية، ولإغريق، والمصريين، واليهود، والأجانب، حيث اجتمعت التقاليد الإغريقية والشرائع المصرية على إقامة نظام تشريعي اخذت بعضه من القانون الأثيني وكان الكهنة المصريين في بعض الأحداث يهددون سيطرتهم، ولذلك حاول بعض من ملوك البطالمة إضعافهم، بتجريد المعابد من حقوقها، ولكن سرعان ماغيروا مواقفهم وعملوا على كسب تأييدهم والأستعانة بمشورتهم، بإبداء الاحترام للمعتقدات المصرية وبناء المعابد، فقد كانت سياسة البطالمة بالأساس هي احترام الديانات الأخرى، بل هم الذين استفادوا من هذه العقائد حينما اضفوا صفة التقديس أو الألوهية على حكمهم، واعترفوا في النهاية بالديانة المصرية ديانة رسمية (1) .

الواقع أن البطالمة الأوائل منهم والأواخر برغم انهم اخذوا بقسط وافر من الثقافة الهيلينية لم يظهروا في سياستهم الرسمية أى اهتمام بالنظريات المثالية، سواء أكان ذلك في الناحية السياسية أم النواحي الأخرى، فنظام الحكم الملكى البطلمى أصبح يمثل في جانب منه النظام الفردى المركزى، وفي جانب آخر احتفظت المدن بشكل دولة المدينة، ولكنها افتقدت جوهره ومحتواه، فالمجامع الدستورية في مدن البطالمة مارست نشاطاً محلياً مقيداً، وكل أولئك الخلفاء الذين اصبحوا ملوكاً لدولة كبرى لم يعودوا يواجهون صعوبة في تبرير سلطاتهم المطلقة لرعاياهم الإغريق، كذلك فهم لم يكونوا يحملون أفكاراً متطرفة عن وحدة العالم، أو توحيد الغرب والشرق تلك التي شغلت الإسكندر المقدوني، لكن بطلميوس الأول كانت له رؤية قريبة منها، ومعتدلة إلى حد ما، ففي الجانب الدينى اظهر احترامه للاديان الأخرى، وأباح حرية العبادة لجميع رعاياه في الدولة، وأنشأ عبادة مشتركة بين المعتقدات الإغريقية والمصرية (2)

استطاع بطلميوس المؤسس أن يُعطى لمقر ملكه السياسى والعسكرى منذ البداية شئ من الرمزية يدعم مركزه، ويكسبه مكانة معنوية وروحية عند الإغريق، عندما اقام في عاصمته ضريحاً للإسكندر، فمن

(1) -نصحي، مرجع سابق، ج2، ص 125؛ العبادى، العصر الهلينيستى، ص ص 125- 126 .

(2) تشكلت لجنة مشتركة من رجال الدين الإغريق والمصريين تولت إنشاء الديانة التوافقية، وانتهى الرأى بان يتكون محور العبادة الجديدة من ثلاث مقدس؛ سيرابيس وإيزيس وهاركوبوكراتيس، وانتشرت عبادة هذا الثلاث في نسخته الإغريقية في محيط المتوسط. الموسوعة المصرية، تاريخ مصر القديمة- العصر اليونانى الرومانى، مج1، ج2، الإسكندرية، جامعة الإسكندرية،كلية الآداب، 1964، ص 554؛ العبادى، مرجع سابق، ص ص 50- 53 .

السياسات الواضحة لبطلميوس خاصةً وللأسرة البطلمية عامةً اهتمامهم الكبير جعل الإسكندرية Alexandria قيمة سياسية ودينية، وفي سبيلهم لتوطيد هذه المكانة اتخذوها مركزاً لحكمهم وعاصمة للدولة، ومن الواضح أن الإسكندرية ازدهرت ازدهاراً كبيراً كونها العاصمة، وبدأت قيادتها اقدر الحكومات وأحسنها نظاماً في المحيط الهيلينيستي، بل صارت مركزاً عالمياً في العالم المتأغرق عندما نجحوا في وقت قصير في انتزاع القيادة السياسية والثقافية من أثينا (1) .

اعتمد البطالمة على العناصر الإغريقية في الحكم والحروب، ومنحوها الامتيازات، فالإغريق الذين احتفظوا بإغريقيتهم احتفظوا بمزاياهم ومكانتهم، وبطلميوس الأول وسائر البطالمة من بعده اتبعوا سياسة تهدف إلى أغرقة الإدارة والجيش، فجعلوا اللغة الإغريقية لغة رسمية تستخدم في دواوين الحكومة ومصالحها، فصارت الكويني Koine وهي الإغريقية الهيلينيستية، لغة البلاط والإدارة (2) .

ظلت الدولة مكونة من أقاليم، وكل إقليم إلى مقاطعات ومدن، وكل مدينة إلى أحياء، فقد حافظ البطالمة على شكل التقسيم القديم وهو تقسيم المقاطعات، التي تنقسم بدورها إلى مناطق إدارية وعسكرية، وفي كل منطقة يوجد حاكم عسكري يسمى إستراتيجوس Estrategos، فهو قائد الحامية العسكرية فيها والمشرف الإداري والمالي، وإلى جانبه موظف كبير يدعى نومارخس Nomarchos من اهم اختصاصاته الإشراف على الأعمال العامة وإقطاعات الملك، واهتم البطالمة بنشر الأمن والنظام في أنحاء الدولة، ولذلك أنشأوا قوة من رجال الشرطة في كل مدينة وقرية، ويرأس جهاز الشرطة كبير رجال الشرطة، ويعد أيضاً مساعداً لقائد الحامية، وكانت هذه المناصب حكر على الإغريق، وبعد القرن الثاني بدأوا يعينون بالتدريج في هذه المناصب عناصر أخرى من غيرهم، كما أنشأوا إلى جانب ذلك مناصب مدنية أخرى اقتبست أسماؤها واختصاصاتها من انظمة المدن الإغريقية الحرة مثل الأكسيجيتيس Exegtes صاحب الاختصاصات الإدارية المتنوعة، خاصةً ما يتعلق بالأوضاع القانونية، ومن المناصب الكبرى في سلك الإدارة المركزية كذلك وظيفة الكاتب الملكي، ورئيس الجمنازيوم أو جمنازيارخس Gmnasiarchos، ومسجل الجمنازيوم أو كوزيتس (3) .

(1) الموسوعة المصرية، مرجع سابق، ص 491؛ Bevan, Ibid, pp. 41 ff ; Jouguet, Ibid., p. 281

(2) صيغة دولية للغة الإغريقية، والإغريقية تشعبت لهجات مختلفة الأولية والدورية والأيونية والأتكية، ثم انتهت كلها في القرنين الخامس والرابع إلى لهجة مشتركة انبثت معظمها من أثينا، فكان هناك لغة واحدة عامة للحديث اليومي والتخاطب Koinedialektos استعملها المثقفون والمتعلمون في جميع الأرجاء ساعدت على ازدهار الحركة الفكرية، وانتشرت في الشرق والغرب وشاعت في العصر الهيلينيستي حتى غدت شبه لغة دولية أو لغة ثانية . إبراهيم، محمد حمدي، مرجع سابق، ص 13 .
(3) Jouguet, Ibid., p 333

ثانياً: العوامل الاقتصادية :

إن النشاط الاقتصادي الذي صاحب بداية العهد البطلمي يدل على فترة من الاستقرار السياسي والأمني، حيث خرج البطالمة من الصراع أقوى وأكثر تنظيماً ومكانة دولية، ولكن القوة العسكرية وحدها لا تكفي تحقيق الأغراض السياسية، ولهذا لم يكن أمامهم إلا الاعتماد على دعائم أخرى ساعدتهم على تكوين بقية أسس دولتهم والحفاظ عليها، فالتحديات الاقتصادية التي واجهتهم في بداية التأسيس جعلتهم يكافحون لتغطية تلك الاحتياجات، إما عن طريق استغلال موقعهم التجاري إلى أقصى حد، أو التنظيم الدقيق الذي مكنهم من السيطرة على الموارد، أو العناية التي بذلوها لتطوير الاقتصاد بقصد الحصول على أكبر قدر من العوائد، ولم يكن هذا كل شيء، فقد كان هناك العدد الكبير من الماليين والمحاسبين والإداريين والمهندسين والفنيين الذين استقدمهم البطالمة من كل بلاد الإغريق، وأصبح هؤلاء يشكلون زيادة على عدد سكان البلاد، وبالتالي ضغط على اقتصادها، وبخاصة إذا أخذ في الاعتبار أن معظمهم لم يكونوا يقومون بأعمال إنتاجية، وإنما بأعمال تنظيمية وإشرافية أكثر، وأنهم تقاضوا أجوراً عالية أغرتهم بالمجئ والبقاء في دولة البطالمة أمام التنافس الشديد بين ملوك الممالك المتأغرقة (1) .

كانت الدوافع الاقتصادية وراء الأغراض السياسية التي سعى البطالمة إليها، إذ أنهم كانوا من أكبر تجار الحبوب، وحماة الأسواق الخارجية، وفرضوا حمايتهم على معظم مناطق الإنتاج، وسيطروا على الطرق البحرية لتأمين تجارتهم، وأحتكروا تجارة الحبوب والورق، ويكفي لإثبات الاتجاه السياسي الإقتصادي أن كل المناطق ذات الإنتاج الزراعي والصناعي التي أصبحت جزءاً من إمبراطورية البطالمة، هي مناطق غنية تطل على الطرق التجارية، وذات أهمية، حيث توفرت بكل هذه المناطق الموقع الهام والمواد الخام، فامتلكت دولة البطالمة مصادر الموارد الأولية والبشرية، وتحكمت بالموانئ والمنافذ والطرق التجارية بين مناطق الشرق والغرب والشمال والجنوب، وهذا الامتداد والتوسع يشير إلى أن البطالمة وخاصةً الأوائل لم يقفوا عند حدود السيطرة على الطرق البحرية والبرية فحسب، بل كان دافعهم أساساً

(1) نصحي، مرجع سابق، ج1، ص ص 387 - 388 ; Preaux, Claire, Les Grecs en Egypte d après les Archives de

Zenon, Bruxel, 1947, pp. 68 sq; Rostovtzeff, Ibid, p. 322 .

الاستيلاء على الأقاليم ذات القيمة من أجل الحصول على السيادة السياسية والاقتصادية، ذلك الهدف الذى كان وراء كل مشروعاتهم، ومشروعات جميع القوى المنافسة لهم فى العالم الإغريقى الهيلينىستى منذ القرن الثالث ق.م، فالتنافس كان شديداً بين الممالك الهيلينىستية على السيادة البحرية والبرية للتحكم فى الطرق والمنافذ والموانئ التجارية، لحماية حرية تجارتها وسلامة سفنها، ولتصدير منتجاتها فى الموانئ المهمة، ولتوفير الأموال؛ فتوفر المال والموارد كان الدعامة الثانية للإستقلال والسيادة، وحتى يستطيع كيانهم الناشئ مواجهة المطالب والحاجات العاجلة؛ الإدارية والحياتية، والقيام بالأعمال الإنشائية الواسعة (1) .

فى القرن الثالث انتقل مركز الثقل السياسى والاقتصادى إلى مناطق الموارد والأسواق التجارية، وهذا الامتداد والاتساع فى الجهاز المالى والإدارى يتناسب مع انتقال مراكز الثقل فى المنطقة، ودلالة التغير فى النواحي السياسية والاقتصادية، ويدل كذلك على توسع الجهاز الوظيفى فى الدولة البطلمية، وبالرغم من عدم وجود نظام مالى موحد فى كل الدولة، واحتفاظ البطالمة بالتقاليد المحلية بالنسبة للأقاليم، ولكنهم استطاعوا تكوين إدارة جديدة ومختلفة، وتطوير النظم المالية والإدارية فى الإدارة القديمة التى وجدوها، وتم ذلك على أيدي خبراء إغريق، كانوا المشرفين على الشؤون المالية والاقتصادية، فلطالما اعتمد البطالمة على العنصر الإغريقى ومنحورهم المناصب المهمة فى الحكومة المركزية، وتركوا لغيرهم من العناصر الإنتاج الزراعى والصناعى والمناصب الدينية، وعلى ذلك فقد كان هذا النظام ومنفذه هم الإغريق المقيمون فى المدن، وعلى رأسهم الوزراء، فأهم موظفى الدولة؛ وزير المالية المسمى ديويكيتس؛ مساعد الملك وله سلطات واسعة على جميع مرافق الدولة، وإليه ترفع التقارير والبيانات والإحصاءات من جميع مناطق الدولة، ومنه تصدر الأوامر والقرارات الإدارية، ولوزير المالية وكلاء أعمال أو مساعدون مباشرون يختص كل مساعد منهم بإقليم من أقاليم الدولة، ومن الموظفين البارزين أيضاً رئيس الحسابات الذى كان يقوم بإعداد الإحصاءات وتقدير الضرائب كل سنة، ويساعده عدد كبير من المحاسبين فى أنحاء البلاد، فالحاجة إلى الموارد والمال دفعت إلى النهوض بالمرافق والخدمات، فوجهوا جُل اهتمامهم إلى

(1) Maffy, J, P., History of Greek Nation, London, 1979, p. 390 .

الجوانب الإقتصادية لضمان زيادة ثروتهم، وبالتالي دخل الدولة وتلبية حاجات سكانها، ويدل المخزون النقدي الهائل للملوك البطالمة من العملات على حجم الثراء فى مدن الدولة، كما دلت الوثائق عن الأحوال المادية للمواطنين والمتعهدين وعن الأعمال والنظم البلدية، وعن الحياة الخاصة والعامة، وعن رواج التجارة والزراعة وحركة الأسواق والملاحة فى البحار، وما تثبته كذلك وثائق بيع الأحتكارات والضرائب التى وجدت عن عهد فيلادلفوس، من وجود طبقة كبيرة وسطى، وطبقة كبيرة أخرى متنامية من الأثرياء يمتلكون أموالاً يستثمرونها فى الأنشطة الإقتصادية المتنوعة، ويعود إلى تجار الإسكندرية فضل السيادة التجارية التى اكتسبتها الدولة فى المتوسط أمام منافسيها من تجار أثينا ورودىس وميلتوس (1) .

عاش البطالمة فى عصر تنافس دولى كانت الثروة فيه من بين عناصر التمكين والقوة، وكونهم ملوك متأخرين وخلفاء للفراعنة، عاصروا ملوك برجام وسراقوسه والأرستقراطية التجارية القرطاجية التى حكمت قرطاجة، وهؤلاء جميعاً من بين أغنى حكام العالم الذى احتكوا به وعاشوا بقربه، ومن ثم فقد كان أحد الخطوط الرئيسية فى سياستهم الدولية ألا يقللوا عنهم، وقد نجحوا فى أن تكون واجهتهم أكثر بذخاً، ومظهراً من مظاهر ثرائهم، وأن كل تلك المظاهر الباهظة التى كانوا يرون فيها واجهة لما لديهم من ثروة، كانت تحتاج إلى قدر كبير من التكاليف، شأنها فى ذلك شأن بقية الجوانب، والراجح أن مجموع إيرادات البطالمة نقداً وعيناً كان اكبر ماجمعه دولة من الدول فى تلك الفترة وأن سياسة الدولة فى هذا المجال ظل يحكمها عدة عوامل، فالأمر لاشك ابعده من مجرد براعة فى الميدان الإقتصادى، فالحكم البطلمى الذى عاد فى اول الأمر بزيادة عظيمة فى ثروة مملكته ، قد أتى قبل هذا فى ركابه بإدارة قوية استطاعت أن تفرض وتحفظ الأمن والنظام فيها، ومما لاشك فيه أن الزيادة بعد ذلك فى مبلغ الثروة والرخاء ارتبطت بإدارة متمسمة بالاستقرار، وبالقدرة والكفاية ماجعلها قادرة على العمل، كذلك الوسائل التى اتبعوها ساعدتهم على استغلال الموارد، سواء من حيث تيسير التعامل فى إنتاجها، أو بتطوير الإقتصاد من حيث حجمه ورقعته بقصد الحصول على أكبر قدر من الموارد (2) .

(1) Rostovtzeff, Ibid, pp. 269-290 .

(2) Bevan, Ibid, pp. 135-142 .

أدخل البطالمة الأساليب العلمية بشكل جعل بالامكان الحصول على أكثر من محصول فى العام الواحد فى الإنتاج الزراعى، بل لقد سيطر الأتجاه العلمى فى كل المجالات، وأصبح يشكل أتجهاً أساسياً فى عملهم لدرجة اوجدت قدراً كبيراً من التخصص، وأدخلت الوسائل الرأسمالية فى التنظيم الاقتصادى، فكانت نظمهم المالية والاقتصادية قد حددت أربعة أهداف أهمها جمع أكبر قدر من الثروة، وأنفاق أقل قدر منها، وإدخال بعض التغييرات على الأوضاع القائمة، ومن أجل تحقيق ذلك، عملوا على تقديم المرافق وزيادة الانتاج، وعلى تعدد الألتزامات المالية التى فرضوها، والاقتصاد فى النفقات، حتى أنهم كانوا لاينفقون شيئاً إلا إذا ضمنوا فائدة مباشرة منه، على ان سياسة البطالمة سواء فى أقاليم دولتهم، ام فى السياسة الدولية كان يركز على استغلال الموارد استغلالاً منظماً دقيقاً، وكان الجزء الأكبر والأهم من الثروات يرد إلى الإسكندرية، وكانت عواصم الأقاليم وبعض من المدن الأخرى استمتعت أيضاً بالرخاء والترف، ككيرينايا وقبرص أكثر الأجزاء بقاءً تحت سيطرتهم، ولاشك أن كيرينايا من أكثر الأقاليم إسهاماً فى ثراء البطالمة، كما أن أثر البطالمة كان ملموساً فيها أكثر من أقاليم الدولة الأخرى، وازدهرت أكبر مدنها كورينى لإنها أدركت " أن التجارة خير لها من الحرب " (1) .

لم تكن كل مدن العالم الإغريقى خارج بلاد البطالمة تشارك مدنها فى الرخاء الاقتصادى الذى امتازت به، فلم تبلغ جميعها المستوى نفسه، ولكن مدناً معينة تهيأ لها أن تكون فى العهد الهيلينيسى الذى اصطبغ فيه العالم المعروف بالصبغة الإغريقية مركزاً من أغنى المراكز التجارية والزراعية والصناعية فى حوض المتوسط، فلايعرف فى الحقبة الإغريقية كلها عهداً بلغت فيه النواحي الإقتصادية والمالية مابلغه هذا العهد من ثراء " . . . واعانت الحكومة المدن المنكوبة بهبات من الحبوب، فقد كانوا يفرضون الضرائب ويقترون فى الأجور، ولكنهم كانوا أسخياء فى العطاء والصدقات، وكثيراً ما كانوا يقرضون المال لمدنها من غير فائدة، أو يinquذونها من الإفلاس بالهبات الضخمة، أو ينشئون المباني العامة على نفقتهم الخاصة، ويبين مرسوم كانوبى صادر عام 237 ق.م. أنه فى حالة عدم وفاء النهر، يقوم بطلميوس بالتدخل للسيطرة على الأسعار، وإذا حدث أن محصول الحبوب كان قليلاً ولم يف بحاجة البلاد فان العادة

(1) ديورانت، مرجع سابق، ج3، مج2، 8، ص 84 .

جرت فى مثل هذه الأحوال بان يستورد الملك الحبوب على نفقته ويوزعها " (1) .

إن البطالمة الأوائل بوجه خاص لم يدخروا جهداً لتنمية البلاد اقتصادياً، فاستصلحت المناطق للزراعة، وازدهرت الصناعة وراجت التجارة، وبالرغم من أن سياستهم فى البداية اتجهت وامتدت خارج حدودهم وخاصة نحو عالم المتوسط، إلا ان اهتمامهم بمحيط ملكهم تجاوز المصالح الآنية إلى أهداف أبعد، فجمعوا بهذه السياسة ثروات طائلة وانفقوا بسخاء على مشاريعهم الكبرى، واستطاعوا فى زمن قياسي إحداث تغيير فى كثير من النظم القديمة القائمة، وتلك بلا جدال سياسة تنطوى على كثير من الحكمة والذكاء، ففى الدولة جموع من السكان لهم حاجات ومطالب، وإن كان المستفيد الأول من ذلك الازدهار هم الملوك، وخاصةً بعد أن توافدت الهجرات الكبيرة، وتكونت منهم الدولة، وكانوا السند الأساسى فى إقامة أطرها وبناء اقتصادها وإدارتها (2) .

إن البطالمة شأنهم شأن حكام الممالك المتأغرقة، كرسوا اللغة الإغريقية لغة رسمية تستخدم فى دواوين الحكومة ومصالحها، إذ بقيت لغة الإدارة والتجارة، والنظام الإدارى والمالى الإغريقى الذى أثبت كفاءته، وفى سبيلهم إلى توطيد كيانهم اعتمدوا على المهاجرين الإغريق لما امتاز به هؤلاء من كفاية فى جوانب الحياة العامة والخاصة، إذ امتدت كفايتهم لتشمل المجالات الإدارية والفنية وغيرها وقد استخدم البطالمة كل الطرق لاجتذاب المتخصصين فى عهد اصبح التخصص سمة من سماته، واجتذبت الفرص إليهم أفواجاً من الوافدين؛ المستشارين والكتبة، والجنود والتجار، والأطباء والعلماء، فالحروب والظروف الإقتصادية الصعبة التى عصفت ببلاد الإغريق فى أوقات متلاحقة أدت فى الغالب إلى الهجرة الإغريقية المستمرة نحو الممالك الجديدة، حيث توجد المناطق الأكثر استقراراً وفرص الشراء، وإن كان الاعتماد فى البداية بشكل كبير على الإغريق فى تكوين وتدريب الكوادر والمجموعات التى قامت بالأعمال والمشروعات التوسعية، ولذلك مُنحت الأمتيازات التى جذبت هؤلاء وشجعتهم على المجئ والإقامة فيها، كذلك جذبت كذلك جذبت وضمت بلاد البطالمة مع الوقت أعداداً كبيرة من أجناس أخرى غربية وشرقية (3) .

(1) Diodorus Siculus Bibliotheca Historica, Loeb Classical Library, XX. 98 .

(2) Bouche, Leclercq, Hist. Des. Lagides, I, Paris, 1903, pp. 191- 198 .

(3) Rostovtzeff, Ibid, II, pp. 726- 733 .

فتح البطالمة أبواب نظامهم المالى والاقتصادى لكل المستويات والطبقات التى سعت لمشاركتهم الأرباح فى استغلال الموارد، والإغريق الذين جاءوا لم يكتفوا جميعهم بالعمل الوظيفى بالجهاز الإدارى المتصل أساساً بسلطة الملك، رأس الحكومة المركزية، وتخضع لإدارته وإنما اتجه جزء منهم إلى العمل على تكوين طبقة ذات كيان حر تقوم على قاعدة من الموارد المستقلة، أى قاموا بمشاريع زراعية وتجارية يكسبون منها عيشهم، ولم ينتظروا منصباً إدارياً أو وظيفة حكومية، وبدأ ذلك الاتجاه بشكل خاص فى ميدان التجارة، برغم الصعوبات التى تحيط بمزاولة النشاط التجارى المستقل فى دولة قام نظامها الاقتصادى أساساً على الاحتكار الملكى، ويدل على ذلك حجم الإقبال على الاقتراض بشكل أدى إلى ارتفاع الأرباح على القروض المالية، وكذلك النمو التجارى، والوفود التى كانت ترسل لدراسة الفرص التجارية إلى المناطق التى امتد إليها الوجود البطلمى، وأيضاً النشاط الذى قامت به البنوك فى تسهيل المعاملات، وكذلك الكميات الضخمة من السلع التى كان يتم تصديرها واستيرادها، وبعد فترة أصبحت هناك طبقة وسطى من رجال الأعمال الإغريق فى الدولة، حيث امتلك الكثيرون منهم خبرة ورؤوس أموال، فكان المجال متسعاً أمامهم لاستغلال مواهبهم التجارية والزراعية، والبعض الآخر صاروا خبراء فى الصناعة، ولاشك انهم وجدوا فرصاً مغرية، ووجدوا إمكانات واسعة لاستغلال خبراتهم وأموالهم، وقد كان بعض أفراد هذه الطبقة خبراء فى ألتزام الضرائب، فكان المجال مفتوحاً لمزاولة هذه الأعمال، وأعمال أخرى كأصحاب المهن الفنية، وقد كان أفرادها كثيرون يعمدون فى كل أنحاء الدولة وأكثرهم قيمة يقيمون فى الإسكندرية، ووجدت كذلك طبقة أرباب الحرف اليدوية، وتألفت من الذين كسبوا قوتهم من الأعمال الشاقة عمالاً وصناعاً وما شابه، وكانت توجد هذه الفئة فى المدن حيث تكثرت المنشآت الإغريقية، لكن فئات منها كانت منتشرة فى كل البلاد، وأن الطبقة الثرية والوسطى الإغريقية تألفت من كل هؤلاء، ومن سلالة الإغريق الذين استقروا فى المنطقة من قبل الفتح المقدونى (1) .

أدى نمو الدولة العمرانى والسكانى، والاعتماد على خبراء وعلماء الإغريق كلما احتاج الأمر، الاستعانة بخبراتهم لتنفيذ الأنظمة والمشروعات الكبرى الهندسية، وللقيام بتجارب علمية فى الميدان الزراعى

(1) Idem, p. 289; pp. 327-31

والصناعى، وفى النظام المالى والنقدى، وقد أدخل المشرفون الإغريق على الحياة الإقتصادية التنوع والرقى فى النواحي الفنية والإدارية، وزادوا ثروة البلاد من الناحية المالية، ففى عهد بطلميوس الثانى بلغ الدخل المالى للدولة أقصاه، وازدادت النفقات العامة ونفقات الإدارة، واتسمت النظم المالية والإقتصادية بتنوعها وبتنظيمها وتجديدها، فكان جانب من النظام المالى والإقتصادى الجديد معمولاً به من قبل، وجزء آخر فى طريق التكوين (1) .

ظلت الحكومة تشرف على اجهزة وموارد الدولة، وزادت الحاجة إلى الموظفين والكتبة والمحاسبين وجامعى الضرائب ومن إليهم، كما احتاجوا إلى علماء الرياضيات والمهندسين من الإغريق للنهوض بالمشروعات، من تطوير الاقتصاد والنظام النقدى القائم على استخدام العملة المسكوكة، إلى استصلاح الأراضى والقيام بالتجارب الزراعية على اسس علمية، ومن أعمال بطلميوس الأول الجديرة بالذكر هنا، إدخاله النظام النقدى، وسك اول عملة للمملكة البطلمية من الذهب والفضة والبرونز سنة 306 ق.م. وحملت النقود الذهبية والفضية صورة لرأس بطلميوس، وكانت النقود قبل ذلك لا تحمل صورة لحاكم على قيد الحياة، وصارت العملة تسك فى الإسكندرية كما تسك فى كورينى، واستخدم البطالمة ثلاثة أنواع منها؛ ذهبية وفضية وبرونزية، وكان الملوك البطالمة يحلون نقودهم بالكثير من النقوش، والدليل الواضح على مدى اتساع التجارة ذلك المخزون والتبادل النقدى الكبير للعملات الأجنبية، فإدخال العملة النقدية بشكل كبير فى المعاملات التجارية كان له أثره فى تيسيرها، كما أدى إلى إقامة نظام متطور للتعامل عن طريق البنوك كوسيط بين التجار والحكومة، أو بين التجار وتجار آخرين، ووجد مايشبه الرقابة على النقد عبر النظام المصرفى البطلمى (2) .

أخذ البطالمة بمبدأ ملكية الدولة ممثلة فى الملك مثلما فعل الفراعنة، واعتبروا أن ملكيتها آلت إليهم بحق الفتح، ولهذا فإن بعض من الباحثين فى التاريخ الإقتصادى ومنهم روستوفتزف Rostovtzeff يعتبر بطلميوس الأول هو من وضع الأساس لنظام الإقطاع الذى اعتمد على استغلالهم للبلاد والعباد

(1) الموسوعة المصرية، مرجع سابق، مج1، ج2، ص577 .

(2) Preaux, Ibid, pp. 426 .

تحت إشرافهم الدقيق، فكانت إقطاعات الملك البطلمي تحتل المساحة الأكبر من الأرض، ويديرها موظفوه نيابة عنه، ويقوم بزراعتها أعداد كبيرة من المزارعين، ومساحات أخرى تؤجر لآخرين مقابل إيجار عيني يؤخذ من محصول الأرض (1) .

كانت الدولة تقوم بامتلاك الأراضي وتاجيرها وتجبي عوائدها، ومن إيجارات الأرض حصل البطالمة على دخل هائل؛ عيناً ونقداً، وتضاعف هذا الدخل بعد فرض الضرائب العديدة، وبفضل الاحتكارات، فإلى جانب نظام الإقطاع أقاموا نظاماً للضرائب وآخر للاحتكار، وكان لهذا قيمة مزدوجة، فمن جهة توفرت للدولة كمية كبيرة من العملة النقدية، ومن ناحية أخرى زيادة مساحة الأرض المستصلحة، فنظام الإقطاع هذا كان إحدى وسائل البطالمة في إصلاح الأراضي البور، وزراعة أنواع المحاصيل، وتوزيع قنوات الري والجسور، فكان عليهم القيام بجزء كبير من هذه العملية، وتشجيعاً من الدولة للملكية الخاصة للأرض، ولأجل زيادة الأستثمار في الزراعة، فكانت تعفى مزارعي الفاكهة والكروم من الضرائب في الخمس سنوات الأولى، ثم تجبي منهم ضرائب مخفضة في السنوات التالية، وزيادة الأراضي المملوكة للأفراد، كان تطوراً طبيعياً لتلك الظروف، وأراضي المدن كذلك اعتبرت ملكيات خاصة لمواطني المدن، وكان للمدن البطلمية التي أنشأها بطلميوس الأول أرض خاصة بها، وتمتعت الإسكندرية بشكل خاص بإعفاءات مختلفة فيما يتعلق بالضرائب (2) .

فرض البطالمة الضرائب على كل شئ تقريباً، وكان هناك إعفاء من الضريبة لبعض الفئات والمهن، ولعله كان يقابل هذا الإعفاء إلزامها بأداء بعض الخدمات للدولة، وهي غير أعمال السخرة؛ عندما كان يتم تسخير الناس في الحصاد وأعمال الجسور، وهي من تقاليد مصر القديمة، وكان للعبيد دور مهم في الحياة الاقتصادية، ومع هؤلاء اعتمد البطالمة أيضاً على الرعايا والعمال الأحرار، ولكن حاولوا تقييد الاستعباد لأعتبارات سياسية، وأما الإدارة المالية البطلمية فكانت مركزية مع مراعاة التقاليد المحلية، ذلك أن ممتلكاتهم الخارجية كانت تابعة للملك ووزير المالية في الإسكندرية، لكن السلطات المحلية تمتعت

(1) Rostovtzeff, Ibid, p. 270-1, 351-3 .

(2) ديورانت، مرجع سابق، ج3، مج2، 8، ص ص 65-72 .

بقدر من الاستقلال المالى يتفاوت بحسب الأماكن والموارد (1) .

قصارى القول ان الحكومة سيطرت على كل الموارد، بتركيز الإدارة الإقتصادية، وبأتباع الأساليب العلمية، واستخدام إمكانات الهندسة الإغريقية للقيام بأعمال الري والإصلاح الزراعى، فأمكن إقامة المنشآت العامة وإنشاء الطرق وشق القنوات والتحكم فى فيضان النهر، وتمهيد السبل للأعمال الهندسية الكبرى التى تمت فى عهدهم (2) .

فى سياستهم الإقتصادية عمل البطالمة على التحسين لكل شئ، ودفع ذلك العلماء؛ إما بحافز الفضول العلمى، أو بطلب من قاداتهم، على أن يهتموا بالأمر الأساسى الأولية الزراعية والرعية، وذلك ما دعاهم لابتكار مختلف الأساليب والمعدات، وتنوعت الزراعة بإدخال أنواع وأدوات جديدة منها، وزرعت المحاصيل على نطاق واسع، وعنوا بالرعى، وأن الطب البيطرى نظراً لذلك الاهتمام تقدم كثيراً فى دولة البطالمة، وأن الاعتبارات والدلائل توحى بأن البحوث فى علمى النبات والحيوان لم تتوقف طوال العصر البطلمى، ولهذا شهدت الزراعة البطلمية نتيجة لذلك أصنافاً من التجديد بشكل واسع، وذلك باستحداث محاصيل أخرى، وكان إيداع الحبوب وسحبها وتحويلها فى الإمكان إتمامها بالمقايضة أو على الورق، وقام إلى جانب المقايضة المعدلة نظام مالى نقدى معقد، وكانت الحبوب المحفوظة فى المخازن الملكية بمثابة رصيد احتياطى، واحتكرت الحكومة لنفسها إنشاء المصارف، والتى فى وسعها أن تنوب عنها فى أعمالها شركات خاصة، ونظام الإقراض تما تنظيمه، والحسابات تدفع بتحاويل مما لأصحابها من عملة وارصدة، فكانت تقدم التسهيلات وتقرض المال، وتسدد حسابات الخزائن الملكية (3) .

إن نهضة الصناعة والتجارة بالشكل والحجم الذى بلغته، قد قامت على نهضة زراعية، فالدولة البطلمية أكبر منتج ومصدر للغلال وخاصة القمح فى شرقى المتوسط، كما صدرت الكتان والعطور ومواد الزينة

(1) العبادى، العصر الهلينستى، ص ص 128-137 .

(2) الموسوعة المصرية، مرجع سابق، مج 1، ج 2، ص ص 447-448؛ نصحى، مرجع سابق، ص ص 100-101؛ Columbia-Zenon Papyri, 13; III, p.75 .

(3) Rostovtzeff, Ibid, I, pp. 366-7.

والزجاج والورق الذى اشتهرت به وانفردت بتصديره إلى أرجاء العالم، وأضحت الإسكندرية مركزاً لتجارة عابرة نشيطة، واستفاد البطالمة من هذه السلع ذات القيمة العالمية، فصناعة الورق من نبات البردى، كان من الصناعات الحصرية الأولية التى انفردت بها مملكة البطالمة، وظلت مصر مركزها، فقد ظل لها سبق اختراع الورق وإتقان صناعته، وفى العصر الهيلينيستي فرض البردى نفسه كمادة للكتابة والتسجيل، ويذكر بلينيوس Plinius أن أفضل أصناف الورق انتجته المعابد، وكان مخصصاً للكتب المقدسة، وتعطى الملك قسماً منه، ولذلك سمي بالورق الملكى (1) .

أوسع حجم العلاقات الخارجية التى امتدت إلى مناطق بعيدة غرباً وشرقاً، يبين الاتجاه الأقتصادي القوى والبناء على أسس إقتصادية عند البطالمة، كما اسهمت الدبلوماسية فى خدمة أهداف البطالمة السياسية والإقتصادية، وخاصةً فى عهد بطلميوس الثانى الذى حرص على إنماء العلاقات مع دول الجوار، وجزر المتوسط التى كانت لها أهمية خاصة كمحطات على الطرق التجارية البحرية مع الغرب، وكذلك روما عندما بدأت تبرز كقوة ناشئة فى المتوسط، وظلت هذه العلاقات على قدم المساواة طالما بقيت دولة البطالمة محتفظة بكيانها السياسى وقدراتها العسكرية والإقتصادية (2) .

هذه بعض الجوانب التى نتجت وتحققت فى الدولة البطلمية وإن جزء كبير مما عاد عليها من هذه الثروات قد استغلت فى الإعمار والكشوف والتجارة الخارجية، وفى تنمية الموارد، وفى إمداد الحياة الاجتماعية والثقافية بما تحتاجه من المال، وفى خدمة مرافقها، فكانت الثروة والعقول الفذة تتعاونان على خلق عهد زاهر آخر .

(1) Polybius, Hist. Loeb. Classical Library, II, 63, 1- V, 89; Preaux, c., L ' Economie Royal des Lagides, Chron. d' Eg., XI, 1939, pp. 61 ff; Rostovtzeff, Ibid, pp. 300 ff -381 ff; Bouche, Ibid, I, P. 394 .

(2) Wright, F. A., History of Greek Nation, 1932, pp. 119-120; Abdealiem, M. K., Alexandrian Trade in Aromata in the Graeco-Roman Times, 1954, p. 24 ff .

ثالثاً: الجوانب الاجتماعية :

كان البطالمة إغريقاً فى كل شؤونهم، فالنقوش والوثائق التى تعود إلى عهد الدولة البطلمية بمختلف النواحي تدل بإنها دولة إغريقية، وأن المجتمع البطلمى كان إغريقياً، يكتب ويتكلم الإغريقية، وعاشوا محافظين على عاداتهم وتقاليدهم الإغريقية، وأول مظاهر إغريقتهم هو تهيئة البيئة الملائمة لمعيشة الإغريق، ولذلك فقد ظل مظهر دولتهم إغريقياً، وبرزت فى ذلك العالم بكونها دولة إغريقية، وكذلك ظلت توجد الثقافات المحلية والشرقية التى تكشفها الوثائق الديموطيقية، ولهذا فالتكوين الاجتماعى لدولة البطالمة يوحى بأن سكانها خليطاً من الإغريق الفرس أولاً، وأغلبية مصرية وشتى الأصول القديمة ثانياً، أى أقلية ممتازة من الإغريق، ثم جاليات متفاوتة العدد ومتعددة الأعراق، والوسيلة التى تم بها التفاهم بين جُل هذه العناصر هى اللغة الإغريقية التى كانت اللغة الرسمية للبلاد منذ بداية العهد البطلمى، فهى لغة البلاط والطبقة الحاكمة، وجميع المراسلات والوثائق الحكومية تتم باللغة الإغريقية، اما المراسيم الملكية والقوانين الموجهة إلى جميع السكان فكانت تنشر باللغات الثلاثة الإغريقية، والهيروغليفية المصرية، فقد ضمت التركيبة السكانية من كل الأجناس المعروفة فى ذلك الوقت، ولهذا وجدت عناصر مختلفة فى المجتمع، وكان لابد من توفر اهداف إنسانية كلية، إذا أُريد لهذه التركيبة أن ترتبط وتصير بتنوعها الديموغرافى بمثابة بوتقة حضارية تتقابل وتنصهر فيها الأفكار والديانات المختلفة، فهى لم تعد خليطاً فقط، بل صارت جسراً يربط بين الشرق والغرب (1) .

شجع البطالمة هجرة الإغريق لدولتهم طالما وجدوا أنها ستخدم أهدافهم بشكل أو آخر، وقد استفادت الدولة البطلمية من الهجرة الإغريقية لاشك، فدبت فى مدنها الحركة والنشاط، فلقد تنافس البطالمة فى استقطابهم وإغرائهم بالمجئ إلى دولتهم، لإدارة جميع مرافقها، فكان لابد من العمل جذبهم من كل العالم الإغريقى بكل الوسائل، ولم يقتصر الأمر على جلب الجنود والطبقة العاملة ممن جاءوا سعياً وراء المال والرخاء، بل وجهوا الدعوات إلى الشخصيات السياسية والعلمية المرموقة، فحضر إلى مملكتهم كثيرون من أصحاب العقول والخبرة والمعرفة، من أمثال السياسى والفيلسوف الأثينى ديمتريوس الفاليرى

(1) نصحى، مرجع سابق، ج2، ص 125؛ العبادى، العصر الهلينستى، ص 108-109 .

Demeterius of Phalerum؛ أبرز مستشارى بطلميوس الأول ووريثه فيلادلفوس، وتيموثيوس الأثيني Thimotuos of Athens الذى ينتمى إلى عائلة عريقة فى أثينا، والشاعر الكبير كاليماخوس الكورينى Callimachos of Cyrene، والعالم الجغرافى إراتوستينيس الكورينى Eratosthenes (1)

استطاع البطالمة بهذه السياسة ان يجمعوا حولهم أهم المستشارين من العلماء والمفكرين والنخبة الإغريقية المثقفة، والذين كونوا بمضى الوقت نظاماً يتألف من عدة طبقات يميزها عن بعضها ألقاب فخرية، وكانوا كلهم تقريباً من الإغريق، وإذا كان فى الفترة الثانية من عصرهم قد سُمحوا لبقية العناصر الأخرى من أهل البلاد أو الوافدين بتولى مناصب رئيسية فى الإدارة المحلية، فإن عددهم ظل محدوداً بالقياس إلى الإغريق الذين شغلوها، فقد ظلوا يعتبرونهم من الرعايا، وظل الإغريق يعتزون بإغريقيتهم وثقافتهم والمستوى الذى اختصهم به البطالمة فى الدولة (2) .

كان لايقبل فى خدمة الحكومة إلا الذين اصطبغوا بصبغة إغريقية، فالإغريق دون غيرهم من السكان تمتعوا بحقوق المواطنة، واغدقوا عليهم الامتيازات، وهينوا لهم سبل العيش فى البيئة التى تعودوا عليها فى موطنهم الأسمى، اى بناء وتأسيس مدن إغريقية يمارسون فيها حياتهم بمعزل، فعاشوا فى أوساط خاصة بهم، وظلوا يمارسون عاداتهم التى أعتادوها، وأصبحت هناك مدن مخصصة لإقامتهم، فكان المقدونيون والإغريق هم الأغلبية فى تكوين وبناء مرافق الدولة البطلمية؛ المدنية والعسكرية، وأن الجانب الأكبر من هؤلاء ظلوا فى خدمة الملك بطريقة أو أخرى، وظل بعض هذه الفئات يحيون حياتهم التى تنظمها التقاليد العتيده، بل كونوا طوائف ومستويات أخرى ممتازة يحتمل تحديدها وفقاً لمستواها العلمى أو المالى ومركزها الاجتماعى، فكانت توجد أربعة طبقات وهى طبقة المدنيين والعسكريين، وطبقة أرباب المهن من فنانيين وعلماء وأطباء وغيرهم، وطبقة رجال الأعمال، وطبقة أرباب الحرف من صناع وعمال زراعيين، فالمجتمع البطلمى ككل كان مجتمعاً طبقياً، وجزء كبير من هؤلاء الإغريق سواء المدنيين أو العسكريين ينتمون إلى حاشية الملك، وكان لأفراد الحاشية حاشياتهم، وعلى ذلك فإن مركز هؤلاء الاجتماعى والاقتصادى كان مختلفاً عن غيرهم، وأكثر منه امتيازاً، ففى الإسكندرية معقل سلطتهم برغم تعدد الأجناس التى سكنتها، إلا أن واحدة هى التى تصدرت قائمة الهرم الطبقي وهم الإغريق؛ الذين

(1) العبادى، العصر الهلينيستى، ص ص 46-48؛ Diod., Hist., XIX. 85. 4; XX. 47

(2) Idem .

اعتبروا أنفسهم أصحابها، وكانت لهم مؤسسات تبدو كأنها مستقلة عن الملك البطلمي (1) .

كرس البطالمة للإغريق سبل الحياة الإغريقية، فكانوا يعيشون أما في المدن أو في الجاليات الإغريقية خارج المدن، وشملوا برعايتهم معاهدهم ومدارسهم، ووفروا لهم من القوانين الملائمة لعاداتهم وتقاليدهم، وأنشأوا لهم محاكم تنظر في قضاياهم وفقاً للقوانين الإغريقية، وكان الملك يعتبر كبير القضاة، فهو لم يكن مصدر السلطات فحسب، بل يعنى أيضاً بتطبيق العدالة، فيفصل أحياناً في بعض قضايا رعاياه، وفي الغالب ينوب عنه قضاة مختصون، والقضاء عند البطالمة كان قضاءً مزدوجاً، يوجد به أكثر من نوع من القوانين، فلإغريق قوانينهم وللأجانب قانونهم، والقانون المصري القديم للمصريين، وقانون ثالث خاص بالمدن الإغريقية، ولكل نوع من القوانين محاكم خاصة وقضاة يقومون بتطبيقه، وعلى راس هذا الجهاز موظف كبير بدرجة وزير يسمى أرخيديكاسيتيس Archidicastes (2) .

تشير القرائن في جملتها إلى أن جُل أنحاء البلاد تمتعت بالأمن والسلام، كما ارتقت بفضل الجهود الإدارية الحكومية، ويلمس الرقي في مستوى الحياة الاجتماعية، واستمر النشاط بصورة واضحة في عواصم الاقاليم، وتعتبر هذه الفترة الأفضل في مختلف النواحي، فالبطالمة الذين أوتوا نصيباً من المقدرة العملية، اتخذوا من الإجراءات ما يكفل التقدم لدولتهم، والوثائق تكشف نشاطاً ملحوظاً، فلقد كانت أجهزة الإدارة البطلمية تقوم بإحصاءات دقيقة لجميع السكان في المدن والمقاطعات؛ من تسجيل للمواليد والوفيات، لارتباط ذلك بالنواحي الاجتماعية والاقتصادية (3) .

كان التنظيم الاجتماعي له دوره في التوازن الطبقي، كذلك الدين ظل يشكل في العهد البطلمي محوراً أساسياً في العلاقات، بإضفاء الصفة الروحية لمساندة الأسرة البطلمية، وهذا يدل على ان سياسة البطالمة في كسب العناصر المقيمة في دولتهم ساعدهم على تحقيق اهدافهم وكثير من الصور تبين جوانب من الاحتفالات الرسمية أو الدينية تُظهر الملوك والملكات والأمراء البطالمة يرتدون الأزياء الفرعونية، فهم وجدوا في مصر بيئة وموارد للنمو الروحي والمادى، فأستفادوا من ميراثها الحضارى حيث

(1) Rostovtzeff, Ibid, pp. 324-327; Idem, pp. 887-896 ;Tarn, Ibid, p. 175 .

(2) الموسوعة المصرية، مرجع سابق، ص ص439-445

(3) Preaux, Les Grecs en Egypte, pp.68-70; Bevan , Ibid, pp. 79 ff; ; Josephus, Hist., II, 16. 4 .

كانت فيها أنظمة قديمة وثروة بشرية ومادية، فالفرعونية هم أول من أقام حكومة منظمة نشرت لواء الأمن والسلام في البلاد، وحاولت إصلاح أحوال المجتمع وشئون الحياة، وأنهم أول من أنشأ نظام البريد والتعداد، والتعليم الابتدائي والثانوي، بل إنهم هم أول من أوجد نظام التعليم الفني لإعداد الموظفين ورجال الإدارة، وهم الذين ارتقوا بالكتابة ونهضوا بالآداب والعلوم والطب، والمصريون على ما هو مدون أول من وضع دستوراً واضحاً للضمير الفردى والضمير العام، وهم من أوائل من نادوا بالعدالة الاجتماعية (1) .

ظل المصريون يشكلون الغالبية من رعايا الدولة، ولم يتدخل البطالمة في تقاليدهم أو أسلوب حياتهم، والذين ظل غالبيتهم ينتمون إلى طبقة اجتماعية أدنى، لقد كانوا بصورة عامة فلاحين وعمالاً، كانوا أداة التنفيذ بينما الإغريق أداة التوجيه، وعلى الرغم من تعلم فئة من المصريين اللغة الإغريقية، لكن ظل العدد الأكبر متمسكين بلغتهم الوطنية ومحربين عقودهم القانونية باللغة الديموطيقية، وهى آخر صور الكتابة المصرية التى كانت لغة الغالبية من المصريين الذين تفتت بينهم الأمية، ولكن هذا الوضع بدأ يتغير فى اواخر القرن الثالث ق.م. نتيجة لأوضاع تأثرت بها السياسة الداخلية والخارجية (2) .

بعض الجاليات الأخرى كالفرس واليهود، وبعض الوافدين من غير الإغريق، خاصة الذين استقروا فى المدن، ظلوا يعيشون فى جماعات لها نظمها وقوانينها، ولكن مع هذا الأختلاف الثقافى لم تعد لبعضها هويتها الخالصة، وبدأت فى التآغرق، وأصبحوا من ضمن الفئة الإغريقية، ومن اكبر الجاليات التى اقامت فى دولة البطالمة الجالية اليهودية، فقد جذبتهم الإسكندرية على نحو خاص، ويعد العهد البطلمى العهد الأهم لليهود بمصر، سواء من حيث المكانة والحجم، وخاصة بعد أن تزايد نزوحهم من فلسطين، وانتشروا فى كافة أنحاء الدولة البطلمية، وقد عمل الكثير منهم كمرتزقة فى جيوش البطالمة، كذلك فإن بطلميوس الأول الذى أتم بناء الإسكندرية، جاء ببعض اليهود ليسكنوها، حيث أقام عدد كبير منهم فى الحى اليهودى، وقد زاد عددهم وتغلغلوا بعد ذلك فى كافة أنحاء الدولة، ونعموا بالاستقرار فى هذه الفترة، ولكنهم وتمسكهم بديانتهم، منحهم الملوك حق إقامة روابط خاصة بهم ينظمون عن طريقها شئونهم ويمارسون طقوسهم، وأصبحوا عنصراً له دوره فى الحياة الإقتصادية والاجتماعية والسياسية (3) .

حاول بعض من ملوك البطالمة دمج بقية العناصر غير الإغريقية، عندما شعروا إما بتذمرها أو

(1) ديورانت، مرجع سابق، ج1، مج2، 6، ص ص129-131؛ الموسوعة المصرية، مرجع سابق، ص ص 442-444 .

(2) نصحى، مرجع سابق، ج2، ص ص147-149؛ ديورانت، مرجع سابق، مج2، ج3، 8، ص 75؛ نفسه، ج1، مج2، 6، ص 587 .

(3) Maffay, J., Empire of the Ptolemies, London, 1895, pp. 357- 358; Bevan, Ibid, pp. 111-113 .

تمسكها بثقافتها كهؤلاء اليهود الذين كثرت الرسائل المنتقدة لاستقلالهم الثقافي عن البقية، وهذا يدل على أن الهيلينية برغم انتشارها لم تتغلغل بين الفئات التي ظلت متشبثة بتقاليدها، باستثناء من اقام بالمدن البطلمية، وكذلك هؤلاء الإغريق لم تعترف قوانينهم بالاختلاط (1) .

حتى بداية القرن الأول ق.م. كان هناك رخاءً بشكل عام خاصةً للطبقات العليا، والعناية بتخطيط المدن، ففي العصر البطلمي وجدت المدن الكبيرة ذات الطراز الإغريقي، وبنيت المعاهد والمساح والساحات، وبقيت أساليب الحياة الإغريقية، وكانت القصور الملكية شكلاً آخر من أشكال الترف، عدا عن ما انفقوه على الكشوفات والمشروعات العلمية، وأما البلاط الملكي البطلمي فأصبح مكتظ بالموظفين و اللاجئين السياسيين من الشخصيات المعروفة في العالم الإغريقي، ولكن الشيء الملفت في هذا العهد ما طرأ على أوضاع المرأة من تغيير، وقامت الملكات البطلميات بدور بارز من ارسينوى Arsinoe II الثانية إلى كليوباترا السابعة Cleopatra VII في الشؤون السياسية والقيادية، وبدل ذلك على مدى تأثر الملوك البطالمة بالتقاليد الشرقية، فلم تكن المرأة الإغريقية قبل العهد البطلمي تتقلد الأمتيازات السياسية الهامة، ولا شك فقد تأثر مركز المرأة البطلمية في المجتمع بالأفكار الفلسفية التي نادى بالمساواة، وكذلك بالدور البارز الذي لعبته الأميرات المقدونيات في الممالك الهيلينية (2) .

عنى الملوك البطالمة باستكمال بناء الإسكندرية ومنحها مظاهر الحياة الجديرة بالمدن الكبرى الإغريقية، فالبطالمة هم الذين منحوا المدينة شخصيتها وسماتها التي عرفت بها، فأصبحت الإسكندرية مركزاً تجارياً واجتماعياً كبيراً جذبت الجميع إليها، لتنوعها وتجاريتها وثقافتها، وبما أن مظاهر الترف ترتبط بالحالة الاقتصادية والثقافية لأي مدينة، فقد عمل البطالمة على بناء بعض المدن بشكل ونظام معين يتناسب مع رؤيتهم، ولما صارت هذه المدن في حالة رواج تجارى وثقافى، فقد انعكس ذلك على الحياة الاجتماعية والثقافية، وإلى نهاية عهدهم بقيت مدنهم تحظى بمستوى من الرخاء، ولا يلمس أى تدنى فى مستوى العمارة، أو فى الحياة الاجتماعية حتى اواخر القرن الثانى م (3) .

(1) الإسكندري، وسفدج، تاريخ مصر، القاهرة، مطبعة المعارف، ط 4، 1938، ص 106 .

(2) الموسوعة المصرية، مرجع سابق، ص ص 443 - 444؛ نصحى، مرجع سابق، ج 4، ص ص 41-44؛ ديورانت، مرجع سابق ج 2، ج 3، ص 8، ص 25 .

(3) نفسه، ج 1، مج 2، ص 6، ص 134؛ نصحى، مرجع سابق، ج 1، ص 56؛ ج 3، ص ص 106-110 .

رابعاً: العوامل الثقافية :

الثقافة كانت من سمات ومقومات العصر المتأغرق، واسهمت بنصيبها في مجتمعات شكلت الاتجاهات العلمية والفلسفية ملامحها الأساسية، فظلت عنصراً رئيسياً اعتمد عليه البطالمة في تدعيم مركزهم وتوطيد كيانه، فقد ساهم تطور المملكة البطلمية كقوة سياسية واقتصادية للعالم الهيليني، في انتقال بؤر الحياة الثقافية من مدن الساحل الإغريقي إلى الساحل الإفريقي، فالدولة التي أسسها بطلميوس بن لاجوس، وتولى شؤونها من بعده البطالمة، صارت البوتقة التي جمعت فيها الحضارات المتباينة؛ الهيلينية والشرقية، وتحول هذه الحضارات بعد اختلاطها إلى ماعرف بالهيلينيسية، ذلك أن مملكتهم بعد أن ورثت اجزاء كبيرة من الإمبراطورية المقدونية، غدت موطناً لمختلف الأعراق والثقافات؛ ثقافات الشرق مع الثقافة الإغريقية الحرة (1) .

استطاع البطالمة المنافسة على الريادة السياسية والإقتصادية في العالم الهيلينيسي، وعملوا بعدها بقوة على انتزاع القيادة الثقافية، وجعلوا من الإسكندرية أهم بؤر الثقافة الإغريقية، والواقع ان حكام البطالمة الأوائل كان لهم الدور والأثر الأهم في نهضة الدولة، إقتصادياً ومعمارياً وثقافياً بين الممالك الهيلينيسية المتنافسة، وهذا التنافس ليس في الحروب فقط، بل عبر النشاط الثقافي والحضاري، في عدة صور وأشكال رئيسية، من التجارة والعمارة إلى العلم والتعليم والأدب والفنون، وفي العدد الهائل من النوايع؛ العلماء والأدباء والفلاسفة والشعراء الذين جعلوا من القرنين الثالث والثاني فترة تشع بالنشاط السياسي والثقافي؛ العلمي والأدبي، والفلسفي والديني والفني، وليس عجيب ان العلوم والآداب والفنون الإغريقية لم تصل إلى ماوصلت إليه، وبلغت المستوى الذي بلغته، إلا بواسطة بيئة غنية مُشجعة وملوك مثقفين، وعلماء وادباء متفرغين بوجه خاص، مهدوا السبل إلى الروائع العلمية والأدبية، وتجلت تلك الرعاية بوجه خاص في البناء الثقافي؛ العلمي والتعليمي، والعمل على جذب العقول، وعلى نشر الفنون، وفي ذلك الدعم السخي للعلماء والأدباء والفلاسفة الإغريق الذين جاءوا إلى دولتهم، ولإنهم عملوا على تيسير وبث سبل الحياة في جُل مناطقها، فتوفر الجو الملائم للازدهار العلمي والأدبي والثقافي، ففي

(1) بدوي، عبدالرحمن، تاريخ الفلسفة في ليبيا " سونسيوس القورينائي "، ج2، بيروت، دار صادر، منشورات الجامعة الليبية، 1969، ص

23 . : Preaux, Les Grecs en Egypte, pp. 57- 68

عصر هؤلاء البطالمة وفضل مناصرتهم وتشجيعهم رُفع العلم القديم والبحث العلمي والتفكير النقدي إلى أعلى درجة، ذلك ان طراز الحاكم الذي يشجع العلم والأدب والفنون والرياضة خدمةً للأهداف السياسية كان شائعاً في العصر الهيلينيستي، وكان الملوك يريدون أن يكتسبوا لأنفسهم مكانة كبرى في العالم الإغريقي، ومن البداية نصبوا أنفسهم رعاة للإغريق وللحضارة الإغريقية (1) .

إن تميز البطالمة برز في كل النواحي، والدعاية السياسية عن طريق النشاط الثقافي والمؤسسات العلمية اتسمت بها حقبتهم، ونتيجة طبيعية للاتجاه العلمي والثقافي لدولتهم عن طريق تركيز النشاط فيها، فالإسكندرية لم تكن فقط عاصمة سياسية، بل مركزاً للثقافة العالمية، وعلوها الذي وصلته على عهد البطالمة، الذين قاموا بالكثير من الجهود في سبيل نيلها لمكانتها الثقافية، إذ لم تعد المدينة في عهد ملوكها الأوائل عاصمة سياسية وإقتصادية فقط للدولة البطلمية، بل غدت مركزاً ثقافياً مهماً في العالم الإغريقي والشرقي، فوجود القصر البطلمي في المدينة أعطى التشجيع والدعم بما يكفي، وفي الواقع صار لدى البطالمة مايرشحهم للريادة من جميع النواحي؛ والناحيتين العلمية والأدبية خاصةً، إذ شيد البطالمة في المدينة المعاهد والمكتبات بنفس درجة ومستوى إعمارهم للقصور والحدائق التي أشاعت شهرتها، فهي كونها مقر سلطتهم حظيت بالصدارة، ونالها الأهتمام الأكبر، فكل الملوك أقاموا بها واسهموا في بنائها وإقامة المنشآت فيها، وإن كانت على عهدي بطلميوس الأول والثاني بوجه الخصوص استكملت أهم معالمها المعمارية التي اشتهرت بها، واصبحت عاصمة العالم المثقف، والمدينة التي شاع منها العلم والأدب، فهذان الملكان يعزى لهما تأسيس أهم المؤسسات التي نهضت بالفكر والعلم طوال العصر البطلمي، بل إلى ما بعد العصر الروماني (2) .

منذ غدت الإسكندرية اهم بؤر الثقافة الإغريقية، اخذ يتجمع فيها على عهد الملوك الأوائل ومن جاء

(1) ديورانت، مرجع سابق، مج2، ج3، ص61؛ صادق، هاني نبيل، الإسكندرية "مجد سالف وأحياء حاضر"، القاهرة، كلية اللاهوت الأسقفية،

1911، ص 23؛ Lesky, Albin, History of Greek Literature, German, 1963, pp. 781- 784

(2) ستيبتيتش، مرجع سابق، ص ص 130- 132؛ أبوالغطا، الحسين إبراهيم، مكتبات العصر الهيلينيستي (323-30 ق.م)، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط1، 2002، ص ص 14- 15؛ يحيى، لطفى عبدالوهاب، الإسكندرية عاصمة البطالمة، بيروت، دار

النهضة العربية، 1977، ص ص 186-189؛ Jouguet, Ibid, pp. 91-116 .

بعدهم، العلماء والأدباء والفلاسفة والمهندسون ليؤلفوا هناك المجموعات والدراسات العلمية، ومن ذلك الحين تحولت مملكتهم في عصر اكبر ازدهار ثقافى للممالك، إلى مكان جذب للثقافة والتعليم، وخاصةً خلال الفترة المبكرة من حكم البطالمة، إذ بُنيت في عهد أولئك الملوك العديد من المؤسسات العلمية والثقافية والرياضية، ولهذا ظلت معظم تلك المنشآت ملكية وليست اهلية، إذ توفر لها الكثير من سبل التحفيز والدعم من الملوك المتعاقبين، وهذه المؤسسات تمتعت بالحريات التي تمتعت بها المدن، فالمدينة التي بُنيت في الموقع الذى تتلقى فيه حدود الحضارات القديمة، اصبحت طوال حكم البطالمة أفضل مكان للعيش وللتعليم والثقافة، وكل ذلك نتيجة طبيعية لطموح الملوك فى أن يجعلوا منها المركز الأهم والأول فى العالم الهيلينيسى (1) .

تصدرت الإسكندرية بفضل هذه الجهود، واصبحت نقطة ألتقاء كل الثقافات وزخرت بالنشاطات، واجتذبت إليها الفلاسفة والعلماء وطلاب العلم، وذلك دليلاً على رعاية حكام الدولة ورغبة منهم فى ان يجعلوا من مملكتهم موقعاً مهماً للثقافة الإغريقية، ولا عجب من ذلك فعندما تحل إدارة توافر فيها الطموح والحكمة إلى حد معقول، فإنه لابد ان ينتج عن ذلك رقى فكرى، وهكذا بدعم الملوك ولأسباب أخرى، ومنها البيئة النشطة الغنية بالأفكار، ووجود طبقة من المستشارين والأغنياء يناصرون العلم والأدب والفنون ويشجعون الكشوف، اجتذبت المدينة إليها البارزين من العلماء والأدباء اللامعين، الذين جاءوا من كل المدن الإغريقية، وخاصةً من كورينى المجاورة التي اسهمت بشكل كبير فى مد المدينة بالعلماء والشعراء والباحثين والدراسين (2) .

فى العصر البطلمى وجدت المدن الكبيرة حيث تعيش أغلبية إغريقية، وفى مدنهم ذات الطراز الإغريقى بُنيت المعاهد والمسارح والساحات، وبقيت أساليب الحياة الإغريقية، وما كان لعاصمة البطالمة ان تنصدر، لو لم تتوفر فيها الظروف التي وجدت فى معظم المدن الإغريقية، فقد وجد فى المدن بالإضافة

(1) أبوالغضا، مرجع سابق، ص ص 16-17؛ الموسوعة المصرية، مج1، ج2، ص ص 466؛ Parsons, E. A., The Alexandrian Library, London, 1952, pp. 133 .

(2) إبراهيم، محمد حمدى، مرجع سابق، ص14؛ نفسه، ص ص 85-86؛ يحيى، لطفى عبدالوهاب، مرجع سابق، ص ص 190-191؛ Josephos, Hist., XII, 3,1; Wilcken, E. G., Hermes, XII, 1912, 103 sq

إلى شكلها وطابعها الإغريقي الخاص بها، سمات واضحة للنهضة البطلمية، فقد ساهمت فى الحركة الثقافية فى العهد البطلمى، وكنتيجة لظهور عدد من البؤر الأخرى، واستمرار الازدهار الاقتصادى والثقافى للمدن الإغريقية الأقدم كذلك، والتي كانت قائمة من قبل سواء فى مصر وكورينى، أو غيرها من مدن الأقاليم التى استطاعت أن تحتفظ لنفسها بدورها الثقافى، وخير شاهد على رقى الحياة الثقافية البطلمية، إشادة كُتاب الإغريق بأعمال ملوكها، ويتضح أيضاً من إشارة المصادر إلى سخاء هؤلاء، ووفود العديد من أبرز الشخصيات الإغريقية إليها، فهم لم يألوا جهداً فى اجتذاب الإغريق إلى مملكتهم، وفى رعاية المؤسسات الإغريقية، ليخلعوا على دولتهم طابعاً إغريقياً، لقد كان ملوك البطالمة مشجعين للعلوم والآداب والفنون من أجل غرس وازدهار الحضارة الهيلينية، ومن أجل ربط الإغريق حولهم، فلقد كانت ثقافة جميع الإغريق أساساً، سواء كانوا يعيشون فى المدن البطلمية الجديدة، ام فى المدن والقرى الإغريقية الأخرى الأقدم منها ثقافة إغريقية، وتمتع مواطنوها بجميع النظم المألوفة فى تقاليد المدن الإغريقية (1) .

الإغريق هم كذلك تشبثوا فى بيئتهم الجديدة بتقاليدهم، واستمروا يترددون على معاهد التربية الثقافية، ومنظمات الشبان والمسارح، وكانت رسائلهم تدل على اهتمام بالغ بالآداب والفنون، وظلت تقوم فى كل المدن البطلمية نظم ومؤسسات ومدارس ومجامع علمية، وساحات للألعاب الرياضية، ونشاطات يشترك فيها الجميع، إذ ساهمت الظروف فى التفرغ للمعرفة والبحث، ونشأت فى البلاد طبقة ثقافية أمتازت بالتنوع الفكرى، وظل البطالمة كما بقية الإغريق الآخرين منفتحين إزاء كل الأفكار، وهذا الشئ أحد أسباب فى أن أنظمة وآراء ومدارس فلسفية مختلفة، حتى حين كانت تهدد القيم السائدة فى المجتمع، لم تكن تُمنع باستثناء حالات نادرة (2) .

كل المراكز الثقافية فى العالم الهيلينيستي مارست دورها، فى الاحتفاظ بالقيم التقليدية، ولبعث الثقافة الكلاسيكية، وقد قام البطالمة بالدور الأبرز، فقد أرادوا بتأثير المفاهيم الجامعة، وأعدادهم بتقاليدهم الإغريقية، أن يجمعوا ويحفظوا التراث الذى تركه اجدادهم، وكل الشعوب الأخرى التى أصبحت فى تلك

(1) الموسوعة المصرية، مرجع سابق، مج1، ج2، ص 513؛ نصحى، مرجع سابق، ج2، ص 125 .

(2) نفسه، ج1، ص 69؛ ج4، ص 174 .

الفترة تحت تأثير الثقافة الهيلينية، أما الخطة التي انتهجوها، فهي إنشاء مؤسسات ودور خاصة للدراسة والبحث، وألحقوا بها مكتبات جمعوا فيها الكتب بكميات هائلة، وبذلوا في سبيل ذلك بسخاء، وكان لهذا الجهد أهميته في إنقاذ المؤلفات الكلاسيكية والشرقية، فبفضلهم ونشاط العلماء نجت الكثير من المدونات من الضياع، وأصبح الحفاظ على ميراث الكتاب القدامى مهمة النخب المثقفة والملوك (1).

لاشك أن التنافس بين المكتبات والأفراد على امتلاك المخطوطات والأحفاظ بها، يدل على المستوى الثقافي الذي وصل إليه المجتمع البطلمي، فلم تعد النسخ مطلب للنخبة فقط، بل أصبحت تزين البيوت وقصور الأغنياء، وبحسب الوقائع فإن زبائن النساخين جُلبهم من المثقفين والطلاب، ونسخت وبيعت المخطوطات في كل أقاليم الدولة الواسعة، ويعنى ذلك إن الإسكندرية غدت أكبر سوق لنشرها وتداولها، ففي الساحات والأسواق عرضت مؤلفات علماء الإغريق وفلاسفتهم وشعرائهم، كما جمعوا مدونات من ثقافات الغرب والشرق، وفي القرن الثالث أصبحت مدنهم أهم أماكن إنتاج الكتب والإتجار بها، وتشتري كل ماتعرضه الأسواق، الأمر الذي ساعد على رواج تجارتها، وبالتالي زيادة نسخها وبيعها تلبية لطلبات المكتبات الكبرى (2).

العهد البطلمي من العهود التي زخرت بالأفكار والنظم والإتجاهات العلمية، ونتج عن الأتجاه العلمي والبحث ظواهر منها؛ التجربة والكشف، واحتفى الجميع؛ الشعراء والكتاب بالنتائج، فلقد افاد هؤلاء من الكتابات العلمية وبرزت في أعمالهم، إذ لم تقتصر سمعة الإسكندرية على الشعر والأدب مع انتقال الشعراء البارزين والفلاسفة إلى مكتبتها الكبيرة، فقد اشتهرت حاضرة البطالمة بالبحث العلمي، ومن خلال هؤلاء ظلت لأنشطة التعليم والفكر والفنون قيمتها العليا (3).

(1) العبادى، مكتبة الإسكندرية القديمة، القاهرة، 1977، ص 10؛ العصر الهلنستى، ص ص 143-145؛ الموسوعة المصرية، مج1، ج2، ص ص 619-620؛ Sarton, Gorge, Hellenis Science and Culture in the Last Three Cent. B.C., Greenwood Press, 1959, p. 32; Bevan, Ibid, pp. 20—2; Tarn, Ibid, p. 236 .

(2) (ستيفيتش، مرجع سابق، ص ص 124-125؛ ديورانت، مرجع سابق، ج 1، مج2، 6، ص ص 1-2؛ نفسه، مج2، ج3، 8، ص ص 62 -63 -88-89؛ Fraser, P. M., Ptolemaic Alexandria, I, Oxford ; 3, 36,3 ;Mahaffy, Empire, p. 208; Diod, III, 36,3 ; Uni. Press, 1984, p. 32 .

(3) إبراهيم، محمد حمدى، مرجع سابق، ص ص 90-92؛ Polybius, IX, 2

كان لإنتاج الإسكندرية الأدبي طابع خاص تميزت به، فلم تحرز الآداب والفنون تقدماً أكثر حتى العهد البطلمي، عندما تصدرت مدارس الإسكندرية آنذاك، وصارت بؤرة الآداب والثقافة في العالم الهيلينيستي بلا منافس، حتى أطلق على أديبها السكندري نظراً للدور الذي قامت به المدينة، وزعامتها على المراكز الأدبية، فنوع الإنتاج الذي امتازت به، اختلف عن العصر السابق واللاحق، ففي القرن الثالث كانت مكتبتها أهم مراكز العالم في الدراسات الأدبية، قصدها كثير من كتاب النثر والشعراء والدراسين، إما لينضموا إلى هيئة علمائها، أو ليتعلموا فيها، ويضاف إلى ذلك ان شهرة أى أديب على رأى نقادها، الذين أنتجوا مقداراً من النثر لم ينتجه عهد آخر (1) .

قبيل سقوط الدولة، وحتى مع تراجع، استمر الاهتمام بالعلوم والآداب والفنون، ووضع الملوك الكتاب تحت رعايتهم، ولذلك اعتبرت هذه الفترة من ازهى الفترات فى النواحي الثقافية؛ المسارح والمعاهد والمدارس ومكتبات ضخمة تضمنت جميع تراث الفكر الإغريقي، وظلت البلاد تحتفى بالعلماء والشعراء والفنانين، وتضع النحاتين والمهندسين فى مكانة كبيرة، وبقدر ماكانت السلطة مشجعة، كان هناك كم كبير من كل هؤلاء، ومن العلماء والفلاسفة الذين اثروا فى الواقع العلمى، ولذلك توفرت فى كثير من مراكز العلم أسباب البحث على النمط الذى وضع الفلاسفة قواعده، وأثرت الأفكار الفلسفية على الفكر، فظهر اتجاه بدأ يبحث عن العلل الطبيعية لكل شئ، وكانت الفلسفة قبل تهتم بالنظريات، ولكن الفلاسفة والعلماء الهيلينستيين اهتموا بالواقع والتجربة، فتأثرت الحياة والحركة العلمية فى هذا العصر بعبقرية الفلاسفة، ثم ظهور المدارس الفلسفية بعد ذلك، لقد تأثرت النواحي التعليمية والثقافية فى هذا العصر بعوامل عديدة وأهمها رعاية الملوك لاشك، ولكنها تأثرت أكثر بعبقرية الفلاسفة، وظهور المدارس الفلسفية فى القرن الرابع، والتي اسهمت فى خلق مزاج علمى وفلسفى عام كان محفزاً كبيراً للعلمية وللبحث (2)

(1) العبادى، العصر الهلنستى، ص ص 144-145؛ إبراهيم، محمد حمدى، مرجع سابق؛ ديوراننت، مج2، ج3، 8، ص ص 90-91 .

(2) نفسه، مج2، ج3، 8، ص ص - 118-120 - 205-212؛ نصحى، مرجع سابق، ج2، ص ص 185-207؛ لطفى عبدالوهاب، مرجع سابق، ص ص 314-315؛ الموسوعة المصرية، مج1، ج2، ص ص 443-444؛ Robinson, Eric, Ancient Greek Literature, Wiley Library, 2004, pp. 41 ff; Bell, Cults and Creeds, in Graeco-Roman Egypt, I, Philasophical Library, 1954, p. 15 .

إن العصر الهيلينيستي سبقته أفكار فلسفية كثيرة كان هدفها تحييد الفكر الإغريقي من المثالية والأسطورية والاتجاه به نحو العلمية والواقعية، وكما شهد القرن الخامس ق.م. ازدهار الآداب شهد ازدهار الفلسفة، فمنذ ذلك العهد تميزت آداب وفنون الإغريق بقدر كبير من الأفكار الحرة، والاهتمام بالأخلاقيات، وكان هذا الميل مُشجعاً على القيام بكثير من التجارب فى أساليب العيش، وفى هذه البيئة الباعثة للنشاط المادى والذهنى نمت الفلسفة، وبلغت فى القرن الرابع الذروة، ذلك أن المجتمع تحرر من كل شئ؛ فالفلسفة أثرت فى جُل أمور الحياة، فى السياسة والدين والأدب، وحتى التعليم والعلم قبل القرن الثالث ق.م. كان يدخل ضمن الفلسفة، ويُدْرَسه ويعمل على ترقيته رجال فلاسفة أكثر منهم علماء، ولم تكن أغلب العلوم فى نظرهم عملية، بل كانت ذهنية، أكثر مما تسعى إلى السيطرة على البيئة الطبيعية، ولكن مع الوقت أصبح هناك إدراكاً لقيمة التجارب العلمية والخبرة العملية فى التعليم والعلوم الإغريقية (1)

إذا كان العصر الهيلينيستي شهد انتشار المدارس الفلسفية، فقد كان للفلاسفة الأوائل وأتباعهم أثر كبير، والدور الذى قام به هؤلاء فى الأحداث السياسية والإجتماعية والثقافية فى البلاد الإغريقية منذ القرون الخامس والرابع والثالث ق.م. كان دوراً رائداً، وأن العصر الكلاسيكى تميز بانطلاقه، وطرح مفكروه آراء عامة فى كل المسائل، سواء من خلال ممارستهم لمهنة التعليم فى مدارس خاصة اسسوها جمعوا فيها التلاميذ، أو عبر أماكن عامة؛ كالأسواق والساحات والمسارح، وبعض تلاميذهم الذين جاؤا من بعدهم أكملوا نشر تلك الأفكار، وظهرت المدارس المختلفة، وصارت لها نُظماً وأتباعاً، فالعصور الإغريقية القديمة من المراحل التى اسهمت فى ظهور النظريات والأفكار فى كل جوانب الحياة، والكثير من المسائل بحثتها الفلسفة عبر المدارس الفلسفية، واستمر فلاسفتها واتباعها مهتمين بوسائل المعرفة والبحث لكن القيمة الأعلى هى اتباع العقل، السمة التى امتاز بها التفكير الإغريقي النقدي، فالمعرفة وإعلاء شأنها من الأسباب التى دفعت بمستواهم العلمى والثقافى، وقصارى القول أن الفلسفة عندهم كان لها التأثير على كل شئ فى العصرين الكلاسيكى والهيلينيستي، وإن الفلاسفة كانوا واضعى أساس الطرق أو القواعد

(1) إبراهيم، محمد حمدى، مرجع سابق، ص 14؛ نفسه، ص ص 85-86؛ ديورانت، مرجع سابق، ج2، ص7، ص ص 196-199؛ نفسه، ص ص 135-187؛ يحيى، لطفى عبد الوهاب، مرجع سابق، ص ص 189-191؛ Tarn, Ibid, pp. 237-238; Mahaffy, Ibid, p. 511 .

العلمية، وأول من نظم التعاون فى البحث الفلسفى والعلمى، والتعليم الإغريقى يدين لهم بالكثير من النظريات وبالعدد الهائل من المصطلحات التى ساعدت تبادل المعلومات، فتلك الآراء والأفكار التى نشروها وكافحوا من أجلها، هى الآراء ذاتها التى ستشغل المعلمين والمتعلمين فى القرون التالية (1) .

كان ذلك بإيجاز الشكل السياسى والإقتصادى والاجتماعى لدولة البطالمة فى القرن الثالث ق.م. ويتبين أن دولة البطالمة ظهرت على أسس عديدة، وأن ملوكها كانوا قادة وساسة اتصفوا بثقة وإرادة، وتمتعوا بكفاية إدارية وعملية، حيث عملوا على إقامة دعائم أخرى للدولة، فالأساس السياسى لديهم ارتبط منذ البداية بالجانب الإقتصادى والثقافى، ويبرز بوضوح مدى ما شكلته هذه النواحي مجتمعة من أهمية فى النهوض بالدولة ودعم الاستقرار، فالبناء السياسى والعسكرى ارتبط بالجوانب الأخرى الحضارية المختلفة عند البطالمة، حيث عملوا على بناء الكثير من الأسس فى مواجهة المتطلبات، واطهروا جُلهم اهتماماً رشيداً ورعاية بمصالحها، لإنهم كانوا حكماً شديدي الأنتماء، والاعتبارات العملية الخالصة هى التى توجه سياستهم، كما ساهمت فى نهضة دولتهم عوامل أخرى، من أهمها تقاليد المدن الإغريقية، ولعل العامل الأهم من كل ذلك هم الإغريق أنفسهم، الذين عرفوا بالنشاط وحرص على الشؤون الدنيوية، ورغبة فى المعرفة وحب للحرية، كما تميزوا بالمقدرة على ان يضيفوا إلى ما اقتبسوه من غيرهم شيئاً مختلفاً، حتى أنه صار من المتعذر تقدير ما يدينون به لمجتمعات الشرق القديم، سواء عبر التجارة والهجرات الأولى، أو عبر المستوطنات فى العالم الهيلينيستى بعد ذلك، فبثت فيها نهضة وأتصال استمر حوالى ثلاثمائة سنة هى فترة حكم البطالمة .

(1) ديورانت، مرجع سابق، ج2، مج2، 7، ص 195 .

الفصل الثانی: التعليم البطلمی
I. انتشار التعليم البطلمی
II. نظام التعليم البطلمی

التعليم البطلمي

بعد أن عرضت للأوضاع والعوامل التي أثرت على التربية التعليم في الدولة البطلمية، سنتناول سبل انتشار ونظم هذا التعليم البطلمي، فبعد استقرار أحد أهم القوى السياسية والاقتصادية في العالم الهيلينستي، وانتقال الحياة الثقافية من بلاد الإغريق إلى مدن الساحل الإفريقي، وتحولها إلى مراكز تعليمية وعلمية، إذ لم تؤثر هذه المرحلة الانتقالية على النشاط التعليمي، فشهدت دولة البطالمة في شطرها الأول والثاني نشاطاً وانتشاراً غير مسبوق للمدارس والمعاهد الإغريقية التي ظلت دعامة التعليم، وإذا كانت صُدف التنقيب قد جادت بالتعرف على كم هائل من المعلومات عن الوثائق والمدونات البريدية التعليمية حتى في ضواحي المدن والقرى، فما بالك بالمدن الكبرى، فلا تزال الآثار تكشف بين الحين والآخر عن ألواح تعليمية في مختلف نواحي وجوانب التعليم في كل أنحاء التي امتدت إليها، ما يدل على مدى الانتشار والنشاط العلمي والتعليمي، وعن اتساعه وتقدمه في مملكة البطالمة (1) .

إن التعليم كان من أعمدة بناء الدولة البطلمية والأسس التي قامت عليها نهضتها، فالملوك البطالمة وقد تملكتم الرغبة في إعطاء دولتهم سمات إغريقية، استعانوا بالتقاليد الإغريقية، وعملوا على أن يجذبوا إلى بلاطهم المستشارين البارزين في شتى الميادين، لبناء وتكوين مؤسسات وهيئات ومجاميع علمية، ولا شك في أن الدعم والرعاية التي اسبغوها على مؤسسات التعليم دليلاً على سياستهم ورغبتهم في مساعدة المستوطنين على متابعة سبل حياتهم والاحتفاظ بطابعهم الإغريقي، لأنهم عندما عملوا على تلك السياسات، وأولها جذب وتوطين الإغريق، فهم عملوا في ذات الوقت وبالنتيجة على نشر التعليم الإغريقي والثقافة الإغريقية، حيث أخذ يتوافد منذ القرن الثالث ق.م. وخاصة في فترة الملوك الأوائل، العلماء والفلاسفة والأدباء والمهندسون والفنانون من أثينا وكورينى وكوس، ومن كل أنحاء العالم الإغريقي، ليؤلفوا المجموعات والمدارس والدراسات العلمية في الإسكندرية، وفي كافة المدن البطلمية، ومنذ ذلك الحين شهدت المنطقة فترة انتشار علمي وتعليمي (2) .

(1) ستيفيتش، مرجع سابق، ص 63؛ حسن، هلا، مصر في عهد الإغريق والرومان، الجيزة، دار الأمل للنشر والتوزيع، 2001، ص ص 6-8

؛ فالوقى، محمد هاشم، أبحاث حديثة في التربية، طرابلس، مركز التوثيق الجماهيري، ط1، 1987، ص ص 7-8 .

(2) Rostovtzeff, Soc. & Ec., pp 324; Idem, pp. 1059-60 .

أولاً: انتشار التعليم البطلمي :

عندما شيد البطالمة دولتهم، شجعوا الهجرة إليها، ودعموا الجاليات الإغريقية، واهتموا بما في المدن من مؤسسات تعليمية، واضفوا عليها صفة رسمية، وزادوا على ما كان يوجد من تلك المدارس والهيئات، فوصلت إلى حيثما توفر العدد الكاف من المواطنين الإغريق، وإذا كانت المدارس بالأساس أهلية وخاصة، وقد وجدت في كل المدن الإغريقية حتى قبل البطالمة، ولكن الملوك زادوا من عددها وأولوها رعايتهم، وأمدوها بدعمهم وإعاناتهم، فمنحوها الأمتيازات الهامة، كامتلاك الدور والأراضي والأثاث، وتزويدها بكل ما تحتاج إليه من المواد والأموال، وتنظيمها والإشراف عليها، وهذه الرعاية الملكية اعطاها صفة عامة أو شبه رسمية، فالحكومة كانت تعترف بكل الجماعات التي نشأت حول هذه المؤسسات، سواء معاهد أو مدارس أو نوادي أو جمعيات (1) .

هؤلاء البطالمة المحبين للأدب والفنون وذوى الثقافة والتعليم الإغريقي، رعوا وقدروا العلم، واستحوذ الميل العلمي والتعليمي عليهم، مثلما كان لميولهم المادية والجمالية، فباتوا يحتفظون في قصورهم بمكتبات خاصة، عدا عن كونهم من أوائل المؤسسين للمكتبات العامة، وجمعوا حولهم العلماء والأدباء قدر اهتمامهم بجمع الشعراء، ولاشك أفاد التعليم من ذلك، ومن ازدياد المعرفة وتقدم العلوم والكشوف، عبر كتابات الرحالة والمستكشفين، فقد بُذل في سبيل ذلك قدر كبير من الجهود المشتركة، فلا يعود الفضل إلى الملوك البطالمة وحدهم (2) .

سيبقى دليلاً على الدور الذي قام به هؤلاء في ترسيخ التعليم، ما ترتب على رعايتهم ودعمهم من نشر وبقاء وامتداد النظم التعليمية الإغريقية، إذ كان من بعض مظاهر ذلك الاهتمام، إمداد المؤسسات بالمساعدات المالية، وتشجيع الأبحاث والكشوف والبعثات، وانتشار التعليم بجميع مراحل وأشكاله، ونشطت مدارس الفنون والهندسة والطب والبيان والنحت والتدريب الرياضي وساحات الألعاب الرياضية، عدا عن تمويل الكشوف وإرسال البعثات إلى الجامعات المعروفة كجامعة أثينا، وازدادت الأروقة والحلقات والمدارس ودور الكتب من الأمور السائدة (3) .

(1) Jouguet, Mac. Imp., pp. 302-333; 138 ff; Tarn, Ibid, p. 184 ff .

(2) الموسوعة المصرية، ج 2، ص 1، ص 607؛ بدوى، عبد الرحمن، تاريخ الفلسفة، ج 2، ص 137.

(3) نفسه .

يعزى انتشار مؤسسات التعليم بعد ذلك في مدن البطالمة بهذا الشكل والكثرة، إلى المنافسة، وإلى ميل المواطنين الإغريق إلى لون من الحياة الاجتماعية يعرضهم إلى حد ما عن جانب من حياة اعتادوها، وأشياء كانت قريبة إلى ثقافتهم، ولكنهم افتقدوها في مدنهم الجديدة، ولذلك وفي كل المدن البطلمية، لم تكن أغلب المؤسسات العلمية في الأساس مؤسسات حكومية أسسها الملوك، إنما كانت في الغالب منشآت خاصة أو محلية أسستها الجماعات الوافدة، التي جاءت من مناطق إغريقية مختلفة، وكانوا يتنافسون في إنشائها، فهؤلاء بعد أن استقروا في أرجاء مملكة البطالمة لم يكن في وسعهم الاستغناء عنها، لأنها كانت قوام الحياة التعليمية في الوطن الأم، وفي المدن التي شيدها، فلا يجب أن يطمس الدور الذي قام به هؤلاء، وأيضاً ما قامت به المدارس والأطراف في نشر التعليم (1).

احتفظ الإغريق الذين عاشوا في دولة البطالمة بشغفهم بأساليب ونظم الحياة الثقافية، وإحراز قسط من التعليم الإغريقي، وباستثناء الفئة المتعلمة تعليماً عالياً، كانت معرفة القراءة والكتابة تعنى للجميع شيء هام، كأهمية تأمين عمل ومركز، وكان الترف والحياة المادية قد أوجد للناس الفراغ، ونشأت أرسنقراطية ثقافية امتازت بالتعاش والتسامح الفكري، فأصبح من يقرأون ويكتبون أكثر من أي وقت مضى، وبدأت السياسة والعلوم والآداب والبحوث تنفصل عن العقائد والفلسفة والسلطة الدينية، وأخذ جزء كبير من عامة الناس يتحرر من الخرافات التي تملأ حياتهم وتتحكم بها، فكان التحرر من سمات العقلية الهيلينية، ولم يكن أحد يُحسب من المثقفين إلا إذا كان يقرأ ويكتب ويتحدث الإغريقية، ويستطيع الاستمتاع بمشاهدة مسرحيات مناندرس Menandros، ويوريبيديس (2).

إن البطالمة الذين تشربوا تعاليم الفلاسفة الإغريق وجهوا جهودهم إلى نشر التعليم في دولتهم، واستنتت الخطط أو القوانين التعليمية، وتحملوا في سبيل تنفيذها باهظ النفقات، كما كان لجهود الفلاسفة والعلماء والأغنياء دوراً في توجيه التعليم بشكل أو آخر، حتى غدت المدن البطلمية من أكثر المدن الهيلينية الراعية للتعليم وإنشاء المدارس، الشيء الذي ساعد على انتشاره بهذا الشكل الواسع (3).

(1) Rostovtzeff, Soc. & Ec., pp 324; Idem, pp. 1059-60 .

(2) كاتب مسرحي كلاسيكي ومن أبرز شعراء الكوميديان ولد بأثينا 342- 290 ق.م. ويوريبيديس روائي مسرحي ولد في سلاميس 480- 406 ق.م. عثمان، أحمد، مرجع سابق، ص 160؛ الشنونى، أحمد، الخالدون من أعلام الفكر العربي، بيروت، دار الكتاب العربي، 1986، ص 229 . (3) ديورانت، مرجع سابق، ج3، مج7، ص ص 405- 409 .

من البديهي مع ازدياد الاهتمام بالتعليم على كافة المستويات الحكومية والمدنية، ارتقى وأخذ ينمو، فظهرت مراحل وأشكال عديدة، وانتشرت المدارس الأولية والمشاركة والمعاهد المتوسطة والعليا، والمكتبات في كل أنحاء الدولة البطلمية، ولعل في هذا ما يدل على السمات المدنية الواضحة لدولة البطالمة، وعلى انتشار وتطور التعليم وتنوعه إلى حد كبير، فكثرة المدارس الأولية في كل المدن، ووجود التعليم النوعي والمختلف، النظري والعملي والمتوسط والعالي، خلق تنوعاً وأوجد طفرة وتجربة غير مسبوقه في شكل وحجم ونوع ذلك التعليم الذي لم يعد مقصوراً بحال على جنس أو طبقة، وصار يحظى بالإقبال بين كل الفئات، من القاعدة العريضة التي عملت السياسة البطلمية من أجل إنشائها، فلا ينقص من قيمة هذا الأمر ما ساد من اتجاهات، وحتى لو كان البطالمة لم يستجيبوا إلا لدوافع سياسية، أو حاجتهم الملحة إلى الكوادر والأيدي العاملة، فإن هذه المتطلبات والأسباب هي التي ساعدت على نشر التعليم، كما فتحت الفرص أمام الوافدين من كل حذب وصوب (1) .

كانت حاجة ومتطلبات الدولة للكوادر من العوامل التي ساعدت على نشر التعليم، كذلك كون التعليم هو الوسيلة للذين عاشوا في مجتمع المدينة لتحقيق حاجاتهم الاقتصادية والاجتماعية، كما لم يعد وجود المدارس والمعاهد قاصراً على المدن الكبرى ذات الأغلبية السكانية مثل الإسكندرية وبطلمية وكوريني، بل وجدت المدارس والمعاهد العامة والخاصة في كل مدن الدولة التي اخذت تهتم جميعها بجوانب التعليم، وهذا الزخم التعليمي اكسبها قوةً وتعدداً في نواحي نشاطها الأخرى، ومع اتساع وارتقاء دولتهم، وجد التعليم البطلمي شكله النهائي، وفتحت المدارس أمام الجميع، الأغنياء والفقراء، الذكور والإناث، وربما كانت هناك خطأ مرسومة أو معايير لفتح المدارس وتمويلها وتنظيمها بشكل عام أو خاص، وربما وجدت قوانين تلزم الأسرة إرسال الأطفال إلى المدرسة، وتفرض عقوبات على من يتأخر ولا يقوم بواجب تعليمهم على الأقل في المراحل الاولية (2) .

إلى جانب الطبقة الوسطى الواسعة من المتعلمين وأنصاف المتعلمين، والتي كانت أكثر عدداً ونشاطاً، كانت توجد النخبة التي تلقت تعليماً عالياً، فالتعليم لم يعد حكراً على الأثرياء، فقد سعت في طلبه كل الفئات، كذلك لم يكن التعليم مقصوراً على الذكور دون الإناث، فلقد انتشرت المدارس الأولية للبنين

(1) نصحي، مرجع سابق، ج1، ص ص 56؛ نفسه، ج2، ص 379 ; Lesky, Ibid, p. 784

(2) ديورانت، مرجع سابق، ج 2، مج7، ص 413؛ الشيخ، رأفت غنيمي، تطور التعليم، ط1، دار التنمية للنشر والتوزيع، 1972، ص ص 2-3 .

والبنات، بل كان الأولاد والبنات يتعلمون معاً في أغلب المدن البطلمية، وهو ما لم يكن معتاداً حتى في مدن إغريقية عريقة كأثينا، وقد أفاد الانتشار والتنوع والتخصص التعليم من نواح عدة، فعدا انه لم يعد وفقاً على فئات محدودة، ولا قاصراً على النخبة، صار مُتاحاً أمام الجميع في هذا العهد، وربما اتجهت بعض المدن إلى جعل التعليم إجبارياً (1) بل إن المدارس الابتدائية فتحت كذلك لبعض الفئات من العناصر غير الإغريقية من أبناء سكان الدولة، ومع تزايد عدد مؤسسات التعليم في كل النواحي البطلمية عبر انتشار المدارس الأولية للبنين والبنات، فلم يقتصر هذا المد والانتشار التعليمي على أكثر المدن تقدماً وسكاناً، وأقبل عليها الجميع، إغريق وكورينيين ويهود ومصريين (2) .

في الواقع لم تكن السبل للوظائف أو الأعمال ممهدة أمام الجميع، وكذلك الحصول على مناصب لكل أولئك الإغريق، ولذلك ظل التعليم هو الوسيلة إلى تقلد أعلى المناصب في الدولة، فمن حق افضل المتعلمين أن يتقلدوا سلم الوظائف، بينما كان على الآخرين الأقل تعليماً وخبرة أن يقنعوا بالعمل كموظفين عاديين في الإدارات، وأنه من أجل الوصول إلى الوظائف المدنية الهامة، أو الالتحاق بالفرق العسكرية، وما يستتبعه من الفوز بمكافأة أو بإقطاع كبير، كان يتعين على الراغبين في ذلك أن يكونوا قد تعلموا تعليماً إغريقياً جيداً، ولذلك من العوامل التي ساعدت على نشر التعليم، كون التعليم يعتبر الطريق لتحقيق المطالب الاقتصادية والاجتماعية، عبر زيادة الدخل وتحسين المركز، فالمستوى العالي من التعليم تُمكن أصحابها عادةً من تقلد مركزاً في مجالهم ومحيطهم (3) .

بالإستناد إلى الوثائق الشخصية والحكومية فإن التعليم ظل في جانب منه يلبي حاجات الناس، ولكن في جانب آخر أكبر استخدم لتلبية حاجات السلطة إلى كوادرات وخبرات، فتسيير أمور الدولة لن يكون إلا عبر جهاز إداري ومنظومة، يتولاها خبراء على جانب كبير من العلم والخبرة، فكان التعليم الوسيلة لتوفير

(1) نصحي، مرجع سابق، ص 399؛ مكاي، مرجع سابق، ص ص 204-205؛ خليل، فادي، تثقيف الكبار، القاهرة، دار الحمamy للطباعة، مكتبة القاهرة الحديثة، ص ص 83-87 .

(2) Barrow, Rodin, Greek and Roman Education (Macmillan Education. London, 1976,

149- 156; Too, Ynu lee, Education in Greek and Roman antiquity (Bos ton Brill, 2011); Scott, Michael, Women in Ancient Greece, History Press, 2009, P. 34; Bevan, Ibid, p. 104 .

(3) بل، هارولد آيدرس، مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، (ت. عبد اللطيف أحمد على)، ط3، بيروت، دار النهضة العربية، 1973، ص ص 112-113؛ التومي، مرجع سابق، ص 25؛ التومي، عمر محمد، دور التربية في بناء الفرد والمجتمع، وحدة التأليف والترجمة، بيروت، وزارة الإعلام والثقافة، 1974، ص ص 7-19؛ Tarn, Hellen Civil, p. 175

متطلبات الدولة، بتعليم وتدريب وإعداد الكوادر لإدارة الأجهزة والمرافق الحكومية المتعددة، فظهرت الحاجة إلى المتخصصين، وأصبح لابد من وجود المتعلمين والمتدربين في كافة النواحي المدنية والعسكرية، فكان العمل على زيادة أعدادهم لتوفيرهم، وحيث يتم تلقينهم وتدريبهم أمور محددة بحسب الوظيفة التي يستعدون للقيام بها، فمخرجات هذا التعليم ستنتهي بالنتيجة إلى امتحان مهنة من المهن؛ محاسب أو طبيب أو مهندس أو كاتب أو غير ذلك " أصبحت الكتابة مهنة لا هواية، وكان يوجد الكاتب الملكي، وكُتاب آخرون ينتمون إلى حلقات وجماعات أرباب المهن أو الحرف، يزاولون مهنتهم في أجهزة الدولة أو مستقلين عن غيرهم في ورش كبيرة أو صغيرة للنسخ، إذ كانت مهنة النسخ وتجارة الكتب رائجة، وتوافد النساخ المحترفون وباعة الكتب في كل الأغورات، حيث كانوا يملكون دكاكينهم في أكثر الأماكن نشاط في المدينة، وكانت كتب الكُتاب والشعراء تنسخ، وعندما ينتهي النساخون من عملهم يُجلد الكتاب ويصبح جاهز للبيع، ولم يكن للكتب أسعار محددة بل كانت تباع ككل سلعة أخرى، فكان يقدر على شرائها الجميع، خاصةً إذا كانت كتب دون تجليد فاخر، وبعبارة أخرى لم تكن أثمانها غالية إلى حد ان تقف عقبة امام الثقافة والتعليم، ولاشك إن زبائن الكتب كان جُلهم من المثقفين والطلاب، وتباع في كل مدن وأقاليم الدولة " (1) .

ظلت الدولة البطلمية إغريقية الهوية، لكن غالبية سكانها لم يكونوا من الإغريق، بل من أعراق وثقافات وديانات أخرى، وتشير القرائن إلى تغلغل الثقافة الإغريقية بين العناصر غير الإغريقية عن طريق التعليم أو العمل والإقامة، ويدل على ذلك اتخاذهم لأسماء والملابس وغير ذلك من المظاهر الخارجية، فكما وجد من يقرأون ويستمتعون بالأدب الإغريقي، ظل يوجد كذلك الذين بالكاد يتحدثون الإغريقية، فقد كانت البلاد تعج بهم، وبالكثير من أنصاف المتعلمين، فاللغة الإغريقية هي لغة الدولة والإدارة، ووجب على كل من يسعى للعمل في المرافق الحكومية أن يتقنها محادثةً وكتابةً، مما ساعد على انتشارها إلى حد ما بين المصريين واليهود والفرس وسواهم، الذين اضطروا إلى تعلمها، واصطبغوا مع الوقت بالثقافة الإغريقية . (2) .

حين أصبح تعلم ودراسة المواد اللازمة للإعداد الفكري والعملية من المؤهلات المطلوبة كان على هؤلاء من

(1) ستيبفيتش، مرجع سابق، ص ص 60 - 61؛ نفسه، ص ص 66-67 .

(2) نفسه، ص ص 104-105 .

غير الإغريق أن يتقن الإغريقية، حتى يستطيع أن يتولى الأعمال الإدارية في الحكومة، فظهرت مدارس كثيرة يديرها مدرسون محترفون، وكان في البداية مدرسو هذه المدارس الأولية من الإغريق الذين وفدوا من المدن الإغريقية، وأوجدت اللغة المشتركة والتعليم، ثقافة مشتركة، وهذا ما يدل على الاستخدام الواسع لمن كانوا يعرفون القراءة والكتابة، وأن عدد أولئك المستخدمين المتعلمين والعاملين في الحكومة كان كبيراً، إلى الحد الذي أصبح فيه ممكناً التواصل بين سلطات الدولة وجميع العناصر غير الإغريقية، ما يدل على انتشار التعليم بشكل كبير بعد ان أصبحت الكتابة شائعة بين المواطنين إلى حد أن القرارات المهمة والوثائق الرسمية تعلق في الأماكن العامة (1) .

أوجد انتشار التعليم كذلك في عهد البطالمة فئات ومستويات من المتعلمين، أحدها هي المتعلمين تعليماً عالياً، وفئة من الذين حصلوا على قسط محدود، ومهما تكن حجم وإمكانات كل هذه الفئات، إلا أنها تكشف عن وجود شرائح مختلفة وتنوع آخر في الدولة، ما يعكس اتساع دائرة التعليم، فالبلاد زاخرة بفئات ومستويات، ومهن عديدة من رجال العلم والأدب والفلسفة، وتعج بالمعلمين والمهندسين والمحامين والاطباء والكتّاب وأصحاب الحرف والتجار والصناع والزراع، كما أصبحت الرياضة والموسيقى حرفة كذلك، وصار المواطنون يملأون مدارس التدريب الرياضية، بل أضحت الحرب نفسها مهنة، وتحتاج إلى جنود مدربين تدريباً خاصاً يستغرق الكثير من الوقت، كذلك يبدو واضحاً أن كل المدن الإغريقية بما فيها مدن البطالمة، عرفت الأشكال الأولى من التعليم التخصصي، فكان كل من الكتّاب والمهندسين والنحاتين والبنائين والكهنة يتلقون إعداداً مناسباً لمهنتهم (2) .

كانت مهنة التعليم منتشرة بدرجة كبيرة، وعمل الكثيرون في المدن البطلمية على الاشتغال بمهنة التعليم العام والخاص وإنشاء المدارس، وحتى عهد البطالمة " . . . لا يزال بعض من أبناء النبلاء يتلقون تربية وتعليم في البلاط يقدمه لهم أساتذة رفيعو الشأن، ولكن لم يعد مقصوراً على أبناء هؤلاء، بل حتى أبناء الطبقات الوسطى والفقراء كانوا يتلقون التعليم الذي يؤهلهم ويناسبهم، والتلميذ الذكي يستطيع أن يبلغ مستواً عالياً من التعليم يتيح له أن يصل إلى مراكز ووظائف عليا في الدولة، فلا عجب أن تميز العهد البطلمي بانتشار التعليم وتقدمه، ولا أدل على ذلك من أن المسئول الذي صار يناط إليه الإشراف على

(1) الموسوعة المصرية، مرجع سابق، مج1، ج2، ص 545؛ ستيبفيتش، مرجع سابق، ص ص 64-65 .

(2) نفسه .

التعليم في الدولة البطلمية أصبح أهم حكامها، فقد كان من واجبات المسؤولين في المدينة هي التربية والتعليم، والدليل على الاهتمام بالتعلم وبمهنة التعليم، أن أصبح مدير الجمنازيوم من أهم الشخصيات في المدن الجديدة، وفضلاً عن المدارس الأولية المحلية والتعليم المتوسط الذي كان يُلقن في المعاهد أو النوادي الرياضية، كان هناك معلمون آخرون ذوو منزلة يسافر إليهم التلاميذ من كل مكان ليتلقوا العلم على أيديهم، وفي هذا سبق لوجود نظام المدرسة الداخلية، ومدرسون خصوصيون يفد إليهم التلاميذ من جهات بعيدة، وكان الكُتاب كذلك يتحصلون على أعمال، وقد يصلون إلى أرفع المراكز في البلاط، ومهمتهم أن يسجلوا العقود التجارية وأن يستنسخوا الكتب، وكانوا يدرسون الخط والأدب، بالإضافة إلى المحاسبة والرسم والدين " (1) .

مهنة أخرى كانت متقدمة ومنتشرة، وهي مهنة الطب، ووجدت دراسات طبية ونصوص عن معالجة أعداد كبيرة من الأطباء للمقيمين في المدن دون أجر، لأن الدولة كانت تعطيهم مرتباتهم، وذلك يعني أن الاستفادة من الخدمات الطبية المجانية لم يقتصر على الجنود وحدهم، إذ أن ضريبة الخدمة الطبية كانت تجبى من كل سكان الأقاليم، وقد استعانوا في البداية بخبرات معروفة من المدن الإغريقية، وإلى جانب الأطباء الحكوميين والخدمات الصحية العامة، وجد في كل مدن الدولة أطباء مختصون، وذاعت شهرة مدرسة الطب في الاسكندرية، والتي جاء إليها الطلبة من كل أنحاء العالم الإغريقي، كما نالت مدينة بلجراى Balagrai (2) الواقعة غربى كورينى بإقليم كيرينايا سمعة طبية فى العلاج الجسدى والنفسى، فى الفترة الهيلينستية، وكل هذا يعنى بأن مهنة الطب كانت متقدمة، والمدارس والدراسات الطبية كانت منتشرة، كذلك أصبحت الاسكندرية الوجهة التعليمية الأفضل أمام الطلاب المولعين بالهندسة أو الفنون من المدن الأخرى، لإتمام دراستهم وتعميقها لمن يريدون إكمال دراستهم الهندسية العليا، حيث كانت توجد مجاميع للهندسة وأخرى للفنون، حيث قامت مدارس للنحت تقوم بتعليم الذين تستهويهم الأعمال النحتية، وحظيت هذه المجموعات والمدارس بدعم البطالمة، والعديد من المعمارين والنحاتين الذين شملوهم بالرعاية برزت مبتكراتهم، والتي خلعت على مملكة البطالمة طابعاً خاصاً ميّز المعمار والفن فيها عنه في

(1) نصحي، تاريخ مصر فى عصر البطالمة، ج4، ص ص 146 - 147؛ نفسه، ص ص 172 - 173 .

(2) مدينة إغريقية تأسست عام 414 ق.م. على الطريق بين باركى وأبولونيا وكان يوجد بها معبد مشهور لإله الشفاء أسكليبيوس Asclepius واشتهرت بالعلاج النفسى عن طريق الحفلات الموسيقية، ومن مواليدها الفيلسوف سونسيوس. بارت، رحلات إلى بلاد المتوسط، ج1، ص 416؛

Pausanias, II, 26, 9; Tabula, Peutingeriana 7, Pentapolis History an Geography, Harvard Uni .

سائر الممالك الهلينيستية الأخرى (1) .

من بين عناصر الحياة الاجتماعية في الدولة المحامين الذين زاولوا مهنة المحاماة، إذ كانوا كثيري النشاط في المحاكم للمرافعة في مختلف القضايا، واعترفت بهم الحكومة البطلمية، ولكن هؤلاء لم يتلقوا أصول مهنتهم في مدارس خاصة لدراسة القانون، لأنه لم يُسمع عن مثل هذه المدارس، ولعلمهم اكتسبوا خبرتهم بالمران العملي ولقنوها لمساعدتهم، وأن ذلك كان أيضاً الحال مع المعلمين ومهنة التعليم، أما المعماريين والمهندسين منهم والعسكريين ومخططي المدن وقباطنة السفن والصيدلة، فالقارئ تبين أن كل أولئك كانوا عناصر مألوفة في المجتمع، ولكن لا تذكر وقائع كثيرة عن تعليمهم، ولذلك فإن الباحثين يميلون إلى القول بأنه باستثناء دراسة الطب والهندسة لم توجد أية دراسات عليا للإعداد المهني (2) .

بالنسبة إلى العناصر غير الإغريقية كالمصريين وسواهم قبل عهد البطالمة، كانت تأتي بعد طبقة المحاربين طبقة موظفي الحكومة، وتتألف من موظفين بدرجات متفاوتة، وربما الفئة العليا منهم اختفت تدريجياً، ولم يبق في خدمة الحكومة الوافدة إلا فئات بسيطة، وقد اضطروا إلى تعلم الإغريقية ونظم العمل الجديدة، ويعتبر من أبرز ما قامت به الحكومة البطلمية هو قيامها بتعليم هؤلاء الموظفين، الذين أصبحوا عصب النظم الإدارية والمالية في المدن التي تتعامل باللغة الإغريقية ونظام المحاسبة الإغريقي (3) .

انتشرت المدارس بكافة المراحل، في مختلف بقاع الدولة، وامتألت بالأساتذة والتلاميذ، ومع انتشارها واتساعها بدأ التنوع في مناهجها، وظهرت مستويات أخرى من التعليم الأولى إلى المتوسط والعالي، وقد كانت أعداد التلاميذ الذين يتلقون تعليماً أولياً تتجاوز أعدادهم المراحل الأخرى منذ ذلك الحين، وأصبح تعلم القراءة والكتابة شيء هام وضروري، ولا يكاد يوجد في مجتمع المدينة إلا قلة في فئة الأميين، وقلما كانت الكتب لا تجد من يطلبها، وكان المشتريين أكثر من البائعين، فم تكن الأمية متفشية حتى في

محيط النساء، ووجد التعليم العام والخاص والمحلي والخارجي والحر والفني والنوعي والحرفي، ومع زيادة هذه المراحل الأولية والمتوسطة والعليا، أزداد عدد المدارس والمعاهد بشكل أكثر، الأمر الذي عزز من

(1) حافظ، أحمد غانم، دراسات في تاريخ العصر البطلمي والروماني، دار المعرفة الجامعية، 2010، ص 65؛ يحيى، لطفى عبدالوهاب، مرجع سابق، ص 189؛ نصحي، مرجع سابق، ج 4، ص ص 126 - 128 .

(2) Rostovtzeff, Ibid, pp. 1085-94 .

(3) Idem, p. 1088 .

فرص التعليم المنظم وأعداد المتعلمين بمستوى لم يعرف حتى ذلك الوقت (1) .

كانت هناك مدارس خاصة وأخرى عامة *Schola Publica*، ينفق عليها من ميزانيات المدن، يأتي إليها الذين يريدون الدراسة من كل مكان، وكان أكثرها شهرة تحت إشراف معلمين بارزين، بل إن بعضها في بيوت هؤلاء المعلمين، كذلك ساهم بعض المواطنين الأغنياء ببناء مدارس في مدنهم، وفتحوا بيوتهم وأبھائهم للباحثين، والقيت الخطب والدروس واشترك الناس في الحوارات والنقاشات التي تدور حول مسائل معينة فلسفية وأدبية، فلم تعد تقتصر فقط على معاهد التدريس، وكان البعض من كبار أعيان المدينة يواظبون على حضور هذه الحلقات الأسبوعية أو اليومية، وهذا ينبئ أن دائرة التعليم اتسعت، وشملت جمهور كبير، وصار يحظى ويستحوذ بدعم الطبقات المثقفة والمتعلمة في الدولة، وصارت النظرة للعلماء والفلاسفة والكشوف والبحوث تنال الرعاية والتقدير (2) .

مع ثقة البطالمة بأنهم ورثة التقاليد الإغريقية في كل المجالات، فلا عجب أن ساروا على نفس اتجاه أسلافهم؛ رواد العصر الكلاسيكي، من فلاسفة وعلماء وشعراء، والذين تركوا تراثاً علمياً وفكرياً يصعب تقدير قيمته، فتوفر عدد آخر من الباحثين على جمع جميع مدونات هؤلاء وشرحها والتعليق عليها، وبفضل هذه الجهود توفرت بين أيدي المعلمين والمتعلمين مواد قيمة بالإمكان الاستفادة منها، ولا بد أنه كان هناك جمهور كبير آخر من القراء إلى درجة لا بأس بها، فنشطت حركة النسخ أو التدوين، وساعد ذلك على رواج الكتابة والكتب بكثرة لم تعرف حتى ذلك الوقت، وكانت جُل تلك الكتابات على المواد المعدة للكتابة في أول الأمر، ثم بفضل التوسع في إنتاج الورق من البردى فيما بعد، وكذلك استخدام العبيد المتعلمين كنساخين، وتحسين سبل المواصلات، وانتشار لغة وثقافة مشتركة في انحاء واسعة من الدولة (3) .

مع الرعاية الملكية لمؤسسات العلم والثقافة في الاسكندرية، بقيت المعاهد والمكتبات تلقيان الحظوة والتأييد، وبذل هذا الاهتمام البالغ بنشر ودعم التعليم من قبل البطالمة، سواء بدعوة العلماء وبذل الأموال

(1) امبير، رونييه، التربية العامة، (ت. عبدالله عبد الدائم)، بيروت، دار العلم للملايين، ط1، 1967، ص 14؛

Hubert, Rene, Traite de Pedagogie generale, Presses Uni. de France, Paris, 1046 .

(2) بدوى، أحمد ومختار، جمال الدين، سلسلة التربية والتعليم في مصر، القاهرة، دار الفكر العربي، 1973، ص ص 7- 9 .

(3) Lampela, A., Roman and Ptolemies of Egypt, Helsinki, 1998, p. 74; Manning, J. G., Egypt Under The Ptolemies, 305-30 B. C, Princeton, 2009, P. 137 .

الطائفة والجهود على مدى إدراك هؤلاء الملوك الساسة ما للتعليم من دور حيوي وأهمية بالغة، ليس فقط لتوفير وتهيئة الأفراد العاملين في دولتهم للأعمال الضرورية المطلوبة منهم، بل لأجل الصالح الخاص والعام، ومن أجل تقويتها ورفاهيتها، وهو متفقون في ذلك مع ما تقرره آراء فلاسفتهم الذين اعتبروا العلم والتعليم قيمة إنسانية عليا تحقق للمجتمع وللإنسان الكثير من الفوائد، وتصل به إلى الغايات التي لن يصل إليها إذا ما بقي محكوماً بالجهل (1) .

في الغالب أن تعليم معظم البنات كان يقف عند انتهائهن من المدارس الأولية، فلم تتعلم البنات في مدارس المراحل المتقدمة قبل البطالمة، ذلك أن عدم انتشار التعليم بين معظمهن احدث فارقاً بين الجنسين، وكانت الأمية متفشية بين الإغريقيات، لأن الإغريق القدامى كانوا يظنون أن ذكاء المرأة يعوقها، وعلى عكس ما كان سائداً في معظم مدن العالم الإغريقي بعد هذه الفترة، أصبح التعليم في أغلب المدارس مختلطاً، ولم يتردد البعض في قبول النساء في مدارسهم، حيث صار للبنات نصيباً كمنصيب الأولاد في تلقى التحصيل العلمي، ففي كل مدن مملكة البطالمة أصبح حظ الفتيات من التعليم العالي مماثلاً لحظ الأبناء، وقد استطاعت كثيرات منهن ان يتحصن على قدر وافر من التعليم يؤهلن للعمل وفرص الثقافة، وهذا يظهر مدى ثقة النساء البطلميات في ثقافتهن ودرابتهن العلمية، واشتركت المرأة البطلمية في النشاط التعليمي والثقافي، وكانت لها جهود موفقة في المؤسسات العامة والخاصة " . . . أصبحت الفتيات المتفتحات تذهبن إلى الجمنازيوم للتزود بالعلم، وكان يوجد الموظفون العموميون الملقبين بالمشرفين على شئون النساء، اشرفوا على تعليم البنات، وكان يوجد اتصال بين الإسكندرية وبعض المدن الإغريقية مثل تيوس وخيوس لكي تكتسب الخبرة في تعليم البنات، وأخذت النساء يطلب منهن تأدية بعض الخدمات على نفس الأسس كالرجال، وغدت العلاقات بين الجنسين أقل تعقيداً، وبدأت السيدات يفتحن مدارس للتعليم، وشجع ذلك على تعليمهن وتربيتهن تربية عالية، والتحققت بهذه المدارس كثيرات من فتيات الطبقة العليا والوسطى، وبعض السيدات كن يؤسسن الأندية أو يسهمن في النوادي التعليمية، فقد كانت هناك أندية مخصصة للنساء في الاسكندرية، وفي المدن البطلمية الأخرى، وأخذت أغلب النسوة في مجتمع البطالمة تأبى العزلة وتستمع بحرية العمل والمشاركة في الأعمال الثقافية

(1) Idem .

والتعليمية، التي شجعت خروجهن من عزلتهن واختلاطهن، وعلى تقوية روح المنافسة، وتفوق بعض من أولئك السيدات وأصبح لهن شأن كبير في الحياة التعليمية " (1) .

كما جددت النوادي النسائية في المدن البطلمية العديدة، انتشرت بشكل أكثر معاهد ونوادي الشباب؛ الثقافية والرياضية، وفي مصر على وجه التحديد، فقد أهتم البطالمة بمعاهد الشباب، وعملوا على الإشراف عليها، وعلى ما كان يُعرف منها بالجمنازيوم *Gymnasium* (2) يرتادها التلاميذ من بعد المرحلة الأولية، وجَل هذه المعاهد أصبحت رسمية عامة، وبعض منها بقيت أهلية خاصة، وهذا المقر التعليمي والثقافي والرياضي ظل يرتاده الشباب الإغريقي لاستيعاب قدر من التعليم والثقافة العامة، ولممارسة التمرينات الرياضية في ذات الوقت، بل إن التعليم والتدريب في هذه المعاهد كانت أحد الشروط المؤهلة للوظائف، ولحق المواطنة في مدن الإغريق، وأصبحت تلك الصفوة أو النخبة الممتازة تتألف ممن ألتحقوا في صباهم بمنظمة تدريب الشبان *Ephebeia*، أو تعلموا في الجمنازيوم خاصةً، ومعنى ذلك أن نظم تعليم وتدريب الشباب لم تعد مقصورة على المدن الإغريقية في عواصم الأقاليم، وقاموا بدعم كل الجمنازيا أينما وجدت، فمنحت جميعها في المدن والقرى ومديريها الجمنازياركيين *Gymnasiarchoi* صفة رسمية، كما وجد إلى جانب ذلك منصب مسجل الجمنازيوم الكوزميتيس المختص بهذه المنظمات، وكما اعتبروا أعضاء الجاليات الإغريقية في كل المناطق مواطنين، اعتبروا كذلك جماعة الجمنازيوم أرفع أولئك قدرًا، ولهذا كانت تأتي بعد جماعات الإغريق القومية في الأهمية أو ربما اتصلت بها، فالطبقة المعروفة باسم طبقة الجمنازيوم *Hoiapo gymnasium* كانت تتألف من المواطنين الذين تلقوا تعليمهم في معاهد التربية أو التحقوا بمنظمات تدريب الشباب، فهؤلاء وحدهم هم اللائقين والمطلوبين لتولى المناصب، وأنشئت على اللائقين والمطلوبين لتولى المناصب، وأنشئت على أيام البطالمة كثير من معاهد التربية في المدن وفي قرى الأقاليم حيثما كان يوجد المستوطنين الإغريق، وكما شُغف الإغريق بالجمنازيوم، شُغفوا كذلك بإنشاء

(1) عبدالعزيز، صالح، التربية وطرق التدريس، ج2، دار المعارف، القاهرة، 1971، ص ص 20-21؛ نفسه، ص 28؛ Oxford Classical Dictionary, (New York, Oxford University Press, 1996), p. 351- 355; Chiappetta, Michael, "Historiography and Greek Education", History of Education Journal 4, no 4(1953); Gunthes, H., A history of The Ptolemaic empire (trams. Tina Sauvedre) London, 2002, P. 131.

(2) كانت سمة مميزة للمدينة والحياة الإغريقية، وعنواناً للثقافة الهيلينيسية، وأكثر المعلومات عنها بما وجد منها في فترة البطالمة، وهي مقار لتلقي العلوم والآداب والتدريب الرياضي، وارتبطت بالمرحلة المتوسطة وبأهيل الشباب لتولى الوظائف .

Barrow, *Ibid*, pp. 149- 156 .

الجمعيات بكل أنواعها، ومن ثم نشأت بكثرة تلك الجمعيات الاجتماعية والدينية والاقتصادية، لتوفر لأعضائها الاجتماع والمناقشة والانتخاب وحتى التدريب والتثقيف (1) .

أدى انتشار التعليم كذلك إلى التعاضد لدور المكتبات، وفي الواقع لا يمكن الحديث عن نشاط تعليمي واسع في دولة البطالمة بشكل خاص، وفي العالم الهيلينيستي بشكل عام، دون ذكر النشاط الواسع بكل ماله علاقة بالعمل والعملية التعليمية من أماكن ومقومات للتعليم، ومنها زيادة دور الكتب وتأسيس المكتبات الكبيرة، وما يتبعها من أسواق وورش النسخ، وهذا الاهتمام بمعدات وأدوات الكتابة والتركيز على الجوانب الفنية والتقنية، وغدا هناك إنتاج غزير للكتب وشبكات لتوزيعها، ويدل ظهور الورش بهذا الكم على مدى تداول واتساع ثقافة المعلومات في تعليم تزايد انتشاره وتخصصاته في كل الجوانب، فبدأت المعلومات عن المكتبات العامة والخاصة، وعن الكتب والكتب، وعن نوع الطلب والعرض، وعن البحث وقيمة المخطوطات، فالمعلمين والمتعلمين والكتّاب بحثوا وطلبوا باستمرار الكتب من الناشرين، ومن النسخ وباعة الكتب، وتسابق الجميع إلى الحصول عليها، والاحتفاظ بمجموعات في بيوتهم من مؤلفات الكتاب الإغريقي الكلاسيكيين (2) .

كان نسخ الكتب يتم بواسطة نساخ محترفين أو من غير المحترفين لتلبية الحاجات المستمرة للمدارس والمعاهد والمكتبات، والناشرين يحتفظون بنسخ ومصححين أكفاء، ويحرصون على دقة النسخ، فقد كان هناك نساخ غير أكفاء، أو أولئك المستفيدين فقط من النسخ نتيجة لإزدهار التعليم، ولرواج تجارة الكتب، ولذلك وجدت في إطار أنتشار التعليم والمكتبات وتشجيع العلم والمعرفة ورش خاصة وعامة لنسخ الكتب، سواء تلك التي ارتبطت بمؤسسات الدولة أو تلك التي كانت ملك خاص لأشخاص، حيث كان يتم في هذه الورش نسخ المؤلفات الإغريقية الكلاسيكية لتلبية الحاجة المتزايدة، والطلب على هذه اللغات الهامة من المعلمين والمتعلمين، ومن النخبة الأرستقراطية، ولم تكن الورش المختصة بنسخ الكتب خلال العهود السابقة بهذا المستوى من الانتشار والاهتمام بتوفير الكتاب وتوزيعه، وحتى التفاصيل الأخرى المتعلقة بإنتاج الكتاب وشكله وجودته، وكان الباحثون من الأساتذة والطلاب في العهد الكلاسيكي قلما يقفون عند

(1) Too, Ynu lee, Education in Greek and Roman antiquity (Bos ton Brill, 2011); Scott, Ibid, p. 34; Rostovtzeff, Soc. & Ec., pp. 324 ff; Fraser, Ibid, II, n. 89, p. 192; Bevan, Ibid, p. 104; Rostovtzeff, Soc., & Ec., pp. 375- 377 .

(2) ستيبفيتش، مرجع سابق، ص ص 97- 101 .

هذه الأمور، بينما خلفاءهم في بلاد البطالمة تحديداً يقدمون بعض التفاصيل عن تلك الأمور (1) .
بعد ان أصبح هناك عدد كبير من القراء، وتجارة رائجة للكتب، وصار الملوك البطالمة من أكبر جامعي
الكتب، وُئيت المكتبات في عهدهم، ومن خلال ما وجد من معلومات فإن بعض من المكتبات قد وجدت
قبلهم، إلا أنها أصبحت في عهدهم أكثر تطوراً وضخامة، وفي متناول الجميع (2) .
توافد على مكتبات البطالمة العلماء والمفكرون من كل الأنحاء، ولا يمكن المبالغة في أثر علمائها
ومفكرها في نشر التعليم وتقدم العلوم، إذ بفضل إنشائها، وما تمتع به أساتذتها من سخاء ورعاية أمكن
تنظيم البحث العلمي الجماعي لأول مرة، وتوفير مطلق الدعم والحرية لهم في متابعة بحوثهم، دون أي
هدف سوى البحث، وفي كنف هذه الظروف والأجواء انطلق العلماء وأفادوا في النواحي التطبيقية العملية
والنظرية، فأحدثوا نهضة تعليمية وعلمية (3) .

لم تقتصر الحياة العلمية والثقافية العليا والأكثر تخصصاً في الإسكندرية على دار العلم والمكتبة، بل
وجدت مدارس وقاعات للدراسة يدرس بها من شاء من العلماء ومجموعاتهم، وشكلت هذه المدارس
والقاعات ما يمكن تسميته بالمجموعات العلمية، وصار يقصد هذه المدارس كثير من الطلاب من كل
انحاء الدولة ومن خارجها، وغدت أبرز مؤسسات للبحث العلمي، اشتهرت بالعلوم الرياضية والطبيعية
والإنسانية والطبية، ولم ينقض القرن الثالث حتى أضحت الإسكندرية بفضل مدارسها وعلمائها البؤرة
الذهنية للعالم الإغريقي في كل نوع من فروع العلم والأدب، وما من شك في أن كل المدن الأخرى كان لها
دورها المتميز، ويدل على ذلك نشاطها العلمي، والعدد الهائل من روادها المتعلمين، ولكن الإسكندرية
ارتبطت شهرتها العلمية والثقافية بشكل أوسع بجامعتها ومكتبتها، وظلت تزدهر بهما حتى نهاية القرن
الرابع م. فهذه الشهرة العلمية والتعليمية بقيت تسندها هذه المؤسسات التي سيأتى الحديث عنهما وعن
ظروف استمرارهما إلى ذلك الوقت في فصل مؤسسات التعليم (4) .

قبل البطالمة لم تكن مدن المنطقة خالية من النشاط التعليمي؛ المدارس والمعاهد والمكتبات، بل كانت

(1) نفسه .

(2) يحيى، لطفى عبد الوهاب، عصر البطالمة، الإسكندرية، مركز التعاون الجامعي، 1967، ص 331؛ الصوفى، عبداللطيف، لمحات من تاريخ
الكتاب والمكتبات، دار طلاس للدراسات والترجمة، 1987، ص 42 .

(3) حسب الله، سيد، غندور، محمد جلال، تاريخ الكتب والمكتبات عبر الحضارات الإنسانية، دار المريخ، ط1، 1996، ص 42 .

(4) Sarton, Ibid, p. 54; Idem, p. 192 .

لها قاعدة وخلفية علمية وتعليمية، وخاصةً في مصر، والمدن بإقليم كيرينايا، حيث عاشت الأغلبية الوطنية أو الإغريقية، وبالنسبة لتقدير مدى انتشار التعليم والثقافة الوافدة بين السكان الآخرين من غير الإغريق، سواء الشرقيين عامةً أو المصريين خاصةً، الذين كانوا أصحاب تقاليد عديدة، وظل لهم نظامهم التعليمي القديم، فلم يكن من شأن الظروف التي احاطت بهم صرفهم عن تقاليدهم الموروثة، فكل الشواهد تدل على أنهم احتفظوا بعاداتهم وأساليبهم التعليمية، واستمر معظمهم على ما ألفوه من تعليم خاص أو رسمي، دنيوي أو ديني أرتبط بالسلطة أو المعابد، والذي بقى عندهم لفترة متأخرة " ظلت مهنة التدريس شأن سائر المهن في العهد البطلمي، وكانت في الغالب وراثية، ويذكر هور أبولو في إحدى البرديات في شيء من الفخر أن آباءه كانوا مدرسين، وأن والده كان أستاذاً في الإسكندرية، كما يعرف من وثائق أخرى أن آخرين كانوا يشتغلون بالتدريس في المدن " (1) .

كان التعليم والمعرفة في المجتمع المصري يحظى بالتقدير، إلا أن العمل التعليمي مع ذلك لم يكن مطلب الفئات الواسعة بقدر ما كانت الرغبة في تأمين الرزق أو منصب يضمن الامتيازات، وفي العموم تأثر جانب من التعليم بحالة الأسر المادية والثقافية؛ اتجاهاتها وحاجاتها، كما ظل ضرورياً للارتقاء في المركز الاجتماعي، ومن بعد البطالمة ظل للتعليم المصري نفس الدوافع، أولها اكتساب الرزق، والثاني رضاء الآلهة، فقد اعتقدوا أن آلهتهم مصدر المعرفة، وأن التعلم عبادة، أما الدافع الثالث فهو طلب العلم للعلم، والمفترض أن هذه الدوافع كفيلة بجعل نسبة المتعلمين عالية، لكن الأمور لم تكن كذلك (2) .

في عهد البطالمة، وخاصةً بعد أن أصبحت معرفة الإغريقية شرطاً أساسياً للعمل في الحكومة، ولكنها لم تكن الشرط الوحيد، ونظراً لاعتبار لغة رسمية في كل أنحاء الدولة، وفرض تدريسها في كل المدارس، وبالتالي أصبحت هي لغة التعليم والعمل، وبالنتيجة بدأ الابتعاد تدريجياً عن استخدام الكتابة المصرية في معظم الشؤون العملية، ولهذا انشغل علماء دور الحياة، وكهنة المعابد بالحفاظ عليها، فظلوا يدرسونها

(1) فيلسوف مصري ينسب إلى اسرة عاشت بمدينة الإسكندرية، كان رئيساً للمدرسة الوثنية في الاسكندرية، ولعب بعض من تلاميذه أدواراً أساسية، العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ص ص 351 - 350 .

(2) حفظت الوثائق علوم المصريين، ففي مجال الفلك عرفوا الأبراج السماوية والتقويم وتقسيم العام واليوم إلى وحدات زمنية، كما عرفوا قياس الزمن بالساعات الشمسية والمائية والقمرية، وفي مجال الطب وتخصصاته برعوا في إجراء العمليات الجراحية وتركوا أدوات طبية وتقدموا في صناعة العقاقير، وفي الحساب عرفوا الأرقام والكسور والعمليات الحسابية وحساب الأحمال والأشكال الهندسية. على، زكي مظاهر الحضارة في عصر البطالمة، جامعة الإسكندرية، 1944، ص 7 ؛ على، سعيد إسماعيل، تاريخ التعليم في مصر، دارالهلال، 1967، ص ص 9 - 14؛ عمار، حامد، السياق التاريخي لتطور التعليم المصري، مكتبة الدار العربية للكتاب، 2005، ص ص 20 - 26 .

فى دورهم، فهى لغة لا يمكن تعلمها إلا فى مدارس مصرية، ولهذا لابد أن تكون مدارسهم سواء المدنية أو الدينية قد بقيت فى عهد البطالمة، كذلك بالنسبة لإدارات الجيش، فقد استمر نشاطها فى إعداد ضباط الفرق المصرية، ولا شك أن الإغريقية كانت تُدرس أيضاً فى المدارس الحربية (1) .

إن تعليم وتدريب المصريين فى الإدارات الحكومية كان يشمل مبادئ اللغة، ونظراً لذلك فإن الإمام بها كان شرطاً أساسياً يجب توافره لدى الراغبين فى العمل الحكومى، وأن هذا الشرط يتحقق عادة على أيدى المدرسين الإغريق المنتشرين فى أنحاء الدولة؛ والذين يتقاضون أجرهم لقاء ذلك، أو الانتساب إلى مدرسة إغريقية ابتدائية، ولهذا من المستبعد أن جميع الراغبين فى تولى الوظائف الحكومية من المصريين استطاعوا ذلك، وبالتالي فإن الغالبية منهم لم تقبل على التعليم الإغريقي، ولم تنال القدر المناسب منه، وبقي العديد منهم يعانى الأمية (2) .

إن بعض السمات الإغريقية قد اقتحمت المجتمع التعليمى المصرى بشكل أو بآخر، وعدا عن بعض الفئات التى اصطبغت بصبغة إغريقية، ولكن ظلت الغالبية ثقافتها محلية، فأغلب المصريين كانت فرصهم من الثقافة الوافدة محدودة، وبالرغم من كل الظروف لم تجد فئة أخرى مشكلة فى تولى الوظائف الصغرى، ولكن فُرض على هؤلاء الراغبين فى العمل مع الحكومة الجديدة، تعلم الإغريقية، ولذلك كانت بعض الإدارات فى الوقت ذاته مدارس لإعداد الموظفين الجدد، ولاشك تمكنت قلة من اكتسابها، وإجادة مجالاتهم الخاصة، وكان هناك آخرون كذلك تمكنوا من التعويض عن النقص فى تعليمهم بالتقرب إلى أصحاب السلطة والإفادة من ذلك، لكن معظم مدارس المعابد المصرية تمسكت بتقاليدها، وسبب ذلك أن مشرفيها من رجال الدين المحافظين، وبرغم المحاباة للثقافة الإغريقية ظل البطالمة يرون ضرورة وجود طائفة منهم لإقامة الشعائر الدينية وكذلك الحاجة إلى لعاملين بتحرير العقود تيسيراً للمعاملات بين الأهالي، ولذلك من المرجح أن يكون قد طرأ بعض التغيير فى الفترة البطلمية على ما ألفوه من تقاليد وعادات تعليمية من عهودهم السابقة (3) .

(1) نصحى، إبراهيم، مظاهر النقاء الحضارتين المصرية والإغريقية، القاهرة، مكتبة الأنجلو، 1959، ص ص 194-230 Strabo, Geographia ;

(2) إبراهيم، محمد حمدي، مرجع، ص ص 171 - 325 ؛ ديورانت، مج 1، ج6، ص ص 39 - 366 .

(3) نصحى، إبراهيم، تاريخ التربية والتعليم فى مصر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مركز عين القاهرة، 1975، ص ص 71-73؛ الموسوعة المصرية، مرجع سابق، ج2، ج3، ص 466؛ Bevan, Ibid, pp.208-214

إن بعض السمات الإغريقية تسربت إلى المجتمع التعليمي المصري بشكل أو بآخر، وعدا عن بعض الفئات التي اصطبغت بصبغة إغريقية، ولكن ظلت الغالبية ثقافتها محلية، فأغلب المصريين كانت فرصهم من الثقافة الوافدة محدودة، وبالرغم من كل الظروف لم تجد فئة أخرى مشكلة في تولى الوظائف الصغرى، ولكن فُرض على هؤلاء الراغبين في العمل مع الحكومة الجديدة، تعلم الإغريقية، ولذلك كانت بعض الإدارات في الوقت ذاته مدارس لإعداد الموظفين الجدد، ولاشك تمكنت قلة من اكتسابها، وإجادة مجالاتهم الخاصة، وكان هناك آخرون كذلك تمكنوا من التعويض عن النقص في تعليمهم بالتقرب لأصحاب السلطة والإفادة من ذلك، لكن معظم مدارس المعابد المصرية تمسكت بتقاليدها، وسبب ذلك أن مشرفيها من رجال الدين المحافظين، وبرغم المحاباة للثقافة الإغريقية ظل البطالمة يرون ضرورة وجود طائفة منهم لإقامة الشعائر الدينية وكذلك الحاجة إلى لعاملين بتحرير العقود تيسيراً للمعاملات بين الأهالي، ولذلك من المرجح أن يكون قد طرأ بعض التغيير في الفترة البطلمية على ما ألفوه من تقاليد وعادات تعليمية من عهدهم السابقة (1) .

كان للواقع الجديد تأثيره لاشك، ولكن ليس إلى درجة القضاء على نظامهم التعليمي المصري، فقد احتفظ الكهنة المصريين بمدارسهم، وشئ من امتيازاتهم، وكان الكتبة والمحاسبين يعينون في مؤسسات الدولة عقب انتهاء تعليمهم، إذ أن غالبية الطبقة المتعلمة تشكلت من هؤلاء الذين أسهموا في المشروعات الحكومية وظل بعض الطلاب يتعلمون في مدارس خاصة، وكانت الدولة تنظم وتمول بعض المدارس لتوفير الموظفين والمحاسبين والكتاب الذين تحتاجهم لممارسة الأعمال الوظيفية ذات الطابع الإداري، وإذا كان البطالمة الأوائل احتفظوا بالمناصب للإغريق، فإن الأواخر مهدوا الفرص أمام غيرهم لتولى المناصب في الإدارة المحلية، وبعض الوظائف الإدارية العليا (2) .

إن تقرب البطالمة إلى العناصر الأخرى ساعد على أنتشار التعليم الإغريقي بين فئات منهم، اظهروا ميلاً لتعلم اللغة والآداب الإغريقية، واكتسبوا تبعاً لذلك مركزاً يقارب مركز الإغريق، ففي القرن الثالث لم يعد البطالمة قاصرين على مواطنيهم الإغريق، وبدأ العنصر غير الإغريقي يتزايد في الدوائر الحكومية

(1) Encyclopedia of Educational Research, 3, Mecomillan Company, New York, 1960, P. 358 .

(2)Tarn, Ibid, p. 184 .

والعلمية في الدولة البطلمية، وهذا يدل أن الجميع بات يقبل على التعليم، وفضلاً عن الرعايا المصريين، فإن فرس ويهود دولة البطالمة، تعلموا اللغة، واتخذوا أسماء إغريقية وغير ذلك من المظاهر، ويدل ذلك على أن من نتائج التعليم الإغريقي اصطباغهم مع الوقت بثقافة إغريقية، ورغم أن نمط التعليم البطلمي في مدن البطالمة كان يُجسد الروح الهيلينية، ويتم في إطار ديني، فإن ذلك لم يمنع اليهود وخاصةً الأثرياء منهم من إحاق أبنائهم بالمدارس الإغريقية، لأن التعليم الإغريقي يُعزز مكانتهم الاجتماعية (1)

بدأ تغلغل التعليم الإغريقي بين اليهود منذ النصف الثاني من القرن الثالث، حيث كانت مجموعات من أبناء الأثرياء اليهود يتلقون قدرًا من التعليم على أيدي معلمين إغريق، وأصبح التعليم الإغريقي بالنسبة للطبقة العليا اليهودية إجبارياً، حيث بدأ بعض من نُخبهم يُخططون لتحويل القدس إلى مدينة إغريقية نموذج بوليس لتعزيز وضعها الاقتصادي والأمني، وانعكس ذلك على النخبة اليهودية المتأخرقة في مصر، التي ظهر عمق أثر الثقافة الإغريقية في كتاباتها، لدرجة أن صفوة المثقفين اليهود؛ ومنهم الفيلسوف فيلون 25 ق.م - 41 م، كانوا يجاهرون بتفوق الحضارة الإغريقية، وضرورة التفاعل معها والإفادة منها، وقبل هذا الخطاب بوقت طويل كان الشباب اليهودي يرتادون معاهد الجمنازيوم، و أقبل على الإسكندرية من أورشليم والعكس يهود يحملون هوية هيلينية، وشغف بالعلم والأدب واستمتاع بالفنون والألعاب الرياضية، فضلاً عن أروقة الفلسفة، وقد ظهر أثر التعليم الإغريقي في تزايد معدلات التأخرق بين أعضاء الجالية اليهودية، حيث اتقنوا اللغة، واتخذوا أسماء إغريقية، واهملوا مع الوقت العبرية إلى درجة أنه في عهد بطلميوس الثاني باتوا في حاجة إلى ترجمة كتبهم السماوية إلى الإغريقية (2) .

(1) نصحي، تاريخ الرومان، ج1، ص ص 400 - 410 ; Fraser, Ibid, I, pp. 58-9 ; Bevan, Ibid, PP. 208 - 214;

(2) Fraser, Ibid, I, pp. 51-3, 54; Jouguet, Trois Et., p. 116; Tarn, Ibid, pp. 184-193 .

كان للإغريق البطالمة دورهم البارز في نشر ونقل مدارس ومعاهد التعليم الإغريقي إلى مناطق أخرى أبعد في شرق وغرب المتوسط، وحتى النظام التعليمي عند الرومان مقتبس إلى حد كبير من النماذج الإغريقية في الفترة البطلمية، إذ كان انتشار التعليم الإغريقي في روما حافزاً على إقبال الشباب الروماني على تعلم الإغريقية وتذوق آدابها والترجمة منها إلى اللاتينية ومحاولة محاكاتها (1) .

بعد أن أصبح تعلم الإغريقية، ودراسة المواد اللازمة للإعداد الفكري من المؤهلات المطلوبة لكل متعلم، ظهرت مدارس كثيرة يديرها مدرسون محترفون في الخطابة والآداب والنحو، وكان معظم مدرسو اللغة والمواد الأولية من الإغريق، وقد لاقت هذه المدارس إقبالاً كبيراً من المتعلمين الذكور والإناث على السواء، وعلى الأغلب أن جُل هذه المدارس كانت خاصة، وتحت إشراف معلمين بارزين، وأنشئت العديد من المدارس مشابهة لتلك المدارس الأدبية والفلسفية التي عرفت أئنا والمدن الإغريقية الأخرى (2) .

" حتى حقبة متأخرة من العهد الروماني، كان أغلب المعلمين الوافدين إلى روما عبيداً، والبعض الآخر من المعتقين، والواقع أن العبيد الإغريق لم يؤديوا الأعمال المنزلية الوضيعة للبيوت الكبيرة، بل إن منهم من كانوا يؤديون أعمال السكرتارية والتعليم والتطبيب، وكان الآمات يستخدمون في الغزل والنسيج، وقد كانت كثرة استخدام العبيد والمعلمين الإغريق في البيوت والمدارس الرومانية إحدى الوسائل الرئيسية في نقل تراث الحضارة الإغريقية إلى روما، ذلك أن العبد الإغريقي بوصفه سكرتيراً خاصاً لرب الأسرة أو معلماً للأولاد أو طبيباً للأسرة، كان من شأن ذلك أن يجعلهم على اتصال وثيق بالحضارة الإغريقية، فلا أعجب أن قال الشاعر الروماني هوراتيوس Quintus Horatius 65 - 8 ق.م. إن بلاد الإغريق الأسييرة أسرت آسريها المتخلفين " (3) .

(1) Pascal, Nanette R. " The Legacy of Roman Education (in The Forum)", The Classical Journal, 79, No. 4 (1984): 351 - 355; Michael Chiappetta, "Historiography and Roman Education", History of Education Journal, 4, No. 4 (1953), pp. 149- 156 .

(2) نصحي، تاريخ الرومان، ج1، ص ص400- 410 ; Oxford Classical Dictionary, Blower, Simon Horn & Spew, Antony, Spawforth, Third Edition, Oxford, New York: Oxford Uni. Press, 1996, pp. 270- 275 .

(3) نصحي، تاريخ الرومان، ج1، ص ص414- 416 ; أحمد، سعد موسى، تطور الفكر التربوي، دارالمعارف، ط1، ص ص 74- 85؛ خليل، فادي، مرجع سابق، ص ص 83- 102 ؛ سيجل، جامنيس، مرجع سابق، ص 85 .

ثانياً: نظام التعليم البطلمي

أقام البطالمة نظام تعليمي محكوم بقيم ومعايير علمية وخلقية، ومختلف عن سابقه، فُتحت المدارس فيه أمام الجميع الإغريق والرعايا، وتعددت أطر وشروط هذا التعليم ومراحلته ومستوياته ومؤسساته، واصبحت هناك خطط وقوانين لفتح المدارس وتمويلها، وصارت تخضع للوائح تنظمها، واختلفت أساليب ووسائل التعليم من مدرسة لأخرى، ولكنها اتفقت في الهدف والغاية، وهو اكتساب المعرفة، ففي فترة الدولة البطلمية كان لا يزال الإغريق والمدن الإغريقية أينما نشأت، قريبة العهد من أصولها الحضارية، ولهذا فكل النظم التربوية والتعليمية التي سادت فيها ظلت تمثل الحياة الثقافية والاجتماعية، وتعكس المذاهب الكلاسيكية بشكل أو آخر، كما كانت تُعبر عن انخراطهم في حياتهم الجديدة، وإن التربية والتعليم البطلمي كجانب من هذه الحياة ظل ينزع بين البقاء في خلفية الماضي، أو الانطلاق منه إلى المستقبل في البيئة الشرقية، ففي غضون عقود، انتقل التعليم البطلمي من الشكل أو النظام غير الرسمي، والذي كان يتم تمرير المعارف والمهارات من خلاله بطرق شتى، إلى نظام طبقي ونوعى أكثر تخصصاً وتنظيماً، يضم المدارس المستوحاة من ممارسات ونظريات التربية الإغريقية (1).

في الواقع ظروف عديدة تلك التي أحاطت بالتعليم البطلمي، وساهمت في تنوع نظمه، وحددت بُنيته واتجاهاته ومناهجه، وتميزت أشكاله عن الفترات السابقة له، من ثقافات خليط، ودولة ناشئة، وساسة وملوك مثقفون، وفلاسفة وعلماء، ولا شك شعب نشيط، وعوامل أخرى ستدفع بشكل ومستويات ومؤسسات هذا التعليم، فأسباب مجتمعة هي التي ساعدت على انتشار التعليم والتربية الإغريقية بأساليبها وطرقها ومسمياتها، والسمة الأوضح إن التعليم البطلمي كان تعليماً إغريقياً، وأن الحقبة البطلمية في بدايتها جاءت بجملة من الوقائع والملاحق شبيهة بتلك التي مرت بالتربية والتعليم في أكثر من مرحلة ومنطقة، ذلك أن النظم التعليمية في كل جوانبها تكشف عن سمات انتقلت بنفس خطوطها، مع ما طرأ عليها من تغييرات، مع ملاحظة التنوع من إقليم إلى آخر، ومن مدينة لأخرى (2).

كانت مؤسسات الدولة ترعى وتمول بعض المدارس لتخريج الكوادر من الموظفين والمحاسبين والكتّاب، الذين كانت تحتاج إليهم لممارسة الأعمال ذات الطابع الإداري والمدني، بنفس الحاجة إلى المحاربين في

(1) إبراهيم، محمد حمدي، مرجع سابق، ص 267-295؛ ويكيبيديا - الموسوعة الحرة، اليونان القديمة، 2002.

(2) Freedman, Charle, Egypt, Greek and Rome, Oxford University Press, 1996, p. 131 .

المهام الحربية، وفي العادة كان على الطالب لأي منصب أن يثبت أنه من أبوين إغريقيين، وأنه سليم من العيوب الجسمية والخلقية، ويكرم أسلافه ووالديه، ويقوم بواجباته المدنية والعسكرية، ويؤدي الضرائب كاملة، ونادى البعض بأن تنشئ الدولة المدارس، ولكن أتجاه آخر كان يرى أن المنافسة في التعليم كفيلة بتحقيق أفضل الفرص، فأنشأت المدن مدارس وساحات للألعاب، أو كان لها شيء من الإشراف عليها وعلى المدرسين، ولكن بعض من المدن لم يكن فيها تعليم رسمي أو مدارس عامة شيدتها الدولة، بل ظل أغلبه أهلى أو خاص، وكانت بعض الدروس تُعقد في المنازل، فقد ظل يوجد إلى جانب المدارس المحلية ومعاهد التربية البدنية، مدرسون خصوصيون يفد إليهم التلاميذ من أماكن بعيدة، مما يقابل إلى حد ما المدارس الداخلية، وكان يتقاضى هؤلاء المعلمين المعروفين أجوراً عالية من تلاميذهم، ولم يجد هؤلاء صعوبة في جذب الطلاب إلى مدارسهم المعروفة، إذ استمر المدرسون المحترفون ينشئون مدارسهم الخاصة، ويرسل إليها التلاميذ من أولاد العائلات الثرية والمتوسطة، حيث يواظبون على حضور دروس تناسبهم خلال يومهم الدراسي، وإذا كانوا في عمر أصغر يرافقهم أحد العبيد خاص بهذه المهمة (1).

اعتبر الإغريق بشكل أو بآخر أن هناك مرحلة تسبق مرحلة التعليم النظامي *Preschool*، ويبدو أنهم شملوا بهذه المرحلة من تقل أعمارهم عن سبع سنوات، وقد تعددت نماذج التربية الإغريقية، ومن أشكال التنشئة للأطفال منذ ذلك الوقت، كانت التربية الأثينية خاصة التي سعت إلى التكوين العقلي والبدني، فقد تدرجوا في التربية من كل النواحي بما يلائم أعمارهم وأجسادهم الصغيرة، والمفترض أن قيم ونظم التعليم تعمل معاً في النهاية على تحقيق التوازن في كل الجوانب، وعلى الأسرة تقع مسئولية تربية أطفالهم في سنواتهم الأولى تربية أدبية وفنية متنوعة، فالموسيقى والأغاني من وسائل تدليلهم، كما تتلى عليهم القصص الأسطورية، وتوفر لهم الألعاب كالدمى والكرات، فكانت بعض الألعاب مسلية ولا تحتاج إلى نشاط بدني يفوق قدرة الأطفال، ومنها ألعاب الجري ورمي الكرة والمراجيح وبناء البيوت من الرمل والطين وغيرها، ولذلك يقصد بهذه المرحلة اللعب، وهناك أماكن يلتقون فيها، فيلعبون ويتلقون بعض القراءة والكتابة والحساب وأجزاء من المواعظ الدينية (2).

(1) Idem .

(2) رومان، بيبي تشارلز، اليونانية القديمة "الأدب والمجتمع"، (م. إيثاكا)، نيويورك، مطبعة جامعة كورنيل جاردن سيتي، ط2، 1975، ص 9-19 .

كان التعليم النظامي البطلمي يبدأ في سن السابعة، وهو تعليم فكري وبدني، فيشمل المقرر الدراسي القراءة والكتابة، إلى جانب الأنشطة الجماعية، فتم تشجيع الصغار على الاشتراك في الألعاب الرياضية البسيطة المختلفة، وعن طريق التمثيل والرقص والتقليد يتعلمون بعض الأعمال ويحفظونها، وكثيراً من المهمات التي تدربوا عليها تطلبت قدراً من النشاط، فقد أدرك مربوهم أهمية بدء التعليم في وقت مبكر وعلى التلاميذ أن ينهضوا في الصباح استعداداً ليومهم الدراسي، فكان يتم تعليمهم خصوصاً في المرحلة الأولية بنفس طريقة تعليم التلاميذ الإغريق في المدن الإغريقية، حيث يلعبون ثم يتعلمون في البداية بطريقة سلسلة الحروف الأبجدية الإغريقية، إذ كانوا شديدي العناية بتعلم لغتهم الوطنية (1).

من طرائق التعليم المألوفة لتعلم اللغة في المدارس الابتدائية، ما كان يُعرف بالطريقة التركيبية، بأن يوضع أمام التلاميذ لوحات تضم الحروف ومقاطع الكلمات مع شكل النطق بها بالحروف الأبجدية، وكان يطلب منهم حفظها ونسخها، ثم يُعطى الطلاب بعد ذلك فقرات من قصص أو نصوصاً أدبية، أو صيغاً من كلمات ينسخونها بالقلم على لوحات من الفخار أو الخشب، وبعد ذلك يستلم التلاميذ ورقاً من البردي يكتبون عليه نسخاً وإملاء نصوصاً أخرى مختارة لشعراء أو كتاب بارزين، ويراجع المعلم عمل الطلاب، ويسجل ملاحظاته في الهامش، فالتعلم يبدأ أولاً بحفظ الأبجدية الإغريقية، وينتهي بتعلم القراءة والكتابة بها، وكان تعلم الكتابة يستلزم عادة إعطاء دروس متتالية أو إضافية من التمرينات (2).

سكان المدن البطلمية لم يكونوا متأثرين فقط بالفكر ونمط الحياة والتربية الإغريقية، وحيث ظل ينظر الإغريق إلى النشاط العقلي والبدني على أنه غاية، وبالتالي تكون ممارسة العمل التعليمي أمراً هاماً وقيمة عليا، ولكن بالنسبة للبطالمة فإن الأمور ستكون أكثر عملية وواقعية عندما يتعلق الأمر بتعليم أبنائهم، والحفاظ على ثقافتهم، وكما يبدو، لم تكن الوسائل والموضوعات الدراسية جيدة ومفيدة، إلا إذ كانت تخدم حاجات وضرورات حياتية داخل إطار تلك الرؤية، بخلفياتها الاجتماعية والثقافية، ولهذا غدت أغلب موضوعات التعليم تتجاوز المعلومات والنصوص المجردة البعيدة عن الواقع، إلى مكونات ومواد البيئة المحيطة القريبة والظروف التي يواجهونها ويلمسونها، فلم تعد المدارس تُعطي المعارف جاهزة، وأخذت تستخدم طرقاً ومناهج معينة مرتبطة بالبيئة كلما أمكن ذلك، بالاستفادة من الطبيعة بالتطبيق العملي

(1) نفسه .

(2) عبد العزيز، صالح، التربية والتعليم في مصر القديمة، القاهرة، دار المعارف، 1966، ص ص 6-15 .

للمعارف التي يتلقاها التلاميذ، فتعودهم العادات التي تغرس فيهم الرغبة في البحث والفهم لما يحيط بهم، معتمدين في اكتساب تحصيلهم على أنفسهم قبل الآخرين، مع تناولهم لما يتناسب ومستواهم وظروفهم التي تيسر لهم العمل مع واقعهم، ودفعهم إلى الوجهة العملية والتعليمية التي يميلون إليها (1) .

كان التعليم البطلمي بالأساس تعليماً إغريقياً، يبدأ بالمرحلة الأولية، وفي هذه المرحلة ظهر عدد كبير من المدارس الابتدائية، ومما يجدر بالملاحظة أن التعليم الأولي أصبح متاحاً لسكان الدولة جميعاً؛ الذكور والإناث، الأثرياء والفقراء، وحتى من غير المواطنين الإغريق كالمصريين والفرس واليهود وغيرهم من الرعايا، وتنتهي المرحلة الأولية في سن الخامسة أو السادسة عشرة، وربما يكون الانتقال من المدارس الأولية إلى المدارس المتوسطة بعد امتحان ينتهي منه الطالب، أما التعليم العالي في هذه الفترة أصبح في شكله ونظمه يشبه عمل مراكز البحوث أكثر مما هو شيء نظري منهجي (2) .

إن نظم التعليم البطلمي بكل مراحل ومستوياته، عدا عن خطوطها الأولى والأساسية، أصبحت نظم واضحة، وإن وجدت الاختلافات بين أشكالها، وأصبح بالإمكان التعرف على تلك النظم من خلال بعض المعطيات التي تركها كتاب تلك الفترة، والتي تعطى تصوراً لبعضها عبر ما يوجد في الوثائق المكتوبة من شذرات تعليمية، كمنادج لتدريب التلاميذ والاستدلال منها على معلومات تتصل بالمنهج الدراسي والكتب المدرسية وحياة الطلاب، ومما يضيء أكثر على النظام التعليمي، ما عثر عليه من النقوش وتلك المخطوطات البردية من تمارين مدرسية وكتب منسوخة والرسائل الخاصة بواسطة المتعلمين، وجد فيها ما يُصور مناهج الدراسة وموادها، وطرق التدريس ووسائل التأديب، ومن بين القراءات التربوية والتعليمية ما تتضمنه نصائح الفلاسفة والتراجم، وبخاصة ما يسرد عن سيرة الأفراد، والتي احتوت على دلالات ذات قيمة تتصل بالنظام الدراسي ومراحل الدراسة العمرية، وحيث كان يتألف من مراحل، وكل مرحلة تُمثل مستوى من مستويات التعليم، حيث التغييرات والشروط التي تحكم كل مرحلة ومستوى (3) .

(1) مرسى، محمد منير، تاريخ التربية في الشرق والغرب، القاهرة، عالم الكتب، 1977، ص ص 55 - 57 .

(2) الموسوعة المصرية، ص 466؛ طوطح، خليل، التربية، بيروت، دار الطليعة، 1978، ص 35؛ الأطلس التاريخي من اليونان القديمة، المهاد للنشر، المملكة المتحدة، 2003، ص ص 94 - 95 .

(3) تعود بداية الكتابة على ورق البردي إلى منتصف الألفية الرابعة ق.م. ويتم على شكل أعمدة على طول الورقة، ويمسك القارئ طرف اللقافة بيد ويفتح النص من أوله، بالرغم من أوراق البردي قابلة للعطب الأمر الذي أدى إلى تلف وفقدان الكثير من النسخ، إلا أنه وجدت من العصر البطلمي كميات من البرديات احتوت النصوص التعليمية. ومعظم هذه النصوص جاء من نواحي مصر التي ساعد مناخها على حفظها .

تدرج النظام التعليمي البطلمي إلى مراحل، وتنوع إلى تعليم عام وخاص، وكانت المدارس الأولية تقوم بتدريس مبادئ القراءة والكتابة والحساب بصورة بسيطة، ومن بين ما عُثر عليه في البُرديات من مدونات منذ عام 311 ق.م، محاولات أولية من جانب التلاميذ لتعلم الخط، وكذلك وثائق عن تعليم بعضهم حرفة من الحرف، ، فقد كان قسم من الذين يتلقون تدريبات عسكرية، يخصصون أوقات أخرى لتعلم مهنة صناعية أو تجارية أو فنية؛ كتعلم صناعة الخزف والرسم والبناء أو الزراعة، ومن بعض صور التدريب العملي وجدت صور لحوانيت الخزافين، ويُرَى فيها الصانع يعمل مع الصبيان، او يراقبهم وهم يقومون بالعمليات المختلفة؛ يمزجون الألوان والطين ويشكلون العجينة، ويطلونها ويرسمون عليها الصور ويحرقونها، وكانت معظم الأشكال التي ترسم على الأواني والمزهريات مستمدة من الحياة والأساطير الإغريقية، ويتنافس الطلبة باستخدام الطين والصلصال السرمكوس Ceramicus في صناعة أباريق ماء وقوارير وأقداح وآنية، وأثناء عملهم يقومون بالتجارب وابتكار العديد من الموضوعات، وأشكال ونقوش أخرى من افكارهم، وكانت من المواد المستعملة الخشب والأحجار، ومعادن كالذهب والفضة والبرونز، وفي ذات السياق العملي، وجدت وثيقة عبارة عن عقد يرتبط فيه شخص بإبقاء عبده فترة سنتين لدى معلم، من أجل تلقينه طرق الاختزال؛ وهو خط سريع نشأ لتسهيل الكتابة، فقد كان العبيد يقومون بجزء كبير من هذه الأعمال الكتابية، والخلاصة مع اهتمامهم بتمرين الذاكرة والفهم، اهتموا كذلك بالجوانب العملية ومهارات التدريب (1) .

كان الأطفال يستخدمون إلى جانب ورق البردي لوحات من الفخار للتدريب على الكتابة، وعلى القطع الفخارية التي استخدمت في المدارس، كُتبت بعض النصوص القصيرة لبعض من كُتاب الإغريق القدامى، ومن تلك الألواح المكتشفة أصبح في الإمكان إعادة تركيب قصائد الشعراء، وأن جانباً من نصوص الأدب الإغريقي لم يُعرف إلا بواسطة كراسات التلاميذ هذه أو بعض الرسائل الخاصة " لي إليك رجاء أن تطلب إلى ولي أمرى أن يمدني بمستلزمات المدرسة ومطالبها، ومن ذلك كتاب للمطالعة من أجل هيرايدوس، وهذا ما كتبه تلميذ في إحدى المدارس، في خطاب يرجع إلى القرن الثاني ق.م. ولما كانت هيرايدوس هذه تلميذة، وهي ابنة أحد مديري الأقاليم البطلمية، فإن هذا الخطاب يُشير إلى وجود نظام التعليم

(1) ديورانت، مرجع سابق، ج1، مج2، 6، ص 400؛ Milne, H. J., Greek short hand Manuals. Landon, 1934, pp. 64-

المشترك، وإلى أن الكتب المقررة مطلوبة بكثرة " (1) .

في معظم المدن كان يتم تعليم الأولاد والبنات معاً، ولم تُطرح فكرة فصلهما، وظل تعليم البنات محتفظاً بأهميته لدى الطبقات العليا، حيث تواصل إعداد من الفتيات البطلميات الثريات تعليمهن إلى ما بعد المرحلة المتوسطة، وإيضاً البنات من عائلات الطبقة الوسطى، ولذلك ربما اختلف التعليم في بعض المدن وفق الطبقات الاجتماعية والحالة الاقتصادية، فالغالبية يستمر تعليمهم حتى بلوغهم سن السادسة عشرة من أعمارهم، وإلى ما بعدها إن كان من أبناء الأغنياء (2) .

" أقام البطالمة نظاماً تعليمياً على النمط الإغريقي، وقبل سنة 100 ق.م. كانوا قد أتاحوا فيه على عكس بقية الإغريق، فرص التعليم للجميع؛ البنين والبنات، وقبلهم لم يكن لمعظم الفتيات الإغريقيات تعليم نظامي، وإن كان بعضهن تلقين القراءة والكتابة، أما بعضهن الآخر فكان تعليمهن وتربيتهن محدودة، فكل ما تعلمنه اقتصر على الفنون المنزلية، أو كمسليات تعلمن الموسيقى والشعر والرقص، وكانت العائلات الثرية وبعضاً من عائلات الطبقة المتوسطة توفر لبناتها قدرأً من التعليم بالمنزل " (3) .

كانت توجد مدارس المرحلتين الأولى والثانية في كل انحاء البلاد، وفي المراحل التعليمية الاولية تكون الدراسة إجبارية في الغالب، تليها مرحلة التعليم المتوسط، التي تعنى وتشمل الدراسة في الأفيبيا والجمنازيوم، وحيث ظل يشكل التعليم البدني جزءاً أساسياً في هذه المرحلة العمرية، كما كان هناك تعليم حربي خاص بالإعداد العسكري، وآخر حرفي يهدف إلى تدريب فئات من الشباب على امتهان حرف معينة، ومن بعد المرحلة الثانية المتوسطة يصل الطلاب إلى المرحلة الثالثة العليا، وهي إختيارية لمن يستطيع الاستمرار في الدراسة العالية، ومن كل المدن كان يأتي الشباب، من أجل التخصص العلمي أو الأدبي الدقيق، وكان أبناء الأثرياء يواصلون تعليمهم إلى هذه المرحلة المتقدمة التي يصل إليها القلة، وهذا التدرج والانتقال من مرحلة دراسية إلى أخرى أعلى، يعتمد على الرغبة أكثر من الفترة العمرية، مع الأخذ

(1) بل، آيدرس، مرجع سابق، ص 109 ؛ نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ج4، ص 146-147؛ العبادي، مرجع سابق، ص267
(2) كريم، علي، التربية اليونانية، بيروت، مبنى بيت الحكمة، 1997، ص ص 55 - 57 ؛ محمود، أشرف، التربية في المجتمعات القديمة، كلية التربية، الغردقة، 2009، ص 42 .

(3) عبدالعزیز، صالح، التربية وطرق التدريس، ج2، دار المعارف، القاهرة، 1971، ص ص 20-21؛ نفسه، ص 28؛ Oxford Classical Dictionary, (New York, Oxford University Press, 1996), p. 351- 355; Chiappetta, Michael, "Historiography and Greek Education", History Of Education Journal 4, no 4(1953); Gunthes, Ibid, P. 131 .

بعين الاعتبار الموهبة الفطرية لدى المتعلم، بالإضافة إلى قدرته على تحمل متطلبات البحث (1) .
النشء الإغريقي بقي يُقدر الأدب والعلم بشكل عام، والثقافة الإغريقية بشكل خاص، فكانت قيمة التعليم بقدر قيمة نسخ وحفظ الأعمال القديمة وابتكار أعمال جديدة، وتدوين التراث الأدبي والعلمي للأجيال التالية، ويوجد خطاب ينقل طرفاً من حياة جماعة من هواة الكتب يقول مرسله فيه: انسخ لي الجزئين السادس والسابع من كتاب شخصيات في الكوميديا لهوبسيكراتيس عن أساطير التراجميديا، وكما يقول هوبوكرايتون فهما يوجدان لدى ديمتريوس بائع الكتب" (2) .

يدل الخطاب على ان التلاميذ تناولوا في تعليمهم المدونات الإغريقية الكلاسيكية، وتشمل مؤلفات المؤرخين والجغرافيين والخطباء والشعراء والفلاسفة، وكتاب النثر والسير والسياسة والاقتصاد والدين والفنون، وظلت الدراسة الأدبية المادة الأساسية في التعليم الأولى آنذاك " كان هوميروس الكتاب المدرسي الرئيسي في كل المدارس، وهيسيودوس، ومقتطفات بنداروس، وقصائد سافو، وروايات مناندروس، وقصائد أناكريبون، ومخطوطات لمسرحيات ديموى، ومن بينها قصاصات لأوائل كتاب الأناشيد والمقفيات والأزجال، ومنتف من أناشيد الشكر والنصر وأغاني الحرب، وروائع من أشعار كاليماخوس المعاصر، وفقرات من روايات آيسخولوس الضائعة، عدا غيرها من شعر سوفوكليس ويوريبيديس وأرسطوفانيس، وأمثلة من شعر الأغاني على مختلف بجوره " (3) .

عُرف التعليم البطلمي في بداياته بالاهتمام العميق بالآداب والفنون، وبكثرة مدارس الشعر والموسيقى في كل مدن البطالمة، بشكل يكاد يوازي ويفوق أحياناً ما عُرف منها في مدن الإغريق العريقة، ومن الجلى أن القاطنين في كل أنحاء الدولة البطلمية، بل في كل البلاد الإغريقية ظل في متناولهم مقدار هائل من ذلك التراث الفني والأدبي الذي بقي منه في عصر البطالمة الكثير، ولهذا كان التعليم في أوائل هذه الفترة، وخاصة في المرحلتان الأولى والمتوسطة تعليماً أدبياً، وقد ساعدهم على هذا الاتجاه بقاء تلك

(1) كريم، علي، مرجع سابق، ص 55 - 57 ؛ محمود، أشرف، مرجع سابق، ص 42 .
(2) نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة؛ زايد، مصطفى، التربية والتعليم في الحضارة اليونانية والرومانية، مج1، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، 2006، ص 98 - 120 ؛ Wikipedia, The Free Encyclopedia P. Oxy, XVIII, pp. 219- 264
Roberts, C. H., "Literature and Society in The Papyri" , VII, Intern, De Pap. Geneve, (Museum Helveticum, X, 1953) P. 314 .
(3) Willis, W. H., "Greek Literary Papyri From Egypt and The Classical Conon" Hary. Libr. Bull. Vol. XII. 1(Winter 1958), PP. 5 - 14 .

المحفوظات من الآداب الإغريقية " الملاحم " خاصةً فقاموا على الاهتمام بها وتدوينها، والأمر الآخر الذي ساهم في هذا الاتجاه الأدبي هو توثيق وتطور ما كان يُعرف بالشعر التعليمي، واستمرار هذا الشغف بالشعر هو السبب في وجود الدراسة الأدبية الواضحة في التعليم، والمناهج التعليمية الإغريقية، وإلى حقيقة أخرى أن الإغريق كانوا أناساً يعتدون كثيراً بهويتهم وأدبهم القومي أينما رحلوا واستوطنوا، وقد بقي موقف الإغريق جدياً ومثالياً لتأسيس أسلوب ونظام التعليم الأدبي، لأنهم هم من قاموا بحفظ وكتابة الأعمال الشعرية الباقية، مثل ملاحم هوميروس وهيسيودوس (1) .

في تعليمهم كان يجب أن يتحدث الأطفال عن تاريخ الآباء شعراً أو نثراً، فتعرفوا على الشعر التعليمي، الذي صار من أشكال تلقى العلوم والدروس، فالنظام الإنشادي Exhypolepeos (2) الذي يقوم على الإلقاء من الذاكرة، اعتماداً على نص مكتوب، ومن قراءة النصوص الأدبية يتعلم التلاميذ كيف يسردون قصة قصيرة في أسلوب أدبي بدون أخطاء إملائية، وعلى سبيل المثال برز شاعر يدعى سيمونيدس كان يفخر بأنه اخترع طريقة لمساعدة الذاكرة على الحفظ، بترتيب الأشياء التي يراد تذكرها متتابعة في ترتيب منطقي، بحيث يؤدي كل قسم منها إلى القسم الذي يليه (3) .

ظلت الأشعار الهومرية النصوص المفضلة التي تنشد في المدارس واعياد الإغريق، وهذا الجمع بين التعليم والمحافظة على التراث الأدبي، يُشكل خلفية للبعد الجمالي والعقلي للتربية والتعليم الإغريقي منذ 527 ق.م. فالأدب كما هو وسيلة للتعليم، كان وسيلتهم للفهم، وليس مجرد استمتاع أو نقد، ولذلك التعليم الأدبي الإغريقي التصق بواقعهم، وتعامل بشكل مباشر وغير مباشر مع الظروف والبيئة، من أبسط الأمور التي تعترض الحياة اليومية إلى المشاكل التي تمس الوجود الإنساني، والشعر التعليمي كمثال كان

(1) هوميروس شاعر ملحمي كلاسيكي أسطوري يُعتقد أنه مؤلف الملحمتين الإلياذة والأوديسة، هزيود أو هيسيودوس شاعر إغريقي 846-777 ق.م. منشئ الشعر التعليمي، وأمدت أشعاره بصورة عن حكم الأرستقراطية في بلاد الإغريق، ومن أشهر قصائده الأعمال والأيام، وأنساب الآلهة . ديودناتي، مارشيلو، هوميروس، مج 2، روما، أكاديمية يندكونتي، 1971، ص ص 185 - 204؛ سيلك، مايكل، هوميروس "الإلياذة"، كامبردج، مطبعة جامعة كامبردج، 2002، ص 133؛ سلامة، أمين، هسيود الشاعر اليوناني، القاهرة، دار الفكر العربي، 1975، ص 43؛ West, M. L., Hesiod: Theogony, Oxford Uni. Press, 1966, pp. 2- 14 .

(2) أسسه بيستراتوس، وهو النص الذي صار يعرف باسم أو تحقيق أو تنقيح بيستراتوس، الذي حفظ معظم أشعار هوميروس من الضياع .

Marrou, H. I., A history of Education in Antiquity, 3rd Eng. Ed, 1956. P. 69 - 80 .

(3) Old father, Charles Henry, The Greek Literary Texts from Greco- Roman, University of Wisconsin,

1923, pp. 68 - 94 .

انعكاساً للتغيرات التي طرأت على مجتمعهم وحياتهم، فلم تعد موضوعاته عن الحرب والحب فقط، بل عن الفلسفة والعلوم والفنون والحرف " في العصر الهيلينيستي أصبح التراث الأدبي الإغريقي منبعاً لكل حكمة، ودرساً في كل تجربة، فلا مناص من إيجاد سند قوي من الشعر إذا أراد أي متعلم أن يثبت صدقه أو يقول رأيه في أية مسألة أو قضية مطروحة؛ علمية كانت أم فلسفية، دنيوية أم دينية، ، وأعطوا بذلك لتعليمهم الشكل الأدبي، والأهمية والخصوصية، فكتبوا له الانتشار " (1) .

الأساطير كانت تمثل كذلك عندهم جزءاً من موضوعات التعليم الأدبي، ومن ثم كان الإلمام بها أمراً ضرورياً وحيوياً بالنسبة للمتعلمين، مهما كان النوع الأدبي الذي يميلون إليه أو يمارسون التعلم منه، سواء ملاحم أو قصائد، أغان أو مسرحيات، أو مقالات فلسفية، فصارت نصوصاً وكتابات تعليمية، لكن أدباء وعلماء هذا العهد البطلمي وجدوا مجالاً رحباً في تجريد الأساطير، وحتى النصوص المقدسة القديمة من غموضها، ولهذا قاموا على وصف الواقع، وذلك يدل على مواكبة العلماء والأدباء والكتاب لركب التقدم والتخصص الذي شهدته الفترة البطلمية في مختلف فروع العلم والتعليم، فأخذ الأدب يصطبغ بالروح العلمية، وتبارى الشعراء وكتاب النثر في نظم نصوص جغرافية وتاريخية وفلكية، والتعليم وخاصةً مجال البحث العلمي بدأ يستقل عن الفلسفة والأدب، وأخذ في التحول والتنوع إلى نظام تعليمي علمي وآخر أدبي (2) .

عندما كان التركيز على تعليم القراءة والكتابة وحفظ النصوص وأداء التمارين على ألواح خشبية أو حجرية، وجدت كذلك الأوراق البردية متضمنة مؤلفات أدبية وكراسات التلاميذ، ومعظم هذه البرديات مأخوذة من لفافات مستعملة من قبل لكتابة وثائق رسمية، ومكتوب على ظهرها نصوص أدبية، ربما كانت مسودات مدرسية، وهذا يعنى استخدام للورق بشكل واسع النطاق في المدارس من أجل التدريب على الكتابة، وفي الحياة العامة، والنواحي التعليمية على وجه الخصوص، ويتبين من الأوراق التي وجدت في كثير من المواقع، أن الأدب واللغة كان أساس منهج الدراسة، وأن الطلبة كان في متناولهم مدونات من

(1) الموسوعة الكلاسيكية "الأدب الإغريقي"، ج 2، القاهرة، ط 3، 2001، ص 347 .

(2) خفاجة، محمد صقر، تاريخ الأدب اليوناني، إدارة الثقافة العامة، مكتبة النهضة المصرية، 1993، ص 54؛ العابد، مفيد رائف، البطالمة، دار الفكر، 2011، ص ص 402 - 413 .

التراث الإغريقي، واخذت المدارس تُعلم تلاميذها حفظ النصوص الشعرية، وتدريبهم على قواعد اللغة والنحو واساليب البلاغة، ويشمل منهج الدراسة الحساب والهندسة والتاريخ والجغرافيا، وكانت كتب الهندسة والجغرافيا خاصةً كتباً منظمة منهجية، ومع زيادة الطلب على المواد المستخدمة في الكتابة لتدوين الخطابات الخاصة، والحسابات والمسودات، وصور الوثائق الرسمية والقانونية والمذكرات، أو لنسخ المخطوطات الأدبية، وخاصة تلك التي كان المراد منها ان تكون كتباً مدرسية (1) .

في العهد البطلمي بقي البردي مُحفظاً بقيمته، ومن أهم وسائل التعليم، مع تزايد النشاط والمد التعليمي، فالحاجة المتزايدة إلى المواد والكتب المدرسية كانت مستمرة، وفي الغالب كان المنتجون والتجار مسئولين عن تزويد السوق بشكل مستمر بالورق، لأن أي نقص أو سوء توزيع سيؤدي بالضرورة إلى تعطل في عمل الإدارة، واستمرت أسواق البطالمة وخاصة مصر المنتج والمصدر الوحيد لهذه المادة التي اصبحت تستعمل بشكل كبير، وخاصة في المناطق التي انتشرت فيها المدارس والمكتبات، حيث كان من المتوقع أن تطلب ورش النسخ في أي وقت كميات كبيرة من البردي، الشيء الذي لم يكن متوفراً في أي مركز آخر في حوض المتوسط، وعن طريق المخطوطات البريدية عُرف الكثير من جوانب التعليم، والحفريات مازالت تكشف عن المزيد منها حول شتى جوانب المعرفة (2) .

ظل الإغريق يكتبون طوال العصر البطلمي في الغالب على البردي والرقوق وألواح الشمع ومواد أخرى، وكانت الكتابة على الشمع تمحى بقلم معدني، أما الحبر فكان يمحي بقطعة من الاسفنج، وكانوا الكتاب المحترفون يكتبون ما يريدون في صورة أعمدة، كذلك كانت الألواح الفخارية مناسبة بشكل خاص للتدرب على الكتابة لأنه كان يمكن مسحها بسهولة ثم الكتابة عليها ثانية، وقد وجدت آلاف القطع الفخارية التي تتضمن النصوص المختلفة، ولهذا يُعتقد أنها كانت في الغالب مادة الكتابة للفئات الاجتماعية الأفقر التي لم تكن قادرة على شراء البردي الرخيص نسبياً في البلاد، أو ربما عندما يصبح الورق ناقصاً لسبب من الأسباب، وأيضاً استعملت الألواح الخشبية بكثرة، وخاصة في التعليم المدرسي الأولى لسهولة الكتابة

(1) مجموعة مستقاة من نصوص البردي والألواح والاوراقا توضح التعليم المدرسي في مصر. فوده، حسين سليمان، في التربية، يغازي، جامعة قاريونس، ط1، 1980، ص 39؛ ديورانت، مرجع سابق، ج1، مج2، 6، ص ص 374 - 375 .

(2) ستييفيتش، مرجع سابق، ص 79 .

عليها مرات عديدة، ففي المدارس الابتدائية على الأقل كان يُستعان بها بكثرة في الأغراض التعليمية، كما استفادوا بشكل كبير من ألواح الشمع التي كان من اليسير إعادة استخدامها مرة بعد أخرى، نظراً لسهولة مسحها وحملها وحجمها الصغير (1) .

أما أوراق البردي فكان يكتب عليها بأقلام مبرية من القصب تُحفظ في علب خاصة تسمى المقلمة، وكانت تستعمل كذلك للكتابة الأقلام المعدنية المصنوعة من البرونز والفضة، ووجدت أيضاً أقلام مذهبة، وكان الحبر الأسود والأحمر يُحفظ عادةً في محابر مصنوعة من الفخار أو البرونز، وتتميز المحابر بغطائها وشكلها الأسطواني، وأحياناً تُزين برسوم مستوحاة من الأساطير، وأما شكل الكتاب فلم يختلف عن شكله لدى شعوب المتوسط، فقد كان غالباً يأخذ شكل اللقافة (2) .

كان الأثاث بسيط في المدارس، ولم يكن في بعضها ادراج، ويكتفى فيها بالمقاعد الصغيرة، فكان التلاميذ يضعون على ركبهم الملف أو الكتاب الذي يقرأون منه، فالمقاعد والمناضد وغيرها من الإمكانيات والوسائل من المتطلبات المدرسية، وكانت بعض المدارس تزين بتمائيل لأبطال وآلهة الإغريق، وهي عادة منتشرة ووجدت من قبل، وتُظهر بعض الألواح تلاميذ يمارسون شيئاً من أشكال التعلم كطفل يلعب بالطوق، وآخر يقرأ كتابه، ومن العادات التي يتعلمونها في أغلب المدارس، أن تضع بين يدي تلاميذها لوحات يرددون ما كُتب عليها مع رفاقهم على إيقاع ونغم إلى أن تُحفظ، وهي من الطرق المتبعة في تعليم القراءة والكتابة (3) .

في التعليم البطلمي ترسخت أكثر مع الوقت واكتساب الخبرة، النظم والمناهج والطرق التعليمية، ومنها أساليب القراءة العلنية التي تزايدت في المدارس والمكتبات العامة، فالقراءة المسموعة ظلت لها فائدتها بالنسبة إلى العلاقة النشطة بين المعلمين وتلاميذهم، وحتى بين الكُتاب والقراء، فكانت طرق الإلقاء العلني والحوار تشكل جزءاً حيويًا وعمليًا في مناهج الدراسة، ولتوثيق الصلة بين المعلمين والمتعلمين في المراحل الأخرى التي تأتي بعد المرحلة الأولية؛ المتوسطة والعليا، والتي من أكثر طرق التعليم فيها، كانت

(1) نفسه، ص ص 77 - 87 .

(2) Barrow, Ibid, p. 32 .

(3) Oxford Classical Dictionary, Greek Education, 3, p.426 .

طريقة الحوار أو الأساليب الجدلية، وهي تهدف إلى تحفيز التلاميذ على التفكير بأنفسهم وصولاً للنتائج، وتعتمد على حوارية تبدأ من الجزء وتنتهي بالكل، ومن الطرق الأخرى طريقة النشاط تحت إشراف ممثلي الدولة وكبار المتعلمين، وطريقة القدوة التي يُقدم بواسطتها إلى المراهقين نماذج يُحتذى بها، وكذلك طريقة المناقشة، وفيها يقوم المعلم بتوجيه الأسئلة إلى التلاميذ، وعليهم أن يجيبوا إجابات مختصرة، ومن يوميات التدريب والمتابعة والتلقين يعتادون الواجبات والعادات والمسئوليات الاجتماعية والخلقية، وعن طريق التقليد لأساتذتهم والملاحظة والإيحاء يتدربون ويعاقبون على انتهاكهم للقواعد، ومع هذه المشاركة والمرونة إلا أن بعض المدارس استخدمت العقاب الجسدي مع التلاميذ إذا تطلب الأمر، ولكن مع ذلك لم تمتاز التربية بالشدة في غالب الأحيان، لأن أسلوب الضرب لأجل تعليمهم أو تهذيبهم أمر غير مقبول، لأن التعليم يجب أن يكون دون إكراه، وربما كانت النظم لا تبيح ذلك إلا في حدود وحالات معينة، فالتربية اكتساب للقيم والمبادئ الأخلاقية منذ الصغر، وبقدر تزويدهم بالمهارات والمعرفة كان حرصهم على تنمية الجوانب الوجدانية والمثالية بتعلم النظام والذوق والتهذيب (1) .

استخدمت الوسائل والطرائق المحسوسة في التعليم البطلمي عن طريق معدات وأدوات الإيضاح المدرسية، وكانت المدارس الابتدائية تقوم بتعليم مبادئ القراءة والحساب بصورة مبسطة، والمنهج اقتصر في البداية على المبادئ، ولعل التلاميذ كانوا يستعينون بمعداد لحل عمليات الحساب السهلة، وكان الأطفال يقبلون عليها لأن ما يتعلمونه كان شيئاً ملموساً بالنسبة لهم، وبعض تلك المناهج من البيئة، ومنها لوحات الخشب والشمع، واستخدموا الطرق الحسية والرمزية؛ الأشكال أو المجسمات، في تعليم الأعداد، وفي الأعمال الحسابية والهندسية الرئيسية، وفي أساسيات الرياضيات والعلوم، وكان نظام العدّ عند الإغريق مُعقداً إذ لم يكونوا يعرفون سوى الإشارات أو الحروف للدلالة على الأعداد جميعها (2) .

مرّ التعليم الإغريقي بتطورات، واستمر تعليم النشء يبدأ في مرحلة التعليم الأساسي، من سن السابعة

(1) من البرديات الإغريقية الباقية ما يجمع عمليات حسابية معقدة، تختلف ما بين الكسور العشرية والملايين، في فراغ أقل، كان يرمز لرقم 1 بشرطة عمودية و لرقم 2 بشرطتين، وبثلاث لرقم 3 وبأربع لرقم 4 ، وكانت الأعداد 10, 100, 1000, 10,000 يرمز لها بالحروف الأولى من الكلمات الإغريقية التي تسمى بها هذه الأعداد، وهي: بنتى Pente ديكا Dekaton هكتون Hekaton وكليوي Chilioi مريوي Myrioi، ولم يضع علماء الحساب الإغريق رمزاً للصفر، أما الكسور الاعتيادية فكانت تسبب لهم عناء ، فكانوا إذ أجروا عملية حسابية تحتوى على كسر اعتيادي بسطه أكبر من 1 حولوا هذا الكسر إلى عدة كسور بسطها كلها. ديورانت، مرجع سابق، مج2، ج2، 7، ص ص 175 - 177 .

(2) Polyb., Hist., V, 10, 65 .

إلى الرابعة أو السادسة عشرة، وفي بعض المدن يبدأ من السادسة، ولم تكن هناك مدارس ثابتة، وإنما الخدم الموثوق فيهم ينقلون الأطفال من معلم إلى آخر، وكان المدرس يختار الموضوعات التي يمكن تدريسها، وفي أغلب المدارس لا تعرف امتحانات ولا درجات، ولم يكن هناك اتفاق على الوقت المخصص للتعليم من اليوم، وعلى المواد التي تُدرس، وفي المدارس الأولية يشتمل منهاج الدراسة على الدين وآداب السلوك والقراءة والكتابة والحساب والموسيقى والرقص والرياضة البدنية، وعندما يصبح التلاميذ في عمر أكبر يتدربون على رياضات أكثر، وفي المدن الكبرى حيث تنتشر المدارس الابتدائية الأعلى يتم تعليم اللغة (الدراسة النحوية) والمسائل الحسابية والرسم والجغرافيا العلمية، وتستمر هذه المرحلة حتى سن الخامسة عشرة، وفي التعليم المتوسط تستمر الدراسة الأدبية؛ الإنشاء الأدبي وأساليب البلاغة والبيان والخطابة، وكذلك الرياضيات والمحاسبة، وفي بعض المدن عندما تنتهي المرحلة المتوسطة في سن الثامنة عشرة، تليها دورة تدريب عسكرية، وفي بعض الأحيان يتم فرض التجنيد الإجباري فيما يشبه الخدمة الإلزامية " كان يوجد في جيش بطلميوس الرابع ما يُعرف بابيجونوى، وهي وحدات تتكون من أبناء أرباب الإقطاع يتم تدريبها، وهذه الوحدات تؤلف جزءاً من الجيش، إذ كان على الأبناء ان يتدربوا مدة معينة، وعندما يتوفى رب الإقطاع يخلفه أبنه، وقد تعلم فنون الحرب " (1) .

كانت كل فرقة عسكرية تضم هيئة من الموسيقيين والكهنة يدرسون العلوم جميعها، من دين وأدب وعلوم طبيعية وفلك وطب وهندسة وموسيقى، ولكنهم ركزوا في دراستهم على العلوم العسكرية، ولهذا عندما يصبح التلاميذ في عمر أكبر يبدأون التعلم على التدريبات البدنية، إذ أن الأولاد ينتظمون بعد انتهائهم من المدارس الأولية بعكس البنات لمتابعة دروس التدريب البدني، بالإضافة إلى أنه يتناول تثقيفهم، فكان النظام بالأساس يسعى إلى النمو البدني والجمالي عن طريق رياضات الألعاب والموسيقى، ولذلك فقد حافظ التعليم البطلمي على أهم خاصية تميز بها، وهي التربية البدنية والفنية، والتي اعتبرت الأساس لأي تعليم، فكان من أنواع التعليم الثلاثة ما عُرف بالتعليم الحسابي *Kitharistes*، والتعليم الكتابي أو الأدبي *grammatistes*، وتعليم الموسيقى والألعاب الرياضية *Paedotribae* (2) .

كانت الرياضة والموسيقى بالنسبة للإغريق عنصراً أساسياً في النظام التعليمي، وارتبطت بشكل مباشر

(1) Cohoon, Andrew, Ancient Education, New York, 2014, P. 37 .

(2) ديورانت، المرجع السابق، مج 2، ج 1، 6، ص 385 - 395 .

بأسلوب تعليم الشباب Paideia، وقد غطت الموسيقى كل تلك الموضوعات التي تناولها الشعر، كما مثلت الرياضات الدعامة الأساسية لأي تعليم إغريقي عندما تقام المهرجانات والمسابقات الرياضية، وتتنافس فيها كل المدن الإغريقية، ثم أضيفت مباريات في الموسيقى والشعر إلى الألعاب الأولمبية، وذلك لأن الإغريق كانوا يعتقدون أنهم يستطيعون بهذه المباريات العامة أن ينمو مقدرة العازفين والذوق العام في وقت واحد، وكانوا يسيرون على هذا المبدأ في كل فن من الفنون تقريباً، كالشعر والخطابة والتمثيل والغناء الجماعي، وحتى النحت والتصوير وصناعة الخزف (1) .

بهذه المناسبات وغيرها من الطرق أصبح للألعاب أكبر الأثر في التعليم، ولهذا استمر شغف الإغريق بها حتى مراحل متأخرة من أعمارهم، وظلت توجد بكثرة مدارس ودروس في المدن للرياضات البدنية والموسيقى " كانت المدارس تتبارى في إقامة المسابقات الرياضية والحفلات الموسيقية والغنائية، وتشارك أثناء الأحتفالات والأعياد في منافسات تشمل العزف والغناء والرقص والتصوير والرسم ، وقلما وجد أدب أو تعليم إغريقي غير متصل بالموسيقى، فقد كان التعليم والأدب والدين والعروض، وحتى التدريب الحربي وثيقة الاتصال بالموسيقى، وكانت المدن والجماعات المختلفة تقيم بين الحين والحين، مباريات في الغناء الجماعي، تُعد له العدة قبل موعده بزمناً، ويطلب إلى الأثرياء أن يتكفلوا بالنفقات، ويعين مؤلف لكتابة الكلمات والموسيقى، ويستأجر المغنون المحترفون، ويُعنى كل العناية بتدريب الجوقة " (2) .

على هذا الشكل كانت دراسة الموسيقى وتعلم الغناء منتشرة قبل البطالمة، وكان البعض يواصلون دراستهم للموسيقى حتى عمر الثلاثين، ويكون قد تخصص بتعلم آلة من الآلات " الشعر الغنائي يُقرض ليتغنى على القيثارة والصنج والناي، والشاعر يقول الشعر ويلحنه ويغنى أشعاره، وكان كل ما يُحفظ يُلقن شعراً، وقبل أن يحل القرن الثامن ق.م. كانت الموسيقى الإغريقية قد أصبحت من الفنون القديمة، وأصبح لها مئات الأنواع والأشكال، أما آلاتها فظلت بسيطة، والأسس التي تقوم عليها آنذاك القرع والنفخ والأوتار، وقد ظل الناي شائع الاستعمال، وكانت ثمة أنواع مختلفة من القيثارات تستخدم أثناء الشعر القصصي والغنائي، وكان في المدارس مُعلمي رقص ومدربي مُغنين، والرقصات من بينها رقصات حربية ورياضية ودينية كالرقص البيري يتعلمه الأطفال، واقامت مباريات الرقص، كما اقيمت مباريات لأغان جماعية،

(1) نصحي، تاريخ مصر في عصرالبطالمة، ج4، ص ص 409 - 410 .

(2) نفسه، ص ص 412 - 418؛ نفسه، ص ص 248 - 249 .

فكانت الدروس في كل الفنون، وتؤلف فناً واحداً، ثم دخل فيها التخصص المهني بمضى الزمن، وبعض من أولئك الأساتذة كانت له شهرة، وثمة بعض الدروس تتحدث عن الموسيقيين الأقدمين الذين عملوا على تقدمها؛ عن أولميس تلميذ مارسياس الذي اخترع السلم ذا المسافات القصيرة، وعن لينوس معلم هرقل مخترع العلامات الموسيقية الإغريقية، وتتحدث عن أرفيوس التراقي وعن تلميذه موسيوس الذي قال إن الغناء من أجمل الأشياء للآدميين، وتذكر تعريف أرسطاطليس للرقص، بأنه تقليد الأعمال والأخلاق والعواطف بطريق أوضاع الجسم والحركات الإيقاعية " (1) .

على هذا الأساس بقيت واستمرت التقاليد في أغلب نظم التعليم عند الإغريق البطالمة، وفي معظم مدن العالم الهيلينيستي، والتعليم الإغريقي لم يتخذ دائماً شكل التعليم المدرسي، بل عرفوا أشكالاً أخرى أوسع وأكثر مرونة وأرحب مجالاً، فكان المسرح الإغريقي من أهم وسائل هذا التعليم غير التقليدي؛ الفني والعملي والترفيهي، وقد قوى كأسلوب تعليمي حتى أصبح في وقت من الأوقات النظام التعليمي الأساسي في أغلب المدن الإغريقية، فمن خلال المسرح كانوا يتلقون دروس في التاريخ والدين والسياسة والاجتماع، وتتبع منه كل المقومات الثقافية، فضلاً عن ذلك ظل عامة الجمهور الإغريقي متابعين ومشاهدين للتراجيديات الإغريقية وإبداء الرأي بها (2) .

كان هناك دائماً تعليماً آخر غير مباشر، عن طريق الحلقات المفتوحة والأروقة والأندية والجمعيات، وحتى الساحات والأسواق زودت مرتاديه بالخبرات والمعلومات، أي ظل هناك اكتساب للمعرفة عن طريق المجتمع ككل، وهذا التعليم الحر تجاوز المدرسة بشكلها وإطارها ونظامها المرتبط بالصف والمعلم والطالب، إلى نشاط مفتوح في الهواء الطلق تحت ظل الأشجار أو الأروقة، وفي أماكن أخرى لا ترتبط بمكان ولا عمر محدد، فالتعلم وأكتساب المعرفة لم يكن حكراً على المدرسة ومقاعد وداخل جدرانها، بل وجدت صوراً أخرى لأنواع من التعليم الحر والمستمر وغير المُقيد بقواعد ومراحل معينة، فالمعرفة لا تتوقف على المدارس، وعملية التربية والتعليم حتى وإن قامت على مجموعة من الأنظمة والأفكار، ولكن لا تقتصر المهمة على مؤسسات رسمية أو غير رسمية، كما لا يوجد مؤسسة بعينها اضطلعت وحدها بمهمة التعليم، فالتعليم نشأ عبر الشكل المدرسي المنظم المعروف، وبقي كذلك عبر أشكال وصور أخرى

(1) على، سعيد إسماعيل، التربية في الحضارة اليونانية، مهارات النجاح، عالم الكتب، القاهرة، 1995، ص 45 .

(2) عبدالدائم، عبدالله، مرجع سابق، ص 7 - 21 ؛ التومي، عمر محمد، مرجع سابق ، ص 25 .

حرة ليس لها علاقة بالشكل التقليدي المعتاد وغير المرتبط بشروط، وهو تعليم مختلف وقائم عبر المجتمع بالكامل، وليس فقط من خلال المؤسسات التعليمية العامة او الخاصة (1) .

إن الأهداف التي سعى إليها البطالمة، حددت الإطار والمنطلقات والوسائل وأساليب التعليم، لكي تتفق وتحقيق تلك الغايات السياسية والإنشائية، ولذلك ارتبط التعليم البطلمي بالنظم التي قامت عليها دولتهم، وكان مجالاً تنفذ منه السياسة المرسومة من السلطة، مثلما كان الارتباط بين التعليم والعلم والكشوف وثقافة المجتمع البطلمي، فكان من الضروري لهم تنظيم التعليم، بشكل يلائم رؤاهم، مع عدم الإلغاء لتلك الأساليب والنظم التعليمية التي كانت سائدة، وعرفت بها بلاد الإغريق الأم أو المدن الإغريقية خارجها قبل عهدهم، ويبدو واضحاً استفادة واستعانة البطالمة بالتقاليد التربوية الإغريقية في تأسيس مؤسسات وخدمات تعليمية متميزة ، فالتعليم الذي ساد في الدولة البطلمية كان في الواقع نتاجاً للجذور والخلفية الثقافية المتوارثة آنذاك، ولنوع البيئة والظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فلا يمكن أن يقوم تعليم بهذا الشكل من دون أن يعتمد على أسس اتصلت اتصالاً وثيقاً بواقع الحياة، وبالتراث الحضاري الإغريقي (2) .

في شكل يشبه الشكل الذي كان سائداً في المدن الإغريقية، قام نظام التعليم البطلمي، فالبطالمة كونهم أصحاب الثقافة الإغريقية استعانوا في البداية بالنظم والتقاليد الإغريقية في إنشا قاعدة من المعلمين والمتعلمين، وبقيت تلك النظم محافظة على الطابع الإغريقي القديم، ومن بعد الاستيطان في الشرق تبنى البطالمة مجموعة من القيم والمفاهيم التعليمية الأخرى، وأضافوها إلى النظام التعليمي الإغريقي الخاص بهم، والتي تتفق كلها بالإجمال على إعداد الأفراد وتهيئتهم، ليكونوا أكثر قدرة على أن يندمجوا في حياتهم الثقافية والاجتماعية الجديدة، في البيئة التي يعيشون فيها، وأن يسايروا الظروف المحيطة بهم، وأن يواصلوا تعليمهم كي يتمكنوا من أن يشاركوا في الحياة العملية والعلمية، على أن التعليم الجديد وإن كان قد حل بجوار التعليم القديم، كانت له هويته وأصوله ورواده (3) .

(1) Kilpatrick, William. H., Philosophy Education, New York, The Macmillan. Co., 1957, p. 192; Erman - Ranke, Agypten, 78 .

(2) نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ج1، ص ص 56؛ نفسه، ج2، ص ص 379 ؛ 784 ; Lesky, Ibid, p.

(3) امبير، مرجع سابق، ص 14 .

بعد أن بدأت تظهر ملامح لمجتمع جديد ومتغير، أخذ يؤثر ويتأثر فكرياً وحضارياً، حرص البطالمة على ترسيخ ثقافتهم بنفس مستوى حرصهم على تكريس سلطتهم، واستمر اعتزاز المواطنين الإغريق في المدن البطلمية بتقاليدهم الهيلينية، وأما من استقروا خارجها واختلطوا بغيرهم من الأعراق والثقافات وخاصة الشرقيين، فتخلوا عن عزلتهم تدريجياً، وكذلك أثارت معاهد الألعاب الرياضية وساحاتها في بعض الشرقيين شغفاً لم يألوه من قبل بالألعاب وبالحياة العقلية، ولا بد أيضاً أن فئات منهم قد تحصلت على تعليماً إغريقياً، وكونهم تأثروا بالتعليم الإغريقي يتبين من حالة التعليم النشطة، ومن وجود بعض الفوارق الواضحة في أوضاعهم بين العهدين، فلقد ساهم التعليم في التقارب والتعايش بين هؤلاء الإغريق، وغيرهم من العناصر التي اقامت في مدن البطالمة أو بالقرب منها، ولكن ليس كل هؤلاء جميعهم سواء من المصريين أو اليهود تلقوا تعليماً إغريقياً وتعلموا اللغة الإغريقية، فالقرائن توحى بأنه كانت لبعض منهم فقط معرفة بالإغريقية، والمرجح أنهم اكتسبوها على أيدي مدرسين خصوصيين، ففي العهد البطلمي انتشر التعليم الإغريقي بين المكونات المختلفة في المجتمع، وكانت هناك أسباب وعوامل عملت على أغرقة فئة من هؤلاء، واكسابهم اللغة والثقافة ودمجهم في محيطهم الهيليني، فقد أوجدت اللغة والمدارس ثقافة مشتركة في أنحاء الدولة، انتشر في ظلها التعليم (1).

البقية من سكان الدولة، وخاصةً المصريين كونهم الأغلبية، كانت لهم نظم وعادات تعليمية راسخة، قامت على أسس ثقافتهم وديانتهم استمروا متمسكين بها، عدا قلة منهم تأغرقوا بثقافة إغريقية، ربما لم تكن أكثر من مظهر، أما الغالبية فقد بقيت بعيدة عن مظاهر الحياة الإغريقية، وقبل العهد البطلمي، ومنذ عهد الدولة الحديثة الفرعونية، كان الطلاب يلتحقون بمدارس تتصل بالمعابد أو مدارس مستقلة، إذ كان لكل معبد مدرسة ومكتبة، وإن المواد التعليمية في مدارس المعابد لم تقتصر على الدين بل كانت تدرس الآداب، والمناهج التعليمية تميل للأدبية، حيث اعتبروا الكتابة كافية للتكوين التربوي، وأما مدارس المرحلة الثالثة فكانت متصلة بمعابد العواصم، وعندما أصبح دخول المدارس الابتدائية الإغريقية مسموحاً لهم، تمكن البعض من التعلم فيها، وإذا كان البطالمة لم يشملوا المدارس المصرية برعايتهم، ولكن أكثر المعابد

(1) الموسوعة المصرية، مج 1، ج 2، ص 628؛ فرج، أبو اليسر، الشرق الأدنى في العصرين الهيلينيين والرومانى، القاهرة، مركز عين القاهرة، ط 1، 2002، ص 53؛ Encyclopedia, Education of the Jews of Alexandria in the Hellenistic Age, Cairo, 1975,

pp.1-10; Rostovtzeff, Soc.& Ec., P. 3- 882; Ibid, pp. 1087

المصرية ثراء احتفظت بمدارسها بمختلف مراحل التعليم، ولا يبعد كذلك ان المدارس الخاصة ظلت تمارس دورها، واستمرت توجد ثلاث مراحل تعليمية؛ أولية ومتوسطة ومتقدمة، وبقي التعليم على النمط المؤلف لديهم إلى ما بعد عصر البطالمة بوقت طويل (1) .

النظام المدرسي المصري يتكون من ثلاثة مراحل تعليمية، وتعقب المرحلة الأولى مرحلة متقدمة، فقد كان الأطفال يذهبون إلى المدرسة قبل العاشرة، ولا وجود لامتحانات، وكان أبناء الفلاحين يتلقون تعليماً رسمياً أدنى، وعلم الآباء أولادهم مبادئ حرفهم، وأما الطبقة العليا اعتمدت على مدرسين متخصصين في تعليم أبنائها، كما في التعليم الإغريقي، وتعلم أبناء الطبقة الوسطى في المعابد، وكان تعليمهم للقراءة بأن يقرأوا الفقرات المختارة معاً، وتضمنت المختارات نصوصاً تهذيبية، أما الكتابة فتعلموها بنقل النصوص، فكانوا يدرسون م كتبه بعض المؤلفين المدرسيين والحكماء القدامى، واستخدموا في تعليم الكتابة الرسائل ونماذج التقارير، لتشجيعهم على دراستها " كان التعليم يبدأ من سن الخامسة وحتى السابعة عشرة، وكان التلاميذ يتعلمون القراءة والكتابة والقواعد والنسخ والحساب، وكان تعليماً محدوداً، واستخدمت فيه الكتابة بالصور، وكان على المتعلمين أن يكرروا ما كتبوه مرات، حيث كان النظام الأساسي للكتابة في مصر بالعلامات الهيروغليفية، وكان الحساب يُعلم عن طريق نسخ الحسابات التجارية، فإذا أتم المتعلمون تعليمهم، عُينوا كتبة للحسابات في الدولة " (2) .

حرص المصريون كالإغريق على توفير أفضل تعليم لأبنائهم، وعلى بث قواعد الأخلاق والذوق وآداب السلوك، وقد تعددت وسائل التأديب والتقويم، من الوعظ والإرشاد إلى الضرب والعقاب، فالآباء المصريون بقدر ما كانوا شديدي الاهتمام بتوفير حاجات أولادهم المعيشية والتعليمية، حاولوا أن يوفر حاجاتهم الترفيهية، فأتاحوا لهم الفرص للألعاب والحصول على بعض الأدوات، فحفلت حياتهم بما يناسب مراحل عمرهم من ألعاب، فكان منها ما يُشبع الميول إلى النشاط، ومنها ما يساعد على الإدراك والتخيل، وصورت المناظر كثير من الألعاب صنعت للذكور والإناث من الأطفال، ومنها لعبة المربعات ولعبة السيستروم كما وجدت أشكال لحيوانات صنعت من الفخار (3) .

(1) بدوى، أحمد ومختار، جمال الدين، مرجع سابق، ص 165؛ الموسوعة الحرة، التسلية والألعاب في مصر الإغريقية ؛ على، أحمد، في التربية، دار

الكشاف للنشر، القاهرة، 1954، ص 34 .

(2) نورالدين، عبدالحليم، التربية والتعليم في مصر القديمة، القاهرة، جامعة القاهرة، 1991، ص 6-7 . (3) نفسه .

اهتم المصريون بالألعاب الرياضية، ولكن ليس بدرجة اهتمام الإغريق، الذين كانت بالنسبة لهم عنصراً أساسياً في النظام التعليمي، فالمناهج المصرية لم تتضمن شيئاً عنها، وربما لم يهتموا إلا قليلاً بالألعاب، ولكنهم اتفقوا مع الإغريق في قيمة الموسيقى، وبدأت الموسيقى المصرية في العهد البطلمي تتأثر بالذوق الإغريقي، وترتب على ذلك أن أصبحت بعض الآلات كالناي والقيثارة تشد البعض إليها، وإن كان ذلك لم يمنع من استمرار استخدام الآلات المصرية الأخرى كالهارب والشخشيخة، كما ظهرت آلات جديدة لم تكن معروفة من قبل كالجلجل البرونزية وناي الإله بان، وكان في بعض مدارسهم شيء من الموسيقى، ولكنهم لم يتعاملوا معها كما فعل الإغريق، حيث كانت القدرة على العزف على واحدة من الأدوات الموسيقية علامة رقى وتعليم الشباب، من خلال المعرفة كذلك في كل مجالات الفنون، إذ كان يُعتقد لديهم أن الروح يمكن أن تصبح أكثر اعتدالاً وتهذيباً، وحيث أهتم المعلمون بوسائل التربية الخلقية والجمالية، ومدلولها الحسى، عبر الموضوعات ذات الأثر في تنمية الشغف بالفن والجمال (1).

الرومان أخذوا كذلك الطابع الإغريقي في التربية والتعليم، واقتبسوا من نظم الإغريق الكثير، ولكنهم غيروا فيها قليلاً، وأحدثوا نوعاً من التنظيم الذي يتوافق وطريقتهم في الحياة، وأهدافهم من التربية، فهم لم يكونوا يتفوقون مع الإغريق تماماً، لأنهم بطبيعتهم العملية كانوا يرون أن الموسيقى والألعاب الرياضية، ماهي إلا وسيلة للوصول إلى حالة بدنية جيدة، وبالرغم من تبنيتهم لجوانب من النظم الإغريقية، إلا أنهم قد فاقوا الإغريق في بعض المجالات الأخرى، وأن الغالبية منهم ظلوا يعتبرون الخبرة العملية والبيئة المحلية أكثر أهمية من الدراسات النظرية، وتبعاً لذلك فأنهم استمروا محافظين على ما اعتادوا عليه في مجتمعهم من تكليف الأبناء بمرافقة آبائهم ليتخذوا منهم مرشدين ومعلمين في الحياة الخاصة والعامة (2).

الرومان الذين تبنوا نواحي كثيرة من نظم التربية والتعليم الإغريقي، إلا أن مهارتهم برزت في التطبيق، وفاقوا الإغريق في بعض المجالات كالزراعة والقانون والهندسة، حيث قاموا بتطويرها، بعد أن اقتبسوا وطبقوا الكثير في المجال التعليمي من أساليب ونظم الإغريق، فالتعليم الروماني هو ذاته التعليم والتربية

(1) البسيوني، أحمد دويدار، التعليم في مصر، مركز الأهرام للنشر، 2015، ص ص 32 - 36 .

(2) نصحي، تاريخ الرومان، ج1، ص ص 414 - 424 ؛ الموسوعة الحرة، التعليم في روما القديمة، ص ص 15-16: كويل. فرانك ريتشارد،

الحياة في روما القديمة، بوتمان، نيويورك، 1961 ؛ ليفيوس، ايتوس، كلاسيكات أكسفورد العالمية، (ترجمة عن اللاتينية تي جيه لوس)، 1998،

الإغريقية بشكلها ومراحلها ومستوياتها، وفي جوانب علومها وآدابها، بل وبقيت بالشكل والنمط المعروف بعد انتشارها الواسع الذي شهدته، وقد تجلّى ذلك الشبه كثيراً في وجود نفس مراحل ومستويات التعليم الابتدائي والمتوسط والعالي، وفي استحداث الرومان لكل ما هو إغريقي في كل الدراسات العلمية والفلسفية، وفي جلب المعلمين الإغريق إلى مدنهم، ونشأت بشكل كبير المدارس الأولية الخاصة (1) .

" في التربية الرومانية الأولى ظهرت المدارس التي عُرفت بلودي *Ludi*، وهي مدارس يلعب فيها الأطفال ويتلقون أساسيات القراءة والكتابة والحساب، وحفظ الألواح العشرة للدين، وكان مُعلم هذه المرحلة الابتدائية يقوم بتعليم الأبناء بين سن السابعة والعاشرة، .. وكان المدرسون المحترفون ينشئون مدارسهم الخاصة يرسل إليها أبناء الأحرار، ولم يكن بيدجوجوس يطلق عندهم على المعلم، بل كان يسمى به العبد الذي يصاحب الغلام في ذهابه إلى المدرسة والعودة منها، ولم يُسمع عن وجود مدارس داخلية، وكان التلميذ يبقى في المدرسة حتى يبلغ السادسة عشرة من عمره، وفي الوقت الذي نالت فيه البنات تعليماً أولياً، أُتيحت للبنين الالتحاق بالمدارس الثانوية من عمر العاشرة والرابعة عشرة، حيث يواصلون دراسة قواعد وآداب اللغتين اللاتينية والإغريقية " (2) .

بعد تبني الرومان للعديد من أوجه التعليم الإغريقي، عملوا على تقليد برامج التدريب الإغريقية التي اجروا عليها بعض التعديلات لتتلاءم مع أهدافهم، إلا أن هناك بعض الأمور نظروا إليها على أنها ليست من الأساسيات، ولم يهتموا بها كما اهتم الإغريق وهما؛ الموسيقى والرياضات، وأيضاً لم يعن الرومان في هذه الفترة بالعلوم الطبيعية إلا بقدر ما كانت تحققه لهم من فوائد ملموسة، وتبعاً لذلك فإن المزايا العملية الواضحة لجعل التقويم مطابقاً لفصول السنة هي التي حدت بهم كمثال إلى دراسة النظم التي كان الإغريق يتبعونها في احتساب الزمن (3) .

كانت تظهر فروقات بين نظام التعليم الإغريقي ونظام التعليم الروماني في أعلى طبقات التعليم، فقد كان الطلاب الرومان الذين يرغبون في متابعة أعلى مستويات التعليم يتوجهون إلى المدن الإغريقية للدراسة العليا وخاصة لدراسة الفلسفة، فالثقافة العالية تعنى الإلمام بالمذاهب الفلسفية الإغريقية، وبمناهج

(1) Keegan, John, A History of War Far, New York, 1993 ; Wood, Richard Hay, the Ancient World, David Mckay Company, Inc, 1971; Werner, Paul, Life in Rome in Ancient Times, Geneva Editions Minerva. S. A.

(2) Idem .

(3) History of Education Journal, no. 4, (Chiappeta, Micael, pp. 149– 156 .

البحث العلمي والإطلاع على الأدب الإغريقي، وأن يكون قد تلقى قدرًا من العلوم الرياضية وعلوم الموسيقى والمعارف التاريخية، واكتظت مدارس أثينا والاسكندرية بالشباب الروماني (1) .

في روما أخذت المعاهد تعد الطلاب للخطابة والقانون وشؤون الحكم، ولكن الطبقات العليا بوجه خاص أصبحت تعني بتعلم لغة الإغريق ودراسة آدابهم وفلسفتهم وفنونهم الخطابية، ورأت في هذه الدراسات مؤهل للنجاح في الحياة العامة والخاصة، وظلت النخب الأكثر حظاً في التعليم العالي، ومن مظاهر الاهتمام الذي أولاه الرومان للتعليم العالي، بروز مدارس القانون والخطابة، وانتشار مدارس الفلسفة والبيان، وإمداد قياصرة الروم المدارس بالمساعدات المالية، وتشجيع الأبحاث في مجال العلوم والآداب، ونشأت في المدن الرومانية العديد من المدارس المشابهة لتلك المدارس الأدبية والفلسفية التي عرفت في أثينا والاسكندرية وكوريني، ولاقت قبولاً لدى الرومان بما عرفوا به من ميول عملية وعلمية (2) .

أقبل الرومان على الأخذ بالكثير من النظم التعليمية الإغريقية، ومن نتائجه ذلك ظهور اتجاهات مع وضد " كان من أبرز دعاة الأخذ بالنظم الإغريقية شخصيات من مستوى أيميلوس باولوس وسكيبو إيميليانوس، وشاركهم في ذلك أساتذة الآداب وفنون الخطابة، لأن جُلهم من الإغريق، وبعضهم أرفع مكانة من المدرسين العاديين، وقد قوبلت هذه الاتجاهات في البداية بمعارضة شديدة من شيوخ الرومان المحافظين مثل كاتو الكبير، الذي اعتبر المؤثرات الإغريقية سيئة الأثر في أخلاق الرومان، ولذلك فإنه اقتفى أثر العادة الرومانية القديمة، وقام بنفسه بتدريب ابنائه وتعليمهم، وقد لقي هذا الاتجاه صدى بعض الوقت في طرد أساتذة الخطابة من روما، وهذا نص قرار جاء عندما بالغت المدارس في تدريس اللغات الإغريقية واللاتينية وخروجها عن أهدافها: بلغنا ان بعض الأشخاص ينتحلون لقب الخطباء اللاتين أسسوا مدارس للخطابة اللاتينية، وقد نمى إلينا أن شبابنا الرومانيين يضيعون أوقاتهم هناك، حيث يدرسون عادات وتعاليم جديدة لا تتناسب مع تقاليد اجدادنا، ولذلك نُعلن للملأ أجمع سخطنا على وجود هذه المعاهد ونأمر بطرد هؤلاء المعلمين " (3) .

(1) Idem .

(2) The Classical Journal, 79, no. 4, Pascal, Nanette, pp. 115 – 155 .

(3) Idem .

كما كان الأثر الإغريقي واضحاً في النظم التعليمية الرومانية، بدأ التأثير الأوضح في الاتجاه المتعصب عند بعض من يهود دولة البطالمة، الراض لأغرقة والنزعة الهيلينية، فقد واجه اليهود وخاصةً في الاسكندرية صعوبات في الوقوف أمام المد الثقافي الإغريقي في اتجاه دينهم وتراثهم، فقد تأثرت الجالية اليهودية بالثقافة الهيلينية إلى حد كبير، وتركوا العبرية، وغالباً ما حملوا أسماء متأغرقة، وترجموا كتبهم المقدسة إلى الإغريقية، وبعض المعلمين اليهود البارزين كانوا يتلقون أجوراً من تلاميذهم كالمعلمين الإغريق، ومن ناحية أخرى فإن الحاخامية في اليهودية، أى علاقة المعلم بالتلميذ، والدراسة الجدلية، نشأت على أساس من التقاليد الهيلينية التي سادت مدارس الفلسفة الإغريقية، ونتيجة لذلك حاولت فئة من اليهود إقامة حاجز بينهم وبين الهيلينيين، ومواجهة التقاليد التعليمية الإغريقية، وحاول بعض من كتابهم أن يوفقوا بينها وبين نظمهم ومعتقداتهم، وعملوا على إيجاد نظم مشتركة مقتبسة من الفلسفة الإغريقية، تماماً كما اقتبست روما من تراث الإغريق في شكله الهيلينيستي، فأخذ كتابها وشعراؤها أساليب الأدب البطلمي وأوزانه وموضوعاته، واستخدم فيها الصناعات الفنية والأشكال الإغريقية، واندمجت في شرائعها قوانين المدن البطلمية الشرقية، وبذلك يصدق القول بأن الهيلينية فتحت روما بعد الفتح الروماني، وكل امتداد لسلطة الرومان انتشاراً للحضارة الإغريقية، ما يدل على التأثير الإغريقي حتى بعد السقوط السياسي والعسكري لدولة البطالمة في 31 ق.م (1) .

نستخلص أن التعليم البطلمي كان على مراحل ومستويات، ووجد التعليم العام والخاص، واستمر التعليم الحر، عبر الأروقة والساحات والأسواق، إلى جانب التعليم النظامي، وأصبح التعليم حقاً عاماً وواجباً بعد أن كان ترفاً وخصوصاً واختيارياً تقرره الأسرة، ولم يعد هدفه مقصوداً على بعض القواعد تلقن للأطفال، بل أصبح هناك تنظيم وخطط، الأمر الذي ساعد على زيادة المدارس والمعاهد بكل أشكالها وتخصصاتها في كل أنحاء الدولة، واخذت الأسر المتوسطة ترسل أبناءها لتلقي التعليم، تبعاً لمواردها في المدارس التي أنشأها المعلمون في كل مكان، وأما الأغنياء فإنهم علموا أبناءهم في بيوتهم على أيدي من يستأجروهم من المعلمين، فقد تأسست المدارس الرسمية، وتلك التي ضمت فئة الطلاب الذين دفعوا المال مقابل تعليمهم، كما تواجد شكل من أشكال التعليم الإلزامي والمجاني في أبسط أشكاله (2) .

(1) Oxford Classical Dictionary, Simon Horn blower and Antony Spawforth, 3, p. 201-203 .

يحيى، لطفى عبد الوهاب، الاسكندرية عاصمة البطالمة " الإسكندرية "، بيروت، دار النهضة العربية، 1977، ص ص 263 - 325 .

(2) Rostovtzeff, Soc., & Ec., pp. 375- 377; Sarton, Ibid, p. 192 .

ظل البطالمة ميالين إلى إنشاء نظام عام وخاص للتعليم، وظلت المدارس تعمل حتى مع تغير الظروف والسلطة، لأن أوضاع التعليم ينعكس عليها ما ينتاب الدولة من أوضاع، لكن كان عليها أن تتكيف مع كل وضع جديد، ومع الأحداث والمتغيرات السياسية والإقتصادية، كما يستدل من وجود هذا النوع من المدارس فى الإسكندرية حتى القرن الرابع م. ولا شك ما ضمن انتشاره واستمراره وارتقاء مساره إلى مستويات عليا، منهجيته ومنهجه، عندما عُقدت الندوات والحلقات فى ساحات المدن البطلمية؛ فى الإسكندرية، وفى مدن إقليم كيرينايا، وما يذكر عن المدارس والمعاهد ودور الكتب يدل على تنامي الحركة التعليمية فيها، ومن خلال ما وجد من المعلومات الموثوقة، فإنه يمكن القول أن التعليم كان شائعاً فى كل أنحاء دولة البطالمة، وخاصة بين الإغريق، وأن العهد البطلمى تميز بانتشار المدارس وتعددتها بشكل ومستوى مختلف، عكسته تلك المراحل والمؤسسات التعليمية العامة والخاصة، والتي شهدت اتساعاً وتنوعاً لشكلها ونظمها، وجاءها العلماء والطلاب من كافة أنحاء العالم الإغريقي (1) .

(1) بدوى، أحمد ومختار، جمال الدين، مرجع سابق، ص ص 7- 9 .

الفصل الثالث: مراحل التعليم البطلمي

I. المرحلة الأولية

II. المرحلة المتوسطة

III. المرحلة العليا

مراحل التعليم البطلمي

من الشواهد على تعدد أشكال التعليمي البطلمي، وجود ثلاث مراحل تعليمية، إذ كان يوجد مستويات من التعليم الأولى والمتوسط والعالي، أي مرحلة أولية ظلت مدارسها أكثر انتشاراً وشيوعاً من المرحلتين المتوسطة والعليا، ومرحلة متوسطة هي أقرب ما تكون للنادى الثقافية والرياضية، ولإعداد الكوادر من موظفي المستقبل، ومدارس المرحلة العليا التي كانت أشبه بمراكز للبحث العلمي، اجتذبت إليها الطلاب من كل مكان، وأفرزت باحثين في شتى مجالات المعرفة، وفي هذا الفصل سنتناول هذه المراحل التعليمية الثلاثة .

أولاً - المرحلة الأولى " الأولية "

هي المرحلة التعليمية الأولية التي يشترك فيها العدد الأكبر من الإغريق، وغيرهم من أبناء سكان الدولة، وما يوجد من المعلومات خاص بهذه المرحلة من التعليم بفضل ما وصل من الكتب المدرسية وكراسات التلاميذ، وما كشفت عنه المدونات البردية، والمرحلة الأولى تبدأ عادةً في عمر السابعة، وحيث كان المعتاد أن يذهب الصغار في وقت مبكر إلى مدارسهم بمفردهم أو برفقة مرببيهم، وكانوا يرتدون ملابس مدرسية قصيرة والكبار ملابس أطول، وأكثرهم يلبسون رداءً أبيضاً وفوقه معطفاً أرجوانياً أو أخضر، ويتدلى من رقاب بعضهم تميمة تقيهم عين السوء، وكان التلاميذ النشيطين، وكذلك أولئك الذين يرافقهم الكبار، يمضون مباشرة إلى المدرسة ومعهم أدواتهم المدرسية، أقلام ومحابر وكتاب للقراءة، ومجموعة من ورق البردي، ولوحة من الشمع أو الخشب أو الفخار، لتيسير غسلها وإعادة استعمالها مرة أخرى، ويصور تمثال صغير من الفخار الملون تلميذة صغيرة تجلس على كرسي بسيط وتنظر أمامها، وعلى ركبته لوح الكتابة وتكتب عليه دروسها بقلم من اللوح الخشبي المشمع (1) .

كان منهج الدراسة ينقسم أقسام أو مواد؛ القراءة والكتابة والحساب والألعاب كذلك، فقد أحتوت وأضيف للمناهج الموسيقى والرياضات، فلم تكن تقتصر المواد على القراءة والكتابة والحساب، وفي الحساب استخدموا في تعليم العدّ الحروف لا الأرقام، ويبدأ التعليم بأساسيات القراءة والكتابة أولاً، أي الحروف

(1) نصحي، تاريخ التعليم في عصر البطالمة، ص 142: ستيفتيفتش، مرجع سابق، ص ص 122 - 199 .

الأبجدية، ثم المقاطع المكونة من أكثر من ذلك، وبعند الكلمات التي تكتب عادة مقطوعاً مقطوعاً، فتعليمهم الأولى يبدأ بالتدريب على القراءة والكتابة، وتكون بتعلم الحروف الهجائية أولاً، ثم الانتقال إلى المقاطع المفردة المؤلفة من حرفين أو أكثر، ثم يلي ذلك تعلم كتابة كلمات تامة (1) .

إن هذه المعلومات الأولية كانت تتخذ أساساً لتلقين التلاميذ قواعد اللغة، ويعطونهم تمارين لتطبيقها، وبعدها يمرنون أيضاً على الإملاء، وعلى قراءة الآداب الإغريقية، وبوجه خاص الشعر، وقد كانت أشعار هوميروس أكثر الأشعار تداولاً وحفظاً في المدارس، ثم تأتي بعدها أشعار هيسودوس ويوربيدس، وفي البداية كان المدرسون يشرحون الأشعار ويفسرونها لتلاميذهم، لكن بعد ذلك على التلاميذ أنفسهم أن يقوموا بالشرح والتفسير والتعليق، وعلى كل تلميذ أن يتعلم العزف على آلة موسيقية، وعادةً القيثارة أو الناي، وكان الكثير من مواد الدراسة يصاغ في عبارات شعرية وموسيقية، ولا يبدو من ذلك المنهج أن أهم ما يهتم به المدرسون هو ذاكرة التلاميذ، ولكن كان يجب عليهم قبل كل شيء، أن يحفروا في ذاكرتهم حروف الهجاء وشكلها وترتيبها ونطقها، وبعد ذلك يمرن التلاميذ على تكوين مقاطع كلمات مختلفة ذات معنى، أو لا معنى لها أحياناً، ولكنها كانت تتطلب مهارة في الكتابة ودقة في النطق (2) .

بعد اجتياز هذه العقبات الأساسية، يعطى المدرس تلاميذه نماذج مختلفة للكتابة يقومون بنسخها عدة مرات، ثم يلقنهم أسماء أشياء مألوفة يعرفونها من الحياة اليومية، كأسماء الحرف والشهور، أو أسماء مقتبسة من الحكايات، وبعد ذلك تستبدل بالمفردات جمل مختصرة أو قصص تتقبلها عقول الأطفال، ويتبين أن بعض من المدرسين لم يعنوا بالتلقين، وبعضهم الآخر عنوا بتلقين ما لا يتفق وعقلية الصغار، كحفظ بعض العبارات لا تتناسب وأعمارهم وخبرتهم، وعلى اعتبار أن الكثيرين من كتبة المستقبل هم خريجو هذه المدارس، فإن التلاميذ يبدأون بعد فترة من تعليمهم على التمرن التدريجي على نسخ صور للمعقود والخطابات الرسمية، ويستمر تكرار التدريب على النسخ لفقرات من الكتب، أو بعض الأقوال القصيرة المأثورة والأحاجي بوجه خاص، أو مقطوعات مطولة من المطالعات الأدبية (3) .

لم يكن التعليم الإغريقي في المرحلة الأولى مقصوداً على الكتابة والقراءة والحساب فحسب، إذ يبدو

(1) نفسه .

(2) ديورانت، مرجع سابق، مج7، ج2، ص ص 83 - 84 .

(3) Wilcken, E.G., Ostraka 1226, 1310, Thompson, Proceedings Soc. Bibli., (1912), 197, P. S. I., 1093, P. Bour., I, 141 ff .

كذلك ان التلاميذ اخذوا دروساً شفوية في مادتي التاريخ والجغرافيا، ولكن يصعب معرفة كيف درست، ولا أي كتب كانت تُدرس في المدارس، ولعلمهم كانوا يعطون فكرة عن أسماء المدن، وأشهر المشرعين والمصورين والمعماريين والمهندسين، وأمناء مكتبة الاسكندرية، وعجائب الدنيا السبع، وأسماء البحار والجزر والبحيرات، والجبال الأكثر ارتفاعاً، والأنهار الأكثر طولاً، ويعرف التلاميذ عن التراث الفكري والشعري، وعن أهم الشخصيات الإغريقية التي أثرت في الحياة، وعن التعاون الزراعي والصناعي (1) .

بعد أن يمتلك التلاميذ مبادئ اللغة ويتعلموا المهارات الأساسية، وأولها القراءة والكتابة، ومهارة التعامل بالأرقام أو الرموز الرياضية، ومهارة الاستماع للغير، إلى غير ذلك من المهارات، يبدأ المعلمون في توجيه قدراتهم الكلامية واللغوية، وكانت القراءة العننية والإلقاء الشفهي من الأمور المحببة، وخاصة في مدارس هذا العهد البطلمي، حيث ترسخ وساد هذا الأسلوب التعليمي أكثر مع تزايد الاهتمام بالتعليم، وبنفس درجة الاهتمام بتعليم القراءة والكتابة، وقد كان للحساب نصيب محدود من عناية المدارس الابتدائية، وكان التلاميذ يعلمون أولاً الأعداد البسيطة، ثم الأعداد الفردية والزوجية، وبعد ذلك الجمع والطرح والضرب وأجزاء وحدات القياس والعملية، ويظن أن تلاميذ المدارس الابتدائية كانوا يتعلمون طرق العد على المعداد، وغالباً على الأصابع، وكانت مختلفة عن المقصود بذلك، فقد كانت طريقة معقدة لها قواعد دقيقة يستطيع التلاميذ بواسطتها أن يعبروا بأيديهم عن أي عدد صحيح، ابتداء من الواحد حتى المليون، وكانت الحروف الأبجدية الإغريقية تتطلب حفظاً جيداً ومطولاً، وهو ما كان يرافقه تدريباً صارماً من المعلم، وعقاباً إن تطلب الأمر (2) .

" كان المدرس يدرس كل المواد، ويعنى بالتهذيب كما يعنى بالتدريب، وكان على الآباء والأمهات تأنيب أولادهم إذا ما لاحظوا قصورهم، وتصور الوثائق المختلفة حياة التلاميذ في مدارسهم، حتى ليكاد يُسمع بعضهم يلهثون في قراءة دروسهم، والبعض يجاهدون لكتابة أسمائهم، والبعض يختلسون فترة تسهى فيها عنهم عين المدرس، وأن التلاميذ المشاغبين كانوا يعاقبون بفرض واجبات عليهم أو بضربهم أحياناً، ولكن العقاب الجسماني لم يكن القاعدة السائدة، ولا يجب الظن أن الدراسة كانت مُملة، وأن حياة هؤلاء

(1) خليل، فارس، مرجع سابق، ص 83 ; ستييفيتش، مرجع سابق، ص ص 132-136; نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ج 4، ص 178 - 174 .

(2) التومي، عمر مجد، تطور النظريات التربوية، ص ص 11-25 ; Marrou, Hist. Education in Antiq., PP. 8- 157

التلاميذ قاسية، إذ أن المنهج الدراسي أحتوى على الأنشطة، والرياضات البسيطة جزء من الألعاب، وكذلك كان آباءهم لا يحرمونهم الهدايا واللعب، فإلى جانب الألعاب المختلفة التي يشتركون فيها معاً، تدربوا على السباحة والموسيقى، واعتبروا عدم الإلمام بهما وصمة، فإذا أريد السخرية من شخص وصف بأنه يجهل القراءة والسباحة " (1) .

الدراسة في المراحل الأولية في كل مدن المملكة البطلمية كانت كتلك التي يتلقاها الصبيان والبنات في الإسكندرية وكوريني، وفي كل المدن الإغريقية بممالك العالم الهيلينيستي، وربما مع فارق بسيط بينها، فالتعليم الأولى يبدأ بمبادئ القراءة والكتابة، وأشعار هوميروس هي الكتاب المنهجي الأول والرئيسي في التعليم المدرسي في كل المدارس، وأيضاً قصائد هيسودوس وأغاني سافو وروايات مناندرس وأسخيلوس وسوفوكليس، ويوريبيدس وأرسطوفانيس، وأجزاء أخرى من قصائد الشعراء الغنائيين، وأقوال الكتاب المسرحيين الأوائل، وأناشيد الشكر وقصائد الشعراء المعاصرين وأبرزهم كاليماخوس الكوريني، ومن خلال بعض الرسائل الخاصة الكثيرة التي كتبها إلى عائلته الفيلسوف سونسيوس البرقاوى **Synesius, eveque de Ptolemais, dans la Cyrenaiqua** (2) نعرف أن التلاميذ في مدينة كوريني كانوا يتعلمون حفظ أشعار هوميروس وهيسودوس، وبعض الشعراء الغنائيين الآخرين الإغريق بعامية مثل ثيوجنيس، وأرخيلوكس وأنكريون وسافو وألقيه واستسيخور، ولا بد أنهم كانوا يحفظون من شعر بنداروس القصائد الرابعة والخامسة خاصةً لأنهما تتعلقان بكوريني، ومن الناثرين كانوا يقرؤون هيرودوتوس، وخصوصاً الكتاب الرابع منه لأنه يتحدث عن وطنهم، ويدل على ذلك كثرة استشاده بأشعار هؤلاء الشعراء، وبخاصة هوميروس، وقد استشهد به 35 مرة في مؤلفاته الباقية، وكان يرافقه في الدراسة أو المدرسة فتى يدعى أوكسانس **Auxence**، كما ذكر سونسيوس اسمه في رسالة إليه " إني لأذكر طفولتنا، لقد كبرنا وعشنا معاً في كوريني " (ترقيم درون **Druon** رسالة رقم 114) (3) .

(1) Herondas, Mimiambes, Loeb Classical Library, III, 11- 13, 18, 34 ; Winter, life and letters in the Papyri, p. 59.

(2) فيلسوف برقاوى ولد بين سنة 370 - 365م. من أسرة كورينية نبيلة واسعة الثراء، وعاش معظم حياته في كوريني، وكان كاتباً وخطيباً بارعاً، لمع في الدراسات الفلسفية، بعثت به المدن الخمس مندوباً عنها إلى القسطنطينية، وفي سنة 411 كان أسقفاً لطمية، بدوى، تاريخ الفلسفة، ج2، ص 5- 7 .

(3) نفسه، ص ص 12 - 13 .

أعطت الرسائل الخاصة شئ من المعلومات أو الإشارات عن تعليم النشء الكوريني في تلك الفترة، حيث أنهم تلقوا تربية جيدة بحكم بيئتهم الواسعة الثراء والثقافة، وأن التلاميذ ذوى الميول والمواهب المختلفة تجلت منذ نعومة أظفارهما، ولكن مع ذلك يجب الإصغاء إلى نصائح الأهل، وإلى مطالب المعلمين الذين يقومون بتعليمهم، ولا يرفضون كل تعليم يُتاح لهم، ومن خلال هذا التعليم، تتجلى وتظهر فضائل عديدة تبرز لدى المتمسكين بالمعرفة، ومنها الذكاء والشجاعة والإنسانية، ويتبين من كثرة استخدامهم للحكم والأمثال، لتمرين التلاميذ على المطالعة، اهتمام المرّبين سواء آباء أو معلمين بالنواحي التربوية الأخلاقية والجمالية، ففي رسالة أخرى يتوجه بها سونسوس إلى أبنه وقد صار الأب الناصح، يوصيه بأن يعيش بجواره، وأن يتعلم ويعلمه، وأن يعرف أي كاتب وكتاب يُفضل، وأن يكون للقراءة في نفسه مكانة أولى، ولهذا يطلب إلى أبنه أن يقرأ باستمرار، وأن يتعلم كل العلوم (1) .

بالنسبة للمدارس غير الإغريقية في دولة البطالمة وأغلبها المدارس المصرية للمرحلتين الأولى والثانية، فإن بعضها كما سبق ذكرها كانت على صلة بالمعابد وبعضها الآخر غير متصلة، وأن هذه المدارس وسواها في مرحلتها الأولى والوسطى بقيت هي المكان الملائم لإعداد ذلك الكم المطلوب إعدادهم وتوفيرهم باستمرار، وفي هذا ما يدل على أنها ظلت توجد طوال هذا العصر البطلمي مدارس أولية مصرية كثيرة لسد حاجة الراغبين في العلم، أو لمزاولة المهن الحرة، أو بوجه خاص في تولى الوظائف الحكومية الصغرى التي كان البطالمة يسمحون للمصريين بتوليها، حتى بعد أن أصبحت اللغة الإغريقية هي اللغة الرسمية في الدولة، ومع ذلك فإن الغالبية العظمى من المصريين لم تحاول أن تتعلمها، وذلك لأنها لم تُدرس أساساً في المدارس المصرية الأولى، وإن الكتابتين الهيروغليفية والديموتيقية بقيتا مستعملتين عندئذ لا على جدران المعابد والمقابر وأنصاب الموتى والتوابيت فحسب، بل كذلك في اللوائح والقوانين، وبخاصة ما كان منها متعلقاً بالضرائب الكثيرة، ولعل أهم تطور طرأ في هذه الفترة على المدارس المصرية الأولى التي لم تكن على صلة بالمعابد، هو نقص اهتمامها بالهيروغليفية نقصاً كان يقابله ازدياد اهتمامها بالديموتيقية بسبب الازدياد المطرد في استخدام هذه الكتابة في الحياة اليومية (2) .

في ضوء ذلك يصعب تقدير مدى تأثير السياسة البطلمية على المدارس المصرية للمرحلتين الأولى

(1) فوده، مرجع سابق، ص ص 26-36؛ بدوى، تاريخ الفلسفة، ج2، ص 219 .

(2) Strabon, XVII, 22, 3, p. 838.

والوسطى التي لم تكن تابعة للمعابد، وإذا كان المرجح أنه مع نقص موارد المعابد وتدهور أحوالها المادية والمعنوية تراجع مستوى مدارسها، وأن ذلك التأثير استمر بحيث أن عدد هذه المدارس قل، وأن الدور التعليمي لها تدنى عن قبل، ويذكر أسترابون الذي زار مصر في عام 25 ق.م. وأقام فيها فترة وجيزة، بأن إحدى العادات التي كان المصريون شديدي الحرص على مراعاتها هي تربية أولادهم وتعليمهم، وقد عُثر من عصر الدولة الوسطى على كتاب كمت الكامل وهو أول كتاب مدرسي يضم بعض القواعد أو المبادئ التي ينبغي للمبتدئ الإمام بها للحصول على المعرفة (1) .

يدل هذا أن المرحلة التعليمية الأولية استمرت برغم الظروف؛ سواء في مدارس صغيرة، أو المدارس الملحقة بالمعابد، وربما هذه الملحقة كانت أفضل حالاً وأوضاعاً، لأن المؤسسات الدينية تملك بعض الموارد، وأقدم عهداً من سائر المؤسسات المدنية، ولأن الكهنة كانوا أكثر الطبقات المصرية تحفظاً، والديانة ظلت تلعب دوراً في حياة المصريين، وظلت أغلبية منهم تتابع مرحلة التعليم الأولى لأولادها في هذه المدارس، ولا يوجد ما يستدل على أن المدارس الأخرى قد أغلقت أبوابها جميعها، والمعلومات عن المرحلة الأولية تشير إلى أن الصبية استمروا يتعلمون فيها القراءة والحساب وأصول الدين، وأغلب الظن أن الأكثرية اكتفوا بهذه المرحلة من التعليم، وانصرفوا بعدها إلى مزاولة إحدى الحرف، أو الالتحاق بإحدى الإدارات الحكومية، ولا يستبعد كذلك أن بعضهم الآخر لم يكتفوا بهذه المرحلة التعليمية الأولى، وحاولوا أن يواصلوا تعليمهم ليتكسبوا بعد ذلك أما بمزاولة إحدى المهن، أو بالانخراط في سلك الكتبة بدواوين الحكومة (2) .

لا شك أن جُل هؤلاء المتعلمين الذين تعلموا أساليب العمل الإغريقية والمحادثة بالإغريقية، وتحريروا الخطابات أو نسخها بالإغريقية، لم يتذوقوا شيئاً من آدابها، فأغلب الرأي أن من اصطبغوا أو أخذوا في عهود البطالمة الأواخر يعملون على صبغ أنفسهم بصبغة إغريقية، لكسب مركز يعادل مركز الإغريق، كانوا يدخلون المدارس الابتدائية الإغريقية المتاحة للجميع، ثم يستكملون دراستهم المتوسطة من بعدها على أيدي مدرسين إغريق، وذلك لعجزهم عن دخول الجومنازيا التي كانت حكرًا على الإغريق (3) .

(1) Idem .

(2) Schubart, Einführung in die papyrus Kunde, Berlin, 1918, p. 307 .

(3) Idem .

ثانياً - المرحلة المتوسطة :

كانت المرحلة الأولى من نظام التعليم المتوسط الإغريقي يسمى أفيبيا Ephebeia، وهي شهادة تدريب الشبان، ومرحلة أخرى من مراحل الحياة التعليمية الإغريقية، وفيها ينخرطون في صفوف منظمات الشباب المعروفة بـ Paideia - Epheboi، واستمر هذا النظام التعليمي المتوسط والشامل موجوداً في عصر البطالمة في كل المدن الإغريقية، وفي جميع المناطق التي كانت توجد فيها جاليات إغريقية، ويندمج الشباب الإغريقي في هذه المنظمات عند بلوغهم الرابعة عشرة من أعمارهم، فالأولاد عكس البنات كانوا ينتظمون فيها بعد انتهائهم من المدارس الأولية لمتابعة مراحل تعليم مختلف، يتلقون فيه إلى ما بعد سن التاسعة عشرة تعليماً أساسه التدريب الرياضي والعسكري، بالإضافة إلى أنه يتناول تثقيفهم، وكان الانخراط في هذه المرحلة يتطلب شروطاً محددة، ومنها أنه ظل مقصوراً على الذين ولدوا من أبوين مواطنين، وكان آباؤهم قد سبقوهم إلى الانخراط فيها، وكان الانتماء إليها يخول حق الالتحاق والتدريب في الجمنازيوم، والتمتع بحقوق المواطنة في المدن الإغريقية فيما بعد (1) .

" بعد أن يتم الشباب تدريبهم في الحادية والعشرين، ينتظمون رسمياً في سلك مواطنة المدينة الكاملة، وقبل أن يصلوا هذه المرحلة يدرّبون على مدى عامين على أيدي مدربين يختارهم لهم قبائلهم، على القيام بالواجبات الوطنية والعسكرية، فيعيشون ويأكلون مجتمعين، ويلبسون حلاً رسمياً ذات روعة وبهاء، ويخضعون بالليل والنهار لرقابة خلقية، وينظمون أنفسهم تنظيمياً ديمقراطياً على نمط نظام المدينة، فيجتمعون في جمعية وطنية، ويصدرون قرارات ويسنون قوانين يتقيدون بها، ويكون لهم حكام وقضاة، فهذه القيم التي ينشأ عليها الشباب الإغريقي أساسها ما تعلمه وتلقاه في المدارس والأندية، وفي المسارح والساحات، وهي مزيج مثالي من التدريب الجسمي والعقلي، يقوي في الشباب الجدية والالتزام وحاسة الذوق، وفي ذات الوقت يعطيهم حريتهم إذ ما نضجوا ليختاروا بأنفسهم " (2) .

كانوا في السنة الأولى يخضعون لنظام صارم من التدريب الرياضي، ويتلقون محاضرات في الآداب وعلوم البلاغة والهندسة النظرية والموسيقى، فكان المنهج يتدرج في هذه المرحلة إلى مواد عديدة، منها الأدب والنحو، والعلوم الرياضية بما في ذلك المقاييس، والفلسفة والفلك، وكان التلاميذ يُطالبون بكتابة

(1) Erman, Literatur. pp. 238 ff .

(2) ديورانت، مرجع سابق، ج2، مج2، 7، ص ص 84 - 86 .

خطب في موضوعات إنشائية مقررة، وإلى جانب ذلك كانوا يدرسون شيئاً عن القصص والأساطير الإغريقية، كما كان هذا التعليم الإغريقي الخالص يشتمل على عنصر في غاية الأهمية بالنسبة لهم، ألا وهو التربية البدنية، فكانت الألعاب الرياضية تُعلم أكثر ما تُعلم في مدارس هذه المرحلة، ولا يعد إغريقي متعلماً إذا لم يتقن السباحة وركوب الخيل، واستعمال القوس والمقلاع، والمصارعة التي كانت تمارس في الحلبات Palaestra، وتدريبات على ألعاب أخرى شبيهة بالتمارين العسكرية تباشرها الشبيبة الإغريقية عندما يبلغون السادسة عشرة من عمرهم، إذ كان ينتظر منهم أن يعتنوا بالألعاب البدنية التي تعدهم الإعداد الكامل للأعمال المدنية والحربية، وكانت ألعابهم وهواياتهم تعدهم عن طريق غير مباشر لهذا الغرض عينه، فقد كانوا يتدربون على العدو والقفز والمصارعة والصيد ورمى الحراب وقيادة المركبات، فكان هذا التعليم في شكله وطابعه يتضمن كعنصر لا غناء عنه، كل الألعاب التي يمارسها الشباب في روتينهم اليومي، ويبدأ وقت الدراسة صباحاً، إذ كان عليهم أن ينهضوا باكراً للذهاب إلى المدرسة، ويؤدون بعض التدريبات الرياضية بإشراف معلمهم، ثم تأتي التمرينات الفكرية لتتخلل التمرينات البدنية (1).

" ينتقلون إلى قاعة للألعاب الرياضية تديرها الدولة لإعداد المواطنين، ومن خلال التدريب على الجري والمصارعة وفنون الحرب والقدرات الخطابية يتلقون عادة في التاسعة عشرة والعشرين من عمرهم تعليم الشبان افيبيا، وكان الهدف الأول لهذا التعليم تدريبهم عسكرياً، لكنه كان يشمل أيضاً تثقيفهم، وكان التدريب العسكري في بعض المدن إجبارياً، لكنه لم يلبث أن أصبح بوجه عام اختيارياً، وفي التاسعة عشرة من عمرهم يرسلون لحماية الحدود، ويعهد إليهم على مدى عامين حماية المدين، وكانوا في هذه المرحلة يقسمون أمام مجلس الخمسمائة، وايديهم ممتدة فوق مذبح الهيكل: لن اجلل بالعار الأسلحة المقدسة، ولن اتخلى عن الرجل الذي إلى جانبي أياً كان، وسأقدم المعونة إلى طقوس المدينة، وإلى الواجبات المقدسة بمفردي ومع الكثيرين غيري، ولن تكون بلادي حين أسلمها إلى من يأتي بعدي أقل مما كانت حين تسلمتها، بل ستكون أكبر وأحسن مما كانت وقتئذ، وسأطيع من يتولون القضاء حيناً بعد حين، واخضع للقوانين المسنونة، ولكل ما يضعه الأهلون من انظمة، وإذا ما حاول أحد أن يفسد هذه القوانين، فلن أسمح له بذلك، بل ادفعه بمفردي وبمعونة الجميع، وسأكرم دين السلف" (2).

(1) نفسه؛ الموسوعة المصرية، مرجع سابق، ص 494 .

(2) ديورانت، مرجع سابق، ج 2، مج 2، 7، ص 86 .

لم يكن منهاج الدراسة واحداً للجميع، فمنهج المحاربين يضم الدين والقراءة والكتابة، والتدريبات البدنية بوجه خاص، ومنهج آخر يضم الدين والتاريخ والرياضيات والفلك وغيرها، وكان هناك تعليم فنى وعملي بالدرجة الأولى، وهدفه تكوين كتّاب ومحاسبين، وتجار وصنّاع، وربما الأغلبية اتخذوا من الحرف والصناعات مهنة لهم، وحتى تعلم مهارة معينة مثل الاختزال الذي كان مطلوباً في أعمال الوظائف الإدارية بالمصالح الحكومية، ، يجرى بطرق التمرين والتدريب على يد خبير فيها، فكان الراغبون في تعلم المواد الخاصة بالاختزال يتتلمذون فترة محددة على يد معلم يلقنهم أصول المعرفة (1) .

وجدت كذلك الدراسة التي يمكن تسميتها بالحرّة، للتخصص في علوم التجارة والمحاسبة، وكان يغلب على هذا النوع من الدراسات طابع الدراسة الفنية والمهنية العملية أكثر من الدراسة النظرية، وحتى الأدب نفسه كان يدرس لغايات عملية، وهي اكتساب الصيغ اللغوية والقدرة على التعبير، كي يتمكن المتعلم من أن يكتب النصوص القانونية والتجارية كتابة سليمة ومهنية، ولهذا توسعوا في دراسة قواعد اللغة، وفي الأدب الديني، وفي الفلك والهندسة (2) .

كانت المناهج في هذه المرحلة تُقدم على مراحل وخطوات فينتقل من دراسة الشعر وقواعد النحو إلى علم الخطابة، وفي بعض دروس الخطابة يوجد تقسيم للخطبة إلى ديباجة وقصة وملاحظات ثانوية وخاتمة، والعلوم الرياضية والجغرافيا بما في ذلك المساحة، وكان مقرراً على التلاميذ أن يكتبوا موضوعات إنشائية، وكان عليهم في مرحلة تلى ذلك صياغة خطب في موضوعات محددة؛ جغرافية أو تاريخية، وكانت كُتب هيرودتوس من ضمن مواد التعليم " واستمر هوميروس أساس وحجر الزاوية في المناهج: لقد حرصت على الكتابة إليك للسؤال عنك وعن صحتك، وأعرف ماذا كنت تقرأ، فقد قال لي المدرس إنه الكتاب السادس، وهذا مما كتبه أم لابنها، والمقصود من ذلك الكتاب جزء من الإلياذة " (3) .

كان كُتّاب المسرحيات وأشهر شعراء الأناشيد والخطباء مواضيع للدراسة كذلك، وأيضاً بعض من النصوص التمثيلية والحكم ذات الطابع الفلسفي والأقوال السائدة، وبعضها من النوع الساخر مثل الأبيات

(1) الوثيقة عبارة عن عقد أتفاق بين شخصان يرتبط فيه احدهما بإبقاء عبده سنتين عند معلم يلقنه خلالهما أصول الاختزال، وعن الاختزال في اللغة اليونانية انظر . Milne, Ibid, p. 130 ; Mentz, A., "Beitrag zur Hellenistischen Tachgraphie", Archiv, XI, pp.

73 - 64 .

(2) نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ج4، ص ص 41 - 42 .

(3) نفسه .

المنسوبة إلى الشاعر سيمونيدس، وحيث تضمن المنهج الدراسي في هاتين المرحلتين كذلك مقررًا دراسياً تحتوي مادته التعليمية على بعض القراءات وأجزاء المسرحيات المباشرة، وقد يقتبس الطلاب منها بعض الأمثلة والأفكار عن تلك الموضوعات التي تحدث معهم وتعلق في ذاكرتهم، ويوجد في نصوص هذه الحوارات المدرسية نشاطاً وتعاوناً، فيكون من ضمن هذا المقرر تمثيلات تحث على ذلك، ويقوم بها التلاميذ بمساعدة وإشراف معلمهم، وربما كان للشباب مكان خاص بهم في دار التمثيل، وقد تشمل النصوص الدراسية قراءات حول عادات الشعوب وتقاليدها، وفهم تنوعها، وعن كثير من المشكلات أو المسائل التي يتدارسونها ويتناقشون حولها ويتراسلون بشأنها (1).

كشفت معلومات عن بعض الأمور التعليمية بين سنتي 88-95 ق.م. ومنها عن جماعات من الشبيبة الإغريقية، ممن يعرفون بالإيفيين Ephebes المثقفين وفق التقاليد الهيلينية المتوارثة، يقدمون الطقوس والقربان للآلهة، وكان لهم شأن في طقوس ومواكب المدن الدينية " لعل هؤلاء هم من تظهر صورهم في المنحوتات، وكانوا في أوقات معينة يستعرضون ما يمتلكون أو يتحلون به من صفات في مناسبات عامة، وبخاصة في سباقات التتابع بالمشاعل، وكانت المدن تخرج على بكرة أبيها لمشاهدة هذه العروض الرائعة، فتصطف الحشود على طول الطرقات، ويجرى السباق ليلاً والطرق غير مضاءة، فلا يرى الناس من العدائين إلا أنوار المشاعل التي يحملونها، وهي تطير من يد إلى يد على طول الطريق، وكانت أستعراضات الشباب والاحتفالات الرسمية تتخللها مهرجانات ومسابقات يستمتع بمشاهدتها سكان عواصم الأقاليم، كما كانت تقام منافسات رياضية دورية يتبارى فيها الهواة من جميع المستويات والمسابقات، وتلك الاستعراضات الشبائية التي تنظمها المدن للشبيبة وغيرها من الاحتفالات العامة بين الحين والآخر، سواء في مناسبة حفل ديني أو تولى ملك أو عيد ميلاد أحد الأمراء تتيح الفرصة للشباب للتنافس الفكري والرياضي، كما تتيح أيضاً لسكان المدن فرص لمشاهدة العروض الراقية (2).

(1) شاعر غنائي 568-556 ق.م. ولد في جزيرة كوس، وكتب في موضوعات متنوعة، كما كتب قصائد قصيرة من الشعر الاليجي Elegeia وهو شعر تتألف فيه وحدة القصيدة من بيتين أحدهما من الوزن السداسي يليه آخر من الوزن الخماسي، كما تنسب إليه بعض الحكم والأقوال المأثورة .

فوده، مرجع سابق، ص 29؛ ديورانت، مرجع سابق، مج2، ج7، ص ص 85-86 .

(2) نفسه . Grassi, Teresa, "Musica, Mimicae Danza", Studi della Scuola, Papirologica, III (Milan, 1920), pp.35-117 .

فى الواقع أن محور التعليم المتوسط إلى حد كبير هو الجيمنازيوم، وبعد تلقى مبادئ العلوم الأولية والتربىة، وهى دراسة خليط من التدريب الجسمى والعقلى، كان التلاميذ الذين يتابعون تحصيلهم العلمى الأعلى المتوسط يذهبون إلى الجومنازيا فى مدنهم، أو فى القرى الكبيرة، وكانوا يتلقون فى هذه المعاهد العلمىة والرياضىة قدراً يماثل ما كان يُدرس لنظرائهم فى مثلها من معاهد العالم الهيلينىستى؛ فى المدن الإغرىقىة القدىمة فى بلاد الإغرىق نفسها، وفى آسيا الصغرى بوجه خاص، وأن هذه الدراسة النوعىة فى معاهد الجومنازيا والتى هى بالأساس معاهد رياضىة، تتضمن تعليم التربىة البدنىة التى تشمل الرياضات والألعاب والتدربيات الشبه عسكرىة، كذلك كانت الدراسة الأدبىة تشكل جزءاً كبيراً وأساسياً من أبرز سمات المرحلة الثانىة للتعليم الإغرىقى أو مرحلة الثقافة العامة، كما يسمىها البعض، حىث أن دراسة الآداب تحتل مكانة الصدارة فى هذه المرحلة؛ الفلسفة والنثر والشعر وفنون الخطابة ومعاجم وقواعد النحو والصرف للغة الإغرىقىة، وقد كانت النىجة الطبقىة لذلك هى أن التعليم البظمى اكتسب حتى أواخر العصر الهيلينىستى سمة صارت إحدى سماته الرئسىة، وهى أتحاذ الآداب الكلاسىكىة أساساً للثقافة العامة، ولىس معنى ذلك إغفال بقىة العلوم الأخرى، وإهمال دراستها (1) .

ىمكن تقدیر مدى التنوع فى التعليم البظمى بفضل البردىيات الكثرىة التى كشف عنها، وبعض من هذه المكتشفات ىضم أجزاء من كتاب العناصر لإقلیدس، وبعضها رسائل فى علم الفلك، وأخرى مسائل فى الهندسة، وقد عُثر على وثائق مدرسىة علیها جداول حسابىة منها القسمة والجذور التربىعىة والتكعبىة، وتمارین الهندسة التبقىقىة، كما كانوا ىدرسون تاریخ الإنسان وتطور حىاته الحضارىة منذ بدء الخلق إلى أیامهم، ومعلم ىدعو تلامیذه إلى إجادة الطبقىة ووسائلها، ومن وسائلها الرياضىات والفلك، ولكن الرياضىات كانت من شأن الأكثر ذكاء من التلاميذ الذین لدیهم الرغبة لدراستها والمیل إلى التخصص فىها، وحتى وإن لم تكن فى هذه المرحلة تحتل مكاناً بارزاً مثلما تحتله الآداب والعلوم الأخرى فى الثقافة العامة، إلا أنها استمرت فى التقدّم بفضل مواهب المتخصصین فىها، كما أستمرت دراستها وأن لم ىكن تدرىسها فى الانتشار بین ذوى المواهب والمیول إلى دراستها (2) .

".. كان ذوو الثراء وحدهم هم الذین ىتعلمون على أیدی الأساتذة المتخصصین لأنهم كانوا ىتقاضون

(1) Idem .

(2) Papyri. Oxy., 29, Fay., G. P. Tebt., 694, P. Reinach, S, P. Oxy., G, 667 .

أجوراً عالية، ولكن ذوى الطموح من الشبان كانوا يعملون ليلاً في المصانع أو الحقول حتى يستطيعوا أن يحضروا في النهار دروس هؤلاء المتخصصين المتنقلين، ويتمثل جزء حاسم من تعليم الشبان الأثرياء في النصح المخلص من الكبار، والتي في بعض الأماكن والأوقات قد تشمل دروساً خاصة أو خصوصية، ويتعلم المراهقون مشاهدة مرشدهم يتحدث عن السياسة في أغورا، ومساعدتهم على تأدية واجباتهم العامة وحضور الندوات، ويتدربون في صالة للألعاب الرياضية، ويتابع أغنى الطلبة تعليمهم من خلال دراسة مع المعلمين المشهورين، وكان الشباب يتعلمون على يد أساتذة البلاغة يلقونهم فن الخطابة والعلوم الطبيعية والفلسفة والتاريخ، وكان هؤلاء المدرسون المستقلون يستأجرون أحياناً قاعات للمحاضرات بالقرب من مدارس الألعاب الرياضية، وكان يتألف منهم ومن قاعاتهم مدارس متفرقة في المدن، وبعد انتهاء هذه المرحلة كان عدد قليل من الشبان السعداء هم الذين يذهبون لمتابعة دراستهم على كبار الأساتذة، في الاسكندرية، أو في إحدى المدن الكبيرة مثل أكسيرنخوس أو كوريني، والبعض يذهب إلى خارج دولة البطالمة وخاصةً أتيينا " (1) .

مما يجدر بالملاحظة أنه إذ كان دخول المدارس الابتدائية الإغريقية ميسوراً للمصريين فإن الجومنازيا- أي المدارس المتوسطة- كانت توصل أبوابها دونهم، وبينما كان ذلك غير متاحاً وممنوعاً بتاتاً على المصريين إلا في بعض الحالات النادرة، سُمح لأثرياء اليهود والفرس أيضاً، خصوصاً الذين جاؤوا من بين صفوف المستوطنين العسكريين المرتزقة بالانضمام إلى المدارس الإغريقية، وكان الهدف لهذا التعليم تدريبهم عسكرياً، لكنه يشمل تثقيفهم، وفي فلسطين بدأ تغلغل التعليم الإغريقي بين العبرانيين اليهود منذ النصف الثاني من القرن الثالث حيث كان أبناء أثرياء اليهود يتلقون قدرًا من التعليم الإغريقي على أيدي معلمين إغريق (2) .

" في عام 175 ق.م. أسس الكاهن ياسون، وهو من أهم دعاة الهيلينية بين اليهود، مؤسسات تعليمية إغريقية وجمنازيوم في القدس، لتدريب اليهود على أن يصبحوا مواطنين إغريق، فحل الجيمنازيوم محل الهيكل كمركز للحياة اليهودية الاجتماعية، وانضم إليه كثير من الكهنة، وأشار فيلون في كتاباته إلى ألتحاق أبناء اليهود بها باعتباره أمراً مسلماً به، كما يذكر يوسيفوس عن تلقي اليهود في مصر وفي

(1) Preaux, C., *Letteres Priveesare Cquesd Eg., Rev. Belge Philol, et d' Hist.*, VIII, 1929, pp. 757-800;

Rostovtzeff, *Ibid*, p.1058 . (2) *Idem* .

أنطاكيا السلوقية تعليمهم فيها، أما الأولاد فأنهم كانوا ينتظمون بعد ذلك في سلك الجيمنازيوم، ويتلقون فيه عادة تعليمهم، وفي مرحلة الدراسة المتوسطة كانت الدراسة تشمل التدريب على الألعاب الرياضية والفنون العسكرية وتعليم اللغة الإغريقية خصوصاً أعمال هوميروس، وكان جانب هام من التعليم في هذا المعهد كونه إغريقي هو التدريب والتردد على قاعات التدريب لمشاهدة التمرينات، وكان الطلبة يقومون أيضاً بدور مهم في الاحتفالات الخاصة بتكريم آلهة المدن الإغريقية، ويقومون بالألعاب الرياضية والمصارعة وهم عرايا، ذلك أن الصبية في هذه القاعات كانوا يتدربون عراة تماماً دون حرج، وهو أمر غير مقبول عند بعض اليهود ويتعارض مع ما تحث عليه الشريعة اليهودية من عدم كشف العورة، ورغم ذلك حرصت الأرستقراطية اليهودية على إلحاق أبنائهم بهذه المدارس، بل أنهم كانوا يلحون في الانضمام إليها، وفي بعض الأوقات وعندما يتم التلاميذ المرحلة المتوسطة من التعليم، كان الراغبون منهم في التعليم العالي يلتحقون بجامعة الاسكندرية (1).

أنشأ الرومان كذلك في هذه الفترة عدداً كبيراً من المدارس للمرحلة المتوسطة في تخصصات مختلفة منها الأدب والنحو، وقد شهدت هذه المدارس إقبال بعض المعلمين الإغريق، وعلى رأسهم 244-284 ق.م. الذي علّم في هذه المدارس الرومانية اللغتين الإغريقية واللاتينية، ثم أندرونيس دخلت في هذا الوقت مدارس البيان أو مدارس لتعليم الخطابة، وتخرّج من هذه المدارس عدد كبير من الخطباء نال بعض منهم شهرة واسعة وأثبت كفاية في الكتابة والخطابة، حيث كان هدف المرحلة هو إعداد الخطباء الفصحاء (2).

بالنسبة للتعليم المتوسط المصري فإن الفتيان الذين كانت ظروفهم تسمح لهم بالاستمرار في الدراسة، فإنهم كانوا يتابعونها في مدارس المرحلة المتوسطة المصرية، وكانت توجد هذه المدارس في مختلف أنحاء البلاد على الأرجح، وهي أما مدارس اتصلت بالمعابد، أو مدارس خاصة ومستقلة عنها، وأن التعليم في فيها لم يقتصر على الدين، بل كان متنوعاً ويشمل الحساب والمساحة والفلك والآداب، وإن هذه المدارس المتوسطة باشرت هذه المرحلة المتقدمة من التعليم في عهد البطالمة، وتوجد قرائن واضحة

(1) Forbes, C. A., "Expanded Uses of The Greek Gymnasium", Class. Philil. 40, 1940, pp. 32- 42 ; Nilsoon, M. P., Die Hellenists Che Schule (Munchen 1955), p. 85 ff.

(2) ديورانت، المرجع السابق، ج2، مج7، صص137-150؛ نصحي، مصر في عصر البطالمة، ج4، صص141-146.

على اشتراك إدارات الحكومة وحتى إدارات الجيش في مرحلة التعليم المتوسط، والتي لا تستهدف فقط إعداد كتبة هذه الإدارات، وإنما إعداد ضباط للجيش، وأنه كان يتولى أمر ذلك شخصيات كبيرة تجمع بين الثقافة الأدبية والثقافة العسكرية، ومن الإدارات التي كانت تشترك في هذه المرحلة المتوسطة من التعليم كذلك إدارات بيت المال، والإدارات المتصلة بالمعابد أيضاً كانت تقوم بنوع من التعليم مماثل، وهذا يدل على اشتراك كل الإدارات في مرحلة التعليم المتوسط (1) .

يتبين من القرائن والنصوص أن الموظف كان لا يُعلم أكثر من شخص واحد في وقت واحد للنهوض بأعباء وظيفة واحدة، ومعنى ذلك أنه لم توجد في هذه المصالح الحكومية مدارس على النحو المألوف، وكذلك فعلت الإدارات المتصلة شئ يشبه ما كانت تقوم به إدارات الحكومة قبل مجيء البطالمة، ذلك أنه في مختلف الدواوين الحكومية استمر الموظفون المجربون يتولون تعليم وتدريب أولئك الشبان الذين أتموا دراستهم الأولية ويرغبون العمل في الوظائف الحكومية، وكذلك فإن التعليم في دور الحكومة لم يكن مقصوراً على التدريب وتلقين أصول العمل، فقد كان يشمل كذلك بعض الدراسات الأدبية بوصفها جزءاً مكماً للإعداد المطلوب، ومما يجدر بالملاحظة أن التعليم عند المصريين كان يركز على لدراسات الأدبية، والدافع إلى ذلك لم يكن مجرد الشغف بالآداب كما التعليم الإغريقي قبل البطالمة، وإنما باعتباره جزءاً مكماً للإعداد المطلوب، وحتى في التعليم والإعداد العسكري لم تكن الفنون العسكرية هي كل ما يقضى الطلاب الراغبون في هذا النوع من الدراسة في تحصيله وتلقيه، فقد كان هؤلاء يتلقون كذلك نوع من التحصيل المدني؛ الأدبي والعلمي، إلى جانب التدريبات العسكرية، واتفقوا تماماً مع الإغريق في أهمية وقيمة الموسيقى (2) .

من المرجح أن الإغريقية قد أصبحت تدرس عندئذ في هذه المدارس الحكومية، والغالب أن تكون الطبقة العليا من المصريين بوجه عام قد رأت في تعلم اللغة الإغريقية استكمالاً للمؤهلات، ولهذا فإن أفراد هذه الطبقة حاولوا تعلم الإغريقية على أيدي مدرسين خصوصيين، وذلك كان شأن فئة من المصريين عملوا على عهد البطالمة الأواخر على صبغ أنفسهم بصبغة إغريقية أملاً في الفوز بمركز يوازي مركز الإغريق، ولا بد من أن تكون إدارات الجيش الخاصة بالفرق المصرية قد واصلت نشاطها في إعداد الضباط

(1) Diod, I, 81, XXI, 132 123 ; Dawson, I, ibid, pp. 66- 112 .

(2) سنتيفيتش، مرجع سابق، ص 36- 94.

اللازمين للفرق، وكالعادة لا يلتحق بمدارس هذه الإدارات سوى فئة محدودة من الأرستقراطية المصرية
الدينيوية (1) .

المرحلة العالية في التعليم المصري، أي المدارس المتقدمة، فهي كذلك لم توجد إلا في المراكز الثقافية
الكبيرة التي كانت في الوقت نفسه مراكز دينية مهمة، وهي هليوبوليس ومنف وهرموبوليس وطيبه وأدفو
وسايس، إذ أن بعض المدن التي كانت تقوم فيها معابد عظيمة بإدارة وأشرف الكهنة اسهمت بالنصيب
الأوفر في دراسة الدين والفلسفة، والفلك والطب والعمارة والقانون، وتوحي القرائن لذلك باستمرار اتصال
مراكز هذه المرحلة العالية بالمعابد، وأن مقار تلك المراكز كانت في المعابد ذاتها أو في معابد ملحقة بها "
ويذكر أسترابون بأنه كانت لرجال الدين في هيلوبوليس مؤسسة علمية ذاعت شهرتها قديماً في الطب
والفلسفة والفلك، وبأنه عندما زار المدينة في عشرينات القرن الأول ق.م. كانت هذه المؤسسة قد تلاشت،
وبحسب شهادته فأن معهد هيلوبوليس قد زال من مكانه عندما زار مصر ويستدل على ذلك بأنه لم ير لها
نشاطاً مع أنه أشير له إلى بيوت الكهنة ومدرسة أفلاطون ويودوكسوس " (2) .

باستثناء هذا الحديث الموجز الذي افضت به بعض المصادر، فأن المصادر الأخرى غير المصرية
خاصة لا تذكر أي معلومات عن المعاهد العالية، وإذا كانت هذه هي حال أعرق المعاهد المصرية، فهل
كان ذلك أيضاً حال غيره من المعاهد، ولكن في بعض الوثائق المصرية شواهد عديدة بعضها مباشرة
وبعضها غير مباشرة تدل على شأنها وشان علمائها في عصر البطالمة، وهذه الشواهد القليلة تلقي بعض
الضوء عليها، فهي تكشف امرين، وأحدهما هو استمرارها، والآخر هو طبيعة نشاط علماء هذه المعابد،
ومعنى ذلك كله أن هذه المعاهد المصرية ظلت تمارس في فترة البطالمة نشاطها العلمي، لكنه كان نشاطاً
جله مقصوراً على حماية التراث من غزو الثقافة الإغريقية (3) .

إن الهيلينية لم تتغلغل بين كل العناصر غير الإغريقية، باستثناء من اقام منهم بالمدن البطلمية، ولم
تنجح الأغرقة مع الفئات التي ظلت متشبثة بتقاليدها، وإن غالبية المصريين لم يتحصلوا على التعليم
الإغريقي المتوسط والعالي، حتى مع انتشاره وحركته النشطة، ثم بمضي الوقت وتغير الظروف والأختلاط،

(1) Gordiner, Alan H., The House of life, London, 1938, pp. 175 ff .

(2) Rostovzeff, Ibid, p. 719; Strab. XVII, 29 (806) .

(3) Fraser. Ibid, pp. 436-7; Thompson, Ancient. Libraries, Berkeley, California, 1940, p. 2 .

أصبح فئة من السكان يسعون إلى التعليم، وصاروا يكتبون ويقرأون الإغريقية ربما بشكل أسهل، وأكسبتهم هذه الثقافة مكانة بين الإغريق، وفي أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الثالث ق.م كان مانثون السمنودي Manethon (1) كبير كهنة هيلوبوليس في طليعة أساتذة معهد الاسكندرية، ومانيثون مؤرخ مصري، قام بكتابة تاريخ مصر باللغة الإغريقية، اعتمد في أجزاء منه على ما جمعه من سجلات المعابد والروايات الشفهية، والمؤرخين الذين جاءوا بعده نقلوا عنه كثيراً، وقد اشتهر مانثون بجزارة علمه، فاختره بطلميوس الأول عضواً في اللجنة التي وضعت ثالوث الاسكندرية، قبل أن يكلفه بعد ذلك بوضع كتاب في تاريخ مصر القديم، وأيضاً برز ديونسيوس يتوسرابيس Dionysus Ptusrabis وكان ضابطاً في الحاشية الملكية، وهو أحد خريجي هذه المعاهد الإغريقية، ووصف بأنه مصري متأغرق، وهو ما يدل عليه اسمه المؤلف من شقين أحدهما إغريقي والآخر مصري (2).

في مدارس المرحلة المتقدمة أي المعاهد المصرية العالية خاصة تجلت صورة واضحة لنتائج سياسة البطالمة، وتبعاً لذلك فإن أهمية تلك المعاهد تضاءلت وغطت عليها مكانة دار العلم في الإسكندرية، ولأن النشاط العلمي الإغريقي لم يواكبه نشاط علمي مصري يوازيه في الانتاج والابتكار، ولا عجب فإن ذلك كان نتيجة طبيعية للظروف التي اكتنفت عندئذ أصحاب كل من هذين النشاطين، ومن ذلك أن مكتبة الإله حورس كمثال كانت تستقبل فقط كهنة ذلك المعبد، وحتى هؤلاء كانوا لا يستفيدون من المكتبة كثيراً بسبب فقر المحتويات التي حفظت فيها، والتي كانت على الأغلب كتب تمزج بين الدين والعلم والبحث، أو ظلت تتعلق بالدين والتنجيم بينما في الوقت ذاته كانت مكتبات الحكام البطالمة في القرن الثاني ق.م وخاصةً مكتبة الاسكندرية قد احتوت خلال وقت قصير على مئات الألوف من الكتب في كافة العلوم، وكانت مفتوحة أمام الطلاب والمتقنين لممارسة نشاطهم التعليمي والثقافي، ولهذا قامت بدور كبير في تطور المعرفة، وهذا التباين يصور بشكل واضح الفرق بين الثقافات، الفرعونية المحافظة، وتلك الهيلينيسية الحيوية (3).

(1) Brochard, Victor, *Lesseptiques Grecs*, Paris, n. ed, 1959, p. 178; Oxford Class Diet., Siv. Manetho .

(2) نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ج4، ص ص 265-266 .

(3) نفسه .

ثالثاً - مرحلة التعليم العالي :

المرحلة الثالثة أو مرحلة التعليم العالي الإغريقي هي مرحلة التخصص أو الدراسة الواسعة والدقيقة المرتبطة والمتصلة بالمدارس العليا التي اضحى لها شأنها، وصار لها موقع للتدريس وقاعات للمحاضرات، وبمؤسسة دار العلم الموسييوم أو الموزيون Museum - Mouseion كما تذكرها بعض المصادر، وهي المجمع العلمي أو المعهد كما يسميها البعض الآخر، وإلى جانبها مدارس الإسكندرية تلك، وكذلك لا يمكن تجاهل دور مدارس كوريني المعروفة، فلم تكن الإسكندرية فحسب بمدارسها المتنافسة أهم مراكز التعليم والعلم في كل نواحي دولة البطالمة، وفي العالم الهيلينيستي، بل كانت مدن كيرينايا ومدن أخرى في الشرق قد أخرجت من مدارسها إلى العالم إنتاجاً قد يفوق إنتاج أي عهد ومكان آخر، وكوّن الإسكندرية قد أصبحت في القرن الثالث المكان والموقع الأفضل للعلماء والأدباء الوافدين والشعراء من أصحاب المنزلة البارزة، فلأن هؤلاء هم الذين اكسبوها المكانة والشهرة، وكذلك تلك الرعاية الملكية وسخاء الملوك البطالمة، والمستويات العليا التي اتسمت بها مدارسها الأدبية والعلمية، فلا عجب أن توفرت كل الظروف والأسباب التي هيأت البحث للباحثين في مختلف فروع العلوم، وليس من باب المبالغة إذا قيل أن أسس الدرس أو البحث العلمي على قيم ومعايير علمية قد أرسيت في مدارس ومكتبات الإسكندرية، فالمصادر كافة تتحدث عن تلك المؤسسات؛ دار العلم ومكتبتها، والمدارس التي نشأت حولها وتفرعت منها في كل مجالات وجوانب العلوم الطبيعية والإنسانية، وتُشيد بعلماء كوريني وأعمالهم غير المسبوقة في البحث، وإلى تلك النتائج التي تحققت في كل أقسام الدراسة العالية للعلوم والآداب والهندسة والطب (1).

الشيء الآخر الجدير بالملاحظة غير ارتباط أغلب المؤسسات المعروفة بالدراسة العليا، أن دار العلم كانت مركز البحوث في العلوم الطبيعية، في حين أن المكتبة الكبرى كانت مركز البحوث في الآداب والعلوم الإنسانية، وأنه كان سيتعذر على هذه المرحلة العالية الأرتقاء والاستمرار في ممارسة نشاطها لو لم تكن هناك مؤسسات ومدارس عديدة تدعمها وتتبعها تمدها بأجيال من الطلاب والأساتذة الذين جذبتهم الدراسة العليا، ومعنى ذلك بقاء واستمرار مستويات ومراكز التعليم قائمة ونشطة طوال هذه الفترة وأن ذلك

(1) ديورانت، مرجع سابق، ج7، ص 490 .

استتبع وجود ونشاط كبير لمدارس المراحل الأدنى، أي المرحلتين الأولية والوسطى (1) . لا تنتهي الدراسة عند البعض بانتهاء هذه المراحل، فعندما يتم التلاميذ المرحلة المتوسطة من التعليم، كان الراغبون منهم في إتمام تعليمهم العالي يلتحقون إما بمدارس الاسكندرية أو السفر إلى إحدى المدن المعروفة في العالم الإغريقي، وخاصةً أثينا التي اشتهرت بأكاديميتها ومدارسها الفلسفية الكبرى، وفي الواقع ظفر الكثيرون من أبناء المدن بتعليم وثقافة إغريقية جيدة، ولكن بعض من الشبان الطموحين والمحظوظين فقط الذين كانوا يقدرّون على متابعة دراستهم العالية، بإشراف كبار الأساتذة، والتعليم العالي لا شك يختلف ويزيد على المراحل الأخرى نظماً وشكلاً وموضوعاً، ويوجد خطاب جاء في بردية كشفت عن المحيط الشغوف بالبحث وبقراءة الكتب في تلك البيئة يقول فيه كاتبه: " . . انسخ لي صوراً من الكتابين السادس والسابع من شخصيات في الكوميديا للمؤلف هيسكراتيس يقول إنها موجودة بين كتب بوليون لكن يحتمل أنها لدى آخرين كذلك، ولديك أيضاً ملخصات نثرية من مؤلفات تيرساجوراس عن الأساطير في التراجيديا، وفي رأي هاربوكرائتون أن ديمتريوس الكبتي قد استحوز عليها " (2) .

أصعب ما في هذه المرحلة أنها كانت تحتاج لموارد وإمكانات نظراً لأرتفاع الأجور، كذلك لم تكن هناك طريقة يمكن بها الإنفاق على التعليم غير المال الخاص أو دعم الملوك والدولة، وعلى الرغم من سهولة فهم معنى وسياق بعض من الرسائل والخطابات المدرسية، إلا أن بعضها لا تبين الكثير عن مقرر خطة الدراسة ومناهجها وأحوالها، وقد يعطى خطاب كتبه طالب يُحتمل أنه اقام بتلك المدينة، فكرة عن عقلية الطالب الجامعي المبتدئ، لأن مضمون الخطاب بسيط، ولا يذكر فيه شيئاً عن مقرر دراسته " . أما عن نفسي، فلو أنني وجدت بعض المدرسين الأفاضل لما كانت والله نظرت إلى ديدوموس حتى من بعيد، إن ما يدخل اليأس إلى قلبي، هو أن ذلك السيد لم يكن سوى معلم ريفي يعتبر نفسه نداءً لبقية المعلمين، ولما كنت أعلم بغض النظر عما أتكده من مصروفات باهظة تذهب هباء، أنه لا خير يرجى من هذا، فأنا اعتمد على نفسي " (3) .

لا تنتهي الدراسة بهذه المرحلة عند مستوى معين، بل إن البعض من الطلاب يستمرون في البحث

(1) نفسه .

(2) Mantte, The Classical Journal, 79, no. 4. pp. 355 – 351 .

(3) Fraser, Ibid, pp. 312– 318 .

والترحال، ويكون عليهم تحمل النفقات الباهظة وبذل الجهد والوقت، وهى كذلك غير محددة بعمر أو فترة معينة ولهذا لا ينقضى البحث فيها سواء قضى أعوام أو حتى عقود، وإن أغلب طلبتها ينقطعون لدراساتهم بعيداً عن الحياة المادية أو الاجتماعية، وذلك لإنهم أصبحوا طلاب علم بمعنى الكلمة، وقد كانت شهرة كبار المتخصصين في هذه المرحلة تجذب حولهم الشبان الشغوفين للتعلم عليهم، مثلما كان الشبان يلتفون حول أصحاب المدارس الفلسفية في أثينا وغيرهم من كبار العلماء والفلاسفة (1) .

بدأت المدارس ودار العلم* خاصةً معهداً للبحث العلمي أكثر منها مركزاً للتعليم، وكان العلماء والأدباء والفلاسفة شبه متفرغين للبحث، والذين كان البطالمة يجزلون لهم العطايا والمكافآت، وغير مطالبين بإلقاء أية محاضرات، ولم تنتظم أي نوع من الدراسات التعليمية، ولكن سمعة هؤلاء العلماء كانت تجذب أتباعه الراغبين في العلم، فيلتف حول كل منهم عدد من الطلاب الساعين للاستزادة من علومهم، ويقوم الأساتذة بتعليم من يتوسمون فيهم الإفادة من علمهم ومعرفتهم الواسعة، ولذلك فإن التعليم العالي الذي عرفته حقبة البطالمة وغيرها من دول العهد الهيلينيستى برغم ارتباطه بمؤسساتهم العلمية، كان بوجه عام ميلاً أو نوعاً من التعليم الفردي، أشبه ما يكون بالتعليم الخاص أو الدروس الخصوصية التي يعطيها أستاذ لفئة محدودة من الطلبة، ولم تكن هناك امتحانات ولا شهادات ولا مكافآت، فقد كانت الشهادة والنتيجة والمرجوة للطلبة، هي الإحساس بالإجادة، وأما العقاب فإنه الشعور بالفشل، فضلاً عن الطرد من المجموعات العلمية، وكان يكفى الطلاب شهادة أنهم درسوا على يد أهم الأساتذة في الاسكندرية، وإذا كان لا يُعلم علم اليقين عن كل نواحي المعرفة وفروعها التي كان تمثلها هذه المرحلة (2) .

كان هذا الشكل من التعليم العالي ناجحاً إلى درجة أن نتج عنه عدة مدارس متنافسة في كل فروع المعرفة، والمقصود بهذه المدارس مجموعة أو أتباع هذا أو ذاك من الأساتذة، الذين يميلون أو يتجهون نحو اتجاه كل منهم، ومعظم ما حدث من التقدم في مجالات البحث في العقود التالية بعد ذلك على أيدي ممن درسوا فيها، الذين كانوا علماء وباحثين أكثر منهم فلاسفة، قضوا حياتهم في البحث المتخصص في العلوم الطبيعية والإنسانية والرياضية، والمدارس والمؤسسات المرتبطة بالمرحلة صارت بمثابة أكاديميات

(*) ارتبطت الدار والمكتبة الكبرى بالمرحلة العليا ، وسيأتى الحديث عنهما بالتفصيل كمؤسسات قائمة بذاتها في فصل مؤسسات التعليم البطلمي لاحقاً.

(1) نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ج4، ص ص 226- 237 .

(2) نفسه .

للبحث أكثر منهما أماكن للتدريس، حيث كان بها قاعات يجتمع بها العلماء ويلتقون بتلاميذهم ويتباحثون فيها، وأفاد العلماء والمتعلمين على السواء من الأجواء والفرص العلمية المتاحة، فجأوا إلى الإسكندرية، إما للانضمام إلى عضوية مؤسساتها أو للدراسة والإفادة من مكتبتها ومدارسها، التي أنشئت على نمط وغرار مدارس أثينا وبخاصة أكاديمية أفلاطون ولوكيوم أو رواق أرسطوطاليس (1) .

هذه الدائرة المتقدمة من الباحثين والطلاب، شرحت وعالجت ونسخت آلاف المخطوطات وأعدت مئات الآلاف من الأبحاث، ويوجد أسماء ألف ومائة مؤلف هيلينيين، وما من شك في أن من لا تُعرف أسماءهم يفوقهم الحصر، ويتبين من مؤلفات هؤلاء التلاميذ أنها حتى وأن لم ترتقى بعضها إلى مستوى مؤلفات وبحوث اساتذتهم فإنها كانت وفيرة وواسعة النطاق، وأن التعليم العالي لم يُعد مثلما كان من قبل مائة عام على يد معلمي الفلسفة والآداب الإغريقية وخطباء البلاغة، وأن الدروس التي تلقوها تجاوزت مجرد السرد للحقائق العلمية، وتلك الدراسات والمعلومات ألهمت وحي العديد منهم، وهكذا سيجتمع العلماء والأدباء في مؤسسات الإسكندرية ليشرحوا ويقارنوا بين مختلف النسخ المجموعة من أبعاد العالم الإغريقي لمؤلف ما، لكي يعتمدوا نسخة واحدة تكون مصدراً للنسخ لفترة طويلة (2) .

في الواقع أن هذا العمل هو مثال فقط على إحدى نتائج ذلك التحول التعليمي، والانتقال من مرحلة لأخرى أعمق وأدق، وأصبح هناك معايير وشروط تحكم البحث العلمي، وحيث لم يعد بمقدور أي باحث أن يعتمد على الرواية الشفهية للنصوص، أو يُضيف شيئاً إلى النص الأصلي أو يحذف منه كما يشاء، أي إلى مستوى تعليمي أكثر تخصصاً، واتساع ثقافة القراءة والبحث، حيث أصبح الاحترام الصارم للنص الأصلي أحد سماته الأساسية، حيث زودت بالمعرفة كل من تؤهلهم للاضطلاع بالبحث تلك الدراسات، وانكب الدارسون على التراث الإغريقي القديم؛ الأدبي والفلسفي، يبحثون فيه ويدرسونه ويحققون نصوصه ويهتمون بنشرها، على اعتبار أن هذا شيء مهم من أشكال الاشتغال بالعلم، فقد بدأت بحوث علماء مدارس الإسكندرية وتلاميذهم أثناء تلك الفترة في تحقيق الكثير من النصوص، ويكفي الإشارة هنا كمثال واحد، إلى أن هذا العهد هو الذي أنتج فيه أول نص محقق لكل من الإلياذة والأوديسة، وللشعر والشعراء الغنائيين وكتاب المسرح، وهو الذي أخرج أول دراسات للغة الإغريقية، ومن أمثلة بحوثهم وأعمالهم

(1) ستيفنيتش، مرجع سابق، ص 36-94 .

(2) نفسه .

العلمية الكثيرة في هذا الصدد، أنهم وضعوا أساس النحو وفقه اللغة، وبحثوا في الطرق الصحيحة لاستعمال الألفاظ، وأول من قسم الأسماء إلى مذكرة ومؤنثة، وأزمان الأفعال وحالاتها؛ إخبارية أو شرطية، وهم من ابتكروا علامات الترقيم، وهكذا وجد التعليم الأعلى طرق وأساليب للبحث جديدة، فلقد اسهمت بحوث مدارس الإسكندرية الأدبية تلك الفترة في تحقيق الكثير من النصوص الكلاسيكية، وتركت أثراً لا يمحى في طرق البحث العلمي في العصر الهيلينى (1) .

اتسمت النزعة العلمية والطبيعية بالمعنى الهيلينى، في الدعوة الحثيثة إلى العناية بالآداب والعلوم بنفس مستوى وقدرة الاهتمام بالفنون الإغريقية، حيث توفرنا على دراستها وإحيائها وبناء الثقافة على أساسها، وكما قامت البحوث على الدراسات الأدبية كذلك قامت الدعوة للبحث العلمي التجريبي وتكوين التفكير النقدي التحليلي، وإلى الجمع بين الدراسات النظرية الأدبية والأبحاث التطبيقية العملية من بعض النواحي الشكلية والموضوعية (2) .

بفضل هذه الدراسات والمستويات التي اكتظت بها قاعات البحث، اختصت وصارت الإسكندرية حتى أواخر العهد الهيلينى مركزاً لأبرز مدرسة من مدارس الأدب الإغريقي، وساهم في تعزيز هذا المركز ظروف كثيرة؛ كون المدينة ظلت لفترة طويلة الموقع الأفضل لأهم مدارس الشعر والنثر والأدب التصويري، وما كان لملوك البطالمة من شغف أدبي ودور، وجعلوا منها مقر إقامة وعيش معظم أدباء وعلماء ذلك العهد، ومن بين أهم هؤلاء الشعراء الكبار كالليماخوس الذي وفد إلى الإسكندرية من كورينى وصار شاعر بلاط بطلميوس الثاني، وأبولونيوس الرودسى وثيوكريتوس وشخصيات أخرى كثيرة مثلت مدارس الآداب، فلا يقتصر الأمر على سياسة البطالمة التعليمية (3) .

كان من أول المواد التي يدرسها ويتخصص فيها الطلاب الآداب الإغريقية الكلاسيكية، وكان بعض من الأساتذة يلقون على الطلبة المنتظمين في مدارس دروساً في موضوعات راقية ودقيقة، وفي آخر النهار تُلقى محاضرات على مجموعات أقل انتظاماً وأكثر عدداً، وأكبر الظن أن حتى هذه المحاضرات الثانية الأقل مستوى كانت في البلاغة والشعر والأخلاق والسياسة، وكان طلاب العلم في المدارس العليا المختلفة

(1) ديورانت، مرجع سابق، ج7، ص 104 - 105 . (2) نفسه .

(3) الموسوعة الكلاسيكية، الأدب الإغريقي، مج 9، ص 102؛ الموسوعة العربية، قراءات تربوية مختارة في تاريخ التربية، بيروت، 2007، ص 12 .

يطوفون بشوارع وساحات المدن يتجادلون أو يحاجون بعضهم بعضاً كما كانوا يفعلون في العهد السابق، وكانت النساء تشترك أحياناً في المناقشات الجدلية، وكانت بعض الفتيات يحصلن على قدر لا بأس به من التعليم العالي، بالبحث والقراءة المستقلة، أو بالاستماع إلى المحاضرات، وكن يشاركن بحوارهن المنطوي على جانب من العلم والثقافة العالية، وقامت بعض النساء بإنشاء مدارس، وأصبحت بعض البيوت الكبيرة التي تملكها سيدات مثقفات أشبه بالندوات تناقش فيها العلوم والآداب والفنون والفلسفة والسياسة وشئون الحكم، مناقشة تجمع بين نواحي المعرفة المختلفة وتؤثر كل منها في الأخرى (1) .

كان من بين السيدات من تفوقن بعلمهن وثقافتهن الواسعة ومواهبهن الشعرية، وبرزت بعضهن بمناقشتهن العميقة، أو بأسلوبهن الأدبي المصقول، وكما كان هناك اهتمام بدراسة الآداب، كتب ونادى كُتاب آخرون بضرورة العناية بدراسة العلوم سواء بالنسبة إلى أصحاب المواهب العالية وهم نادرون، أو حتى عامة الناس من ذوى القدرات العادية، ومن بين النصائح الكثيرة التي تسترعى الانتباه نصيحة الفيلسوف الكوريني سونسيوس " غايتنا نحن نؤمل في الوصول إليها بفضل العقل، وذلك باتباع الطريق الذي سلكته العقول الممتازة منذ الأزمان القديمة، ألا تريدون أن تتحملوا الأعمال بعد الأعمال، لكن لا شيء عظيم ينال بغير تعب، وإذا استطعتم الوصول إلى الغرض بسعادة، فستشعرون تلك اللذة التي يحس بها كل أولئك الذين يتقدمون في طريق التقدم " (2) .

لاشك في أن قبل هذه النصيحة بزمن طويل كانت الدراسات المحصورة في مدارسها الفلسفية والأدبية، قد أخذت تدخل معترك الطبيعة والحياة تحاول فهم أسرارها بالعقل والعلم، وتنقل بعض حلولها إلى واقع الناس، وتدلّ بدلّوها في كل الأمور الكبرى، ففي الوقت الذي اتسعت مجالات العلم، وميدان البحث، والفكر لم يعد البحث مقيداً في متاهات الفلسفة والأساطير والدين، على أن عبادة الآلهة القديمة بقيت بين البسطاء وحتى المتعلمون، كما بقيت كذلك في الطقوس الرسمية والفنون، وظلوا يستخدمونها في الشعر والنقش (3) .

(1) نفسه .

(2) بدوى، تاريخ الفلسفة ، ج 2، ص ص 226 - 227 أحمد؛ أميمة على، المرأة العاملة تحت حكم البطالمة والرومان" دراسة تاريخية أثرية"، (دكتوراه غير منشورة، جامعة الإسكندرية، 2004 .

(3) Rusk, Robert., The Philisophical vases of Education, Uni. London press, 1929, p. 164 .

بواسطة الأساتذة والطلبة توطدت دراسة كافة العلوم الإنسانية والطبيعية والرياضية، فكانت تدرّس وتطرح المعارف المختلفة، وتكونت المجاميع العلمية والأدبية، ونشأت المدارس المتنافسة، واتسعت دائرة البحث التجريبي، في العلوم والآداب؛ الطب والتشريح والجراحة، وفي علوم الفلك والجغرافيا والتاريخ الطبيعي، والنبات والحيوان والطبيعة، والرياضيات والهندسة والفنون، وبرز علماء وأطباء، وأدباء وفلاسفة وجغرافيين بارزين في كافة جوانب المعرفة، ولم تقتصر مدارسها على البحوث، بل يُرى التطوير الذي قام به باحثيها في نظم التعليم وطرق البحث، ولمع عدد كبير من اتباعهم وتلاميذهم الذين عاشوا في ظل أساتذتهم، يشرحون مؤلفاتهم ويعلقون عليها، أو يجمعون أفكارهم ويحللوها " . . . يبرز في أعمال أولئك الرواد خطاب العقل غير المتعصب؛ الناقد والمحلل، ولو كانت تلك الأعمال والنصوص وصلت كاملة لأمكن الحكم بأن العلوم الطبيعية الإغريقية أهم الأعمال الذهنية " (1) .

في ذات السياق يذكر أن بطلميوس الثاني كان ميالاً إلى العلوم الطبيعية والتاريخ الطبيعي، ولكن بطلميوس الثالث كان شغوفاً بالرياضيات، وفي عهد بطلميوس الأول كان العالم إقليدس **Euclides** الملقب بأبي الهندسة يدرّس الرياضيات في جامعة الإسكندرية، وفيها أخرج كتابه العناصر، ويعتبر وتلاميذه مؤسسين لمدرسة هندسية شهيرة، تفوقت على سواها من المدارس في هذا الفرع من الرياضيات، ومن تلاميذ المدرسة الإقليدية تسيبيوس الإسكندري **Ctesibius of Alex** الذي درس طبيعة الممصات وابتكر الرافعة والأرغن المائي والساعة المائية، ونظمت المزاول وساعات قياس الزمن على نحو يمكن من بيان عدد الساعات الزمنية على مدى اليوم والعام، وقياس وتقسيم الليل والنهار إلى أربع وعشرين ساعة، وهذا من أهم ما أحرزته العلوم الرياضية عامةً والهندسة خاصةً، وعلماء الرياضيات البطالمة هم واضعوا قواعد حساب المثلثات، وحساب التفاضل والتكامل، وهم من بدأوا وأتموا دراسة القطاعات المخروطية، ووصلوا بالهندسة العليا أو بهندسة الأبعاد إلى درجة من الكمال النسبي (2) .

في جامعة الإسكندرية أيضاً استطاع أريستارخوس **Aristarchus** الاهتداء إلى دوران الأرض حول

(1) Encyclopedia of Educational, 3, p. 358 .

(2) Gow, Ashort History of Greek Mathematics, 1921; Arcibald, Euclid's Book O Divisions, 1915; Heath, T., The Thirteen Book of Euclid's Elements, 1926, p. 48 .

من قياس محيط الأرض يدرجة من Eratosthenes الشمس، وتمكن الجغرافى الكورينى إراتوستينيس نظاماً Claudius وكلاوديوس بطلميوس Hipparchus الدقة وبلا آلات!! وأقاما هيبارخوس النيقى فلكياً يُعد من العلامات الفارقة في تاريخ العلوم الطبيعية، ورسم أناكساغوراس وأنبادوقليس الخطوط ، وكان Heron الأساسية لنظرية النشوء والارتقاء، وآخر مخترعات العهد من ابتكار هيرون الإسكندري لأطباء الإسكندرية وتلاميذهم الكبير في إنشاء المدارس الطبية والصيدلة، وبرزت في المجال الطبى حيث قامتا بأهم الأبحاث Erasistratus إريسيستراتوس ومدرسة Herophilos مدرسة هيروفيلوس الطبية في التشريح والجراحة والفسولوجيا (1) .

مع تقدم البحوث بجهود العلماء وشهرة المدارس العلمية والأدبية الكبرى، لا عجب أن شهد التعليم العالي البطلمى نشاطاً وتسابقاً علمياً وتعليمياً غير مسبوق، واجتذبت الإسكندرية إليها الطلاب لا من نواحي وأقاليم الدولة البطلمية فحسب، بل من كل نواحي العالم الإغريقي وغير الإغريقي، وكان كثيرون من شباب مدينة كورينى بعد إتمام تعليمهم المتوسط في مدارس المدينة يلتحقون بمدارس الفلسفة فيّها، أو يسافرون لدراسة تخصصات أخرى في الإسكندرية أو أثينا من أجل إكمال تعليمهم الفلسفى العالى، فقد كان كل من تجتذبهم الفلسفة من كل مدن العالم الإغريقي يذهبون لدراستها في أثينا معقل الفلسفة الإغريقية، وفي الواقع كانت كورينى مُنحبه لعدد كبير من الفلاسفة والعلماء الذين تجاوزت شهرتهم حدود بلاد الإغريق، وشهدت المدينة نفسها في فترات متفاوتة ازدهار تعليمي وعلمي متباين يكاد يوازي أحياناً ذلك الذي عرفته أثينا أيام مجدها، ومن الفلاسفة الكبار نشأة كورينى وتلاميذ الفيلسوف سقراطيس؛ كرنيداس Carneads وأرستيبوس Aristippus، وحتى اولئك الذين عملوا على تنشيط البحوث الفلسفية في الاسكندرية ومنهم هجسياس Hegesias، وإراتوستينيس هم من مواليد المدينة الثرية؛ عاصمة كيرينايا (2) .

ولد كرنيداس ابن ابكوموس في كورينى 214- 129 ق.م، وبعد أن أتم دراسته المتوسطة فيها، سافر ليكمل دراسة الفلسفة في أثينا، ومنها تفرغ للدراسة العالية، وإلى جانب المعرفة الواسعة والعميقة بالفلسفة بكل فروعها، كان خطيباً ومجادلاً بارعاً، حتى إن محاضراته الفلسفية كان يواظب على حضورها

(1) Sarton, Ibid, III- V, VIII, XVIII- XXI .

(2) أبوريان، على، تاريخ الفكر الفلسفى، أرسطو والمدارس المتأخرة، ط2، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2010، 313 .

الخطباء المعروفين آنذاك، وتولى بعدها رئاسة الأكاديمية، وتخرج على يديه الكثير من التلاميذ من بلاد آسيا وإفريقيا التي غلبت عليها الثقافة الهيلينية، وقد ترأس كرنيداس بوصفه رئيساً للأكاديمية وهداً بعثت به أثينا إلى روما سنة 156- 155 ق.م وأثناء هذه السفارة سنحت له الفرص لإلقاء محاضرات فلسفية هناك، كان لها أثر بالغ في نشر الفلسفة بين الشباب الروماني، ونجحت البعثة في مهمتها فأعفى الأثينيون من دفع الغرامة، ويعتبر كرنيداس مؤسس لمدرسة فلسفية قائمة بذاتها، ويُعرف مذهبه بمذهب الاحتمال او الاحتمالية، وصنّف أكثر من أربعمئة كتاب (1) .

تركت كتابات الفيلسوف الكوريني المتأخر سونسيوس صور ومعلومات قيمة عن التعليم في كوريني، وفي مرحلة التعليم العالي خاصةً تكشف نصوص من رسائله عن صداقات أساسها دراسة الفلسفة ومستويات عليا من التعليم والثقافة، والاطلاع على مناهج البحث العلمي والمعارف الإنسانية، ما يدل على مدى تنوع دراستهم ورقى تعليمهم، ولا بد أن أجيالاً متتالية من طلبة العلم في كل نواحي اقليم المدن الخمس كيرينايا قد سعوا إلى اكتساب مستويات من العلم والمعرفة، لأنهم كانوا على سعة من الإطلاع بمخطوطات الفلاسفة والمؤرخين والخطباء والشعراء، وكان ذلك يمثل جزءاً من الإلمام بالثقافة الإغريقية في تعليمهم العالي، الذي يتطلب التخصص في الدراسات الأدبية والمذاهب الفلسفية، أو العلوم الطبيعية والرياضية، وبعد أتمام دراستهم الأولى والمتوسطة في كوريني ينتقلون إلى الإسكندرية أو إلى أثينا لإتمام الدراسة، مدفوعين برغبتهم في إكمال تخصصهم، ولم تقتصر الدراسة على الفلسفة، بل درسوا الرياضيات والفلك أيضاً، لأن رسائل سونسيوس تنبئ بأنه درس قدرأً منها، ومن الاقتباسات الفلسفية والدروس المشتركة، ومن الثقافة الرفيعة الواسعة التي يكشف عنها في مصنفاته وخطاباته استنتج الباحثون في سيرته، أنه لا بد قد تلقى دراسة عليا واسعة وخاصةً في الفلسفة، ولكن رسائله من الإسكندرية في هذه الفترة لا تذكر ما تلقى فيها من دراسات أخرى (2) .

بعد أن يتلقى هؤلاء تعليمهم العالي في أهم العواصم العلمية الإغريقية آنذاك؛ أثينا والإسكندرية، يعود أغلبهم إلى وطنهم كوريني، وكان في عاصمة البنتابولس حتى ذلك الوقت تنافساً واضحاً بين الذين تعلموا

(1) بدوى، تاريخ الفلسفة "سونسيوس القورينائي"، ج1، ص ص 11- 22 .

(2) نفسه، ص75 (الرسائل أرقام من 57: 142 فى ترجمة دروون) H. Druon, Oeuvres de Synesius, eveque de

Ptolemais, dans la Cyrenaique, Paris, Librairie Hachette, 1878 .

في الإسكندرية وأولئك الذين درسوا في أثينا، التي بدأت تفقد مكانتها العلمية، وظلت تحاول برغم الظروف الاحتفاظ بشهرتها وسمعة مدارسها الفلسفية، وما يؤكد على ذلك هو ما كتبه سونسيوس في بعض من رسائله إلى أخيه " . . سيعفني هذا من توقيير أولئك العائدين من أثينا بسبب علمهم، ولا يفهمون خيراً مما نفهم نحن أرسطو وأفلاطون، تياهين بأنهم شاهدوا الأكاديمية واللوقيون والرواق الذي علم فيه زينون، لكن الرواق لم يعد جديراً باسمه بعد، لأن أحد الولاة انتزع كل اللوحات التي كانت تزينه، .. والأدعياء من أولئك الحكماء الزائفين الذين يتباهون بأنهم تلقوا العلم في أثينا، وهي كعبة الفلسفة الحقيقية في نظرهم، وهم لذلك يفتخرون بأنهم أقدر على فهم الرواقية من أولئك الذين تعلموا في الإسكندرية، ألم يقصدوا مدارس الفلسفة في حرماها القديم " (1) .

يقول سونسيوس في خطاب آخر " ليتني أفيد من مقامي في أثينا كما تود لي، يبدو لي أنني كبرت شبراً في المعرفة، اتريد شاهداً على تقدمي، إن أثينا لم يعد لها من العظمة غير أسمها اللامع فيما مضى، منذ أن هجرت الفلسفة هذه الاماكن، فإنه لم يعد أمام الرحالة ما يُعجب به غير أبنية الأكاديمية واللوقيون والرواق الذي أعطى أسمه لشعبة خروسفوس، بل إن الرواق فقد لوحاته التي كانت من روائع ريشة الرسام فولوجنوخس، وفي أيامنا هذه في مصر وحدها تنمو البذور الخصبة للفلسفة، وذلك بفضل هوياتيا، لقد كانت أثينا في الماضي مقام الحكماء، أما اليوم فلا تزهي إلا بصانعي العسل، وبالحكيمين الفلوطرخسيين اللذين يجتذبان الشباب، لا بفصاحتها بل بأوان من عسل هوميتس " (2) .

ربما لهذا أسباب وللظروف التي أحاطت بالإغريق وتغير العالم الإغريقي في عهد سونسيوس هو ما جعله يتوجه بالنصح إلى ابنه بأن يبقى في وطنه كوريني، وأن يكون للدراسة في نفسه المكانة الاولى، ولهذا يطلب منه أن يقرأ باستمرار، وأن يتعلم كل العلوم وان يُعلمه، وإن خير ما يمكن أن يرثه الولد عن ابيه هو الكتب، فيقول له: إنني أملك مزارع أقل كثيراً مما ورثته، ولم يبق عندي ذهب ولا خلى، فما كان عندي منهما أنفقت منه في شراء الأشياء الضرورية، وعندي من الكتب أكثر بكثير مما ورثت، وهذه هي الثروة التي ينبغي عليك يا بنى أن تعرف كيف تفيد منها، وإلى أن يقول: لنتخذ طريقاً وسطاً، فهل نجد أنسب من الإنشاء الأدبي أو دراسة الأعمال الأدبية، وهل هناك لذة أظهر وأصفي، ومتعة أسهل

(1) بدوى، مرجع سابق، ص ص 88-90 (الرسالة رقم 12 في ترجمة درون) Druon, pp. 434- 435

(2) نفسه .

وأنبأ، إن الإغريقي في نظري أسمى من الأجنبي، لأنه يكشف عن حكمة أكثر، وحتى حين يتوقف عن التأمل لا يبحث عن بعيداً، بل يجدها في الآداب، إن الآداب تسليية مفيدة للروح، فهي بهذا لا تفعل غير أن تهبط الدرجات التي سعدتها، وللصعود إلى قمم الفلسفة لا بد من روح نبيلة تلهمها السماء، ولا بد عقل ممتاز يجد في ذاته كل ما يحتاج إليه من موارد التفكير (1) .

المفارقة أن هذا النشاط التعليمي العالي في جوانب المعرفة على عهد البطالمة قابله ركود في بعض جوانب أخرى، ومثال ذلك الركود الذي سيطر على الفلسفة في مدارس الإسكندرية خاصةً، بينما لم يكن التراجع والجمود الفلسفي ذاته في مدارس كوريني خلال القرنين الثالث والثاني بوجه عام، ولكن لماذا ظلت البيئة في الإسكندرية غير مشجعة للنشاط الفلسفي، فهل فرض الملوك البطالمة الرقابة، وهل السلطة هي السبب في أنه لا يكاد يُعثر على فلاسفة في معهد الإسكندرية الذي احتوى سائر المعارف! لا شك أن الأحداث العنيفة التي نشبت في بعض الفترات؛ كعهد يورجيتس الثاني، كانت سبباً في هجرة عدد من العلماء والأدباء من المدينة، وبعض من الفلاسفة من بين أولئك الشخصيات العلمية الذين تأثروا بها، فهناك أحداث أثرت بشكل أو آخر عليها، بوصفها مركزاً تعليمياً، وفي أن مستوى البحوث قد تراجعت بسبب تلك الظروف، والمفارقة الأخرى ان المنجزات العلمية الأبرز ارتبطت بالرعييل الأخير من العلماء، فالنشاط التعليمي الأهم ينتمي إلى الشطر الثاني من عصر البطالمة، ما يجعل الشك في صحة هذا الرأي القائل؛ بأن مكتبات الإسكندرية لم تتمكن من استعادة مكانتها مثلما استطاعت مدارسها، ويُستخلص من الدور الذي قامت به مدن البطالمة وخاصةً الإسكندرية في الحركة العلمية والتعليمية، إن كل فروع المعرفة عدا الفلسفة كانت ممثلة في مؤسساتها (مدارسها وجامعتها ومكتبتها) وهي التي استمرت تباشر خدمة العلم إلى عهد متأخر (2) .

باستثناء الدراسة الفلسفية، فقد تعددت وتنوعت المدارس والدراسات في الإسكندرية؛ دراسات إنسانية وطبيعية، ودراسات أدبية وفنية، والدراسات الرياضية والطبية، ولهذا من المهم أن نعرض في هذا الفصل عن مراحل التعليم البطلمي لبعض من تلك الدراسات التي ارتبطت بمرحلة التعليم العالي .

(1) بدوى، تاريخ الفلسفة " كردنياس القورينائي " ، ج2، ص ص 219 - 220 .

(2) نفسه، ص25 : Cook, R. M., Amasis and Greek Sin Egypt, Journal of Hellenic Studies (1936) p. 227 FF ;

Elgood, P. G., The Ptolemies of Egypt, 1938, p.64.

1- الدراسات الأدبية والفنية :

فى مدارس ومكتبة الإسكندرية الكبرى قامت الدراسات والأبحاث العميقة فى النصوص القديمة؛ نماذج الآداب الإغريقية الكلاسيكية، وكانت لهم جهود فى تحقيقها ونقدها ونشرها فقارنوا بين المخطوطات المختلفة للملاحم والتواريخ وأعمال شعراء وكتاب الإغريق، فقد انكبوا على تصنيفها وضبط نصوصها، فاهتموا بمسألة تمييز الأعمال الأصلية من غير الأصلية، واستعملوا لفافات بردية ذات حجم خاص، يسمح بعملية تقسيم النصوص الكبيرة إلى مجموعة لفافات بدلاً من كتابتها فى لفافة واحدة يصعب تداولها، فعلى سبيل المثال، لأول مرة تمكن زينودوتوس من تحقيق وإخراج الإلياذة والأوديسة لهوميروس فى 24 مجلداً، واستعملوا فى تصويباتهم النصية علامات هامشية منها الأوبيلوس Obelos للدلالة على بيت غير أصلى، وعلامة الاستشهاد الأستريسكوس Asteriskos، أو النجمة الصغيرة (*) التى استخدمها أرسطوفانيس البيزنطى للدلالة على معنى ناقص فى النص، واستعملها أرسطارخوس الساموتراقى للدلالة على بيت مكرر، كما اخترع أرسطوفانيس علم النبرات لتشكيل اللغة الإغريقية، وحدد أرسطارخوس أجزاء الكلام الثمانية، كما أصدروا تعليقات شارحة تدل على معرفتهم بالأساطير القديمة، والأعمال الأدبية، ففى دراستهم للأدب القديم ابتدعوا النحو وعلم النقد الأدبى، وابتكروا القواميس والموسوعات، ولهم الفضل بالحفاظ على تراجيديات إسخيلوس، وكوميديات أرسطوفانيس، وقصائد بنداروس وباكخيليديس الغنائية، وتواريخ هيرودتوس وثيوكديدس (1) .

فى الواقع حظت الدراسات الأدبية بكم كبير من الباحثين، وصارت مدارس الإسكندرية فى المرتبة الأولى بعد أن توافد عليها أبرز الشخصيات الأدبية والعلمية من مستوى زينودوتوس الأفسى Zenodotos الذى أصدر أول طبعات محققة لملمتى هوميروس وقصائد هيسودوس، وأبولونيوس الرودى Apollonius مؤلف ملحمة الأرجوناوتىكا، وزيانوس Zyanos، وإراتوستينيس الكورنى عالم الرياضيات، وصاحب الأعمال الشعرية والفلسفية والتاريخية، وأرسطوفانيس البيزنطى Aristophanes الذى يعتبر أول باحث علمى فى مجال تحقيق النصوص القديمة ونشرها، وأرسطارخوس أول من حدد أجزاء الكلام، وتعتبر نسخته التى أخرجها عن الأشعار الهومرية أكثر ألقاناً من غيرها، وكاليماخوس العالم والشاعر الكورنى

(1) سارتون، جورج، تاريخ العلم، ج4، (ت.مجموعة من العلماء)، القاهرة، 1979، ص 279؛ أبوالعطا، مرجع سابق، ص 52-53 .

وضع أول فهرس يعتبر أول عمل بيبليوجرافى لتسهيل عمليات البحث عن الكتب، إلى جانب عمل تصنيف للمؤلفين والنصوص الإغريقية، ومن بين أهم الشعراء الذين عرفوا باسم نجوم كوكبة الثريات، الإسكندر الأيتولى Alexandros Aitolos الذى كان مؤلفاً تراجيدياً، ولمع بتصنيفه وترتيبه لمؤلفات شعراء التراجيديا فى المكتبة، وجاء إلى الإسكندرية عالم النحو والشاعر التراجيدى ليكوفرون الخالكيدى Lycophron، الذى قام بتصنيف وتبويب وتحقيق نصوص مؤلفى الكوميديا، وتأليف دراسة عنها فى تسعة كتب، ألحق بها تفسيراً للمفردات الصعبة باسم Glossai، وأكمل هذه الدراسة إراتوستينيس، وألف ليكوفرون حوالى ستون عملاً، ولكن العمل الذى اشتهر من بين كل أعماله قصيدته ألكسندرا التى تكونت من ألف وأربعمائة وأربعة وسبعون بيتاً (1) .

اوجدوا الطرق لنقد النصوص والأدب بجميع أشكاله، وحاولوا أن يستخرجوا خلاصات للمخطوطات التى وجدوها، وأرشدوا طلبتهم إلى ما يجب أن يقرأوه ويبحثوا فيه، فوضعوا قوائم بأحسن الكتب، والشعراء الغنائيين العشرة، والمؤرخين التسعة، والفوا سيراً لكبار الكتاب والعلماء، وجمعوا المعلومات المشتتة، وكتبوا خلاصات فى التاريخ والآداب والتمثيل، وابتدع التحدث الخيالى، والمقالة ودائرة المعارف والتراجم القصيرة ووضعوا المعاجم وكتب النحو (2) .

كان لابد للبحوث والكتب أن تتفق مع مستوى المتعلمين والقراء الناقدين فى تفسيرها للمعارف العلمية، وحتى للنثر نفسه علمياً، ويمكن تقدير قيمة ومدى أهمية عملهم هذا من التقييم النقدي والإنساني للأدب الكلاسيكي، فمعظم النقد والتقييم للأدب الإغريقي، قام على أساس ما وصل منهم، وما يمكن فهمه من المؤلفات والبحوث التى قام بها هؤلاء وتلاميذهم، والذين لم يقتصر نشاطهم فى مجال الأدب على القيام بدور رئيسي فى دراسة الشعر القديم، بل شمل كذلك أحياء الفنون التى أهملت، ذلك أن شعراء العصر الكلاسيكى اهتموا بالمسرحيات الشعرية على حساب أنواع الشعر الأخرى، وبلغوا بها مستوى تغذر بلوغه على من أتوا بعدهم، ولذلك فإن أبرز شعراء الفترة البطلمية ركزوا جهودهم فى أحياء الشعر غير المسرحي، وحتى حين أحيوا فنون الشعر القديمة، فعلوا ذلك بروح أدبية وعلمية جديدة، ويعزى إليهم فضل تحقيق الملاحم والأشعار الغنائية والمسرحيات ونشرها، وقد استخدموا مهارتهم فى دراسة مختلف الشعر

(1) نفسه، ص ص 51 - 53 ; Fraser, Ibid, p. 459 ; Lesky, Ibid, p. 728 .

(2) Idem .

وكذلك النثر، وتدل مقارنة النصوص التي نشرها أبرز نقاد الأدب في عهد البطالمة ومنهم زنودوتوس وأريستوفانيس وأريستارخوس، عن الطريقة التي كانوا يتبعونها، إذ جعلوا الأدب يرتكز على قواعد ثابتة تختلف عن ذلك الاتجاه النقدي التخيلي الذي ظهر بعدهم (1) .

ظهرت مدارس أدبية كثيرة من أهمها مدرسة أريستارخوس ومدرسة أريستوفانيس في فقه اللغة، وقد أحدث الأخير تقدماً في الأدب بفصل الفقرات في المخطوطات القديمة بعضها عن بعض، بالحروف الكبيرة وبعلامات الترقيم، وابتكروا العلامات الصوتية وعلامات الاستفهام، وما إليها من فواصل الكلام، واخترعت الأصوات التي تضبط القراءة في اللغة الإغريقية، وهي مدرسة لم تكن ترى أن لفظاً ما إغريقياً إلا إذا ورد في كتابات العصر الكلاسيكي، والأدب يدين لجهود هؤلاء بما بقي من النثر الأتيكي، وبواسطتهم جدت وحفظت الآداب الإغريقية (2) .

" . . . بدأ زنودوتوس تهذيب الإلياذة والأوديسة، واستمر أريستوفانيس عمله، وأتمه أريستارخوس، وكانت نتيجة عملهم هو النص الحالي لهاتين الملحمتين، وهم الذين شرحوا ما غمض فيهما شرحاً يدل على عمق الاطلاع، ذلك الاطلاع الواسع الذي انعكس في أعمال كاليماخوس النثرية والشعرية، وبوجه خاص في ديوان الأسباب وملحمة هقلي والأناشيد، فهي تتسم بطابع البحوث المكتوبة، والمهارة اللغوية واستخدام المفردات النادرة، بصورة تدل على حرصه في معالجة الموضوعات التي تبين اتساع ثقافته وغزارة علمه، وقد اكتسبت أشعاره وملحمة هقلي خاصة شهرة واسعة، وظل الناس يقرأونها ويشرحونها ويعلقون عليها حتى القرن الثالث عشر م " (3) .

لا أدل على الأثر الذي تركه أريستارخوس، بعد تركه للإسكندرية في عهد يورجيتس الثاني، من استمرار الدراسات الأدبية برغم الأحداث في عهد هذا الملك، والتي اتسمت بالتنسيق على العلماء، إذ استمرت الأبحاث برغم تلك الأوضاع، إذ تذكر البيانات أسماء أربعين من تلاميذه، ولما يتبين من تواريخهم أنهم لم تكن لهم صلة مباشرة به، فإن ذلك يعنى أن تأثيره ظل باقياً في الأجيال التالية، وأن

(1) وهبه، محمد حسن، محاضرات في الأدب الهيلينيستي، جامعة حلوان، 2007، ص ص 45-48 .

(2) Pfeiffer, Rudolff, Hist. of classical Scholarship Oxford press, 1998, p. 269; Fraser, Ibid, p.309 ff .

(3) Oxford History of The Classical (Oxford Uni. Press, 1986, p. 357; Blum, Rudolf, Kallimachus, (Trans. Hans H. Wellisch), Uni. Wisconsin Press, 1991, pp. 11 ff .

أنهم لم تكن لهم صلة مباشرة به، فإن ذلك يعنى أن تأثيره ظل باقياً في الأجيال التالية، وأن مؤلفات هؤلاء التلاميذ الأعلام كانت وفيرة، ولعل أبرزهم ديونسيوس الإسكندري التراقي الذى نشر شروحات وتعليقات على الأوديسة والألياذة، ووضع أول كتاب عن قواعد اللغة الإغريقية، وينتمي إلى أواخر القرن الأول على ثلاثة علماء آخرون هم ديدوموس وتروفون وثيون الإسكندري (1) .

من قراءة سير العلماء والأدباء الذين أقاموا في الإسكندرية، فإن معظمهم جاؤا من المدن الإغريقية في الوطن الأم، أو من آسيا الصغرى ومدن إقليم كيرينايا وجنوب إيطاليا، وهذا يدل على نجاح البطالمة في استقطاب أصحاب العقول، ومن الصف الأول يأتى أبولونيوس الرودسي الذى تولى منصب رئيس المكتبة الكبرى حوالي عشرين عاماً من 265- 245 ق.م، ويذكر عنه بأنه تلميذ الشاعر كاليماخوس، ومرى لبطلميوس الثالث عندما كان صبياً، والحدث الأبرز هو المعركة الشعرية التى نشبت بينه وبين أستاذه، وألف عدة قصائد من أشهرها ملحمة التى أثارت الجدل؛ الأرجوناوتيك، إذ نظمها فى ستة آلاف بيت مخالفة الاتجاهات الأدبية والنقدية المعاصرة لها، التى نبذت الملحمة واعتبرتها نمط شعري قديم، أدى دوره وأنتهى، ولم يعد ملائماً لطبيعة عصرهم واتجاهاته، فهى لاتشبه الملاحم إلا فى لغتها وأوزانها، أما موضوعها ومواصفاتها فوفقاً لاتجاهات التأليف فى العصر الهيلينيستى، ولهذا ابتكروا شكلاً أدبياً آخر يتفق مع ميلهم إلى الصقل، وهو المليحمة؛ وهى أقصر من الملحمة لا تزيد عن الثلاثمائة بيت (2) .

في طليعة الشعراء الذين وفدوا لمدينة الإسكندرية من كوس، الشاعر فيلتاس 320- 270 ق.م. وهو من اساتذة بطلميوس الثاني، ومن تلاميذه زودوتوس وهرمسيانكس وربما ثيوكريتوس، ولم يكن شاعراً فحسب، بل مُعلماً كذلك، قام بدور فى تنشيط الدراسات الأدبية فى بداية عهد البطالمة، ومؤسس لمدرسة شعرية لها أثرها، ومن أعضاء جماعة فيلتاس، وأبرز شعراء القرن الثالث ق.م. ثيوكريتوس الذى بدأ حياته ونشأ فى جزيرة صقلية، ثم تنقل بمدن إغريقية، وجاء إلى الإسكندرية 276 ق.م. واستقر بها بعض الوقت، وقال قصيدة فى مدح بطلميوس الثاني لأنه وجد فى قصرها الملكى ما يستحق من التكريم، جُل شعره ظل يصور حياة الريف حتى لُقّب بشاعر الرعاة، وهذا النوع من بين فنون

(1) Sarton, Ibid, pp. 237 – 8; Fraser, Ibid, I, pp. 335– 465; Pfeffer, Ibid, p. 269 .

(2) ديورانت، مرجع سابق، مج8، ج3، ص ص 240 – 241; The Oxford Classical Dictionary, 3 “Apollonios of Rhodos”, pp. 124– 126 .

الشعر التي ابتكرها شعراء الإسكندرية (1) .

على أيدي شعراء البطالمة وأولهم كاليماخوس الكوريني تطورت أنواع الشعر، ومنها الاييجرامات، واتسعت لتشمل عدة مجالات، وتصبح نمط للتعبير وتصوير ألوان متعددة من التجارب، ومن فنون الشعر الإغريقي الأخرى الشعر الحماسي والأناشيد الدينية، وكاليماخوس الذي تتلمذ على يد هرموقراطيس من ياسوس ثم انتقل إلى الإسكندرية ليعمل بالتدريس، كان شاعراً بارعاً وصل الكثير من شعره، ويعتبر أفضل من يمثل شعراء الفترة؛ ناظمي القصائد الدينية، وتتميز قصائده بالمعلومات، نتاج ما قام به من البحث العلمي، ومن أبرز سمات شعره كثرة الأوزان التي أستحدثها، وإن شعراء المرحلة وبخاصة كاليماخوس أخضعوا علم العروض لقواعد أدق مما أتبعه أسلافهم، وبدأ الانقسام واضحاً إلى مدرستين رئيسيتين؛ أحدهما مدرسة كاليماخوس، والأخرى مدرسة أيولونيوس (2) .

في ديوان الأسباب تناول كاليماخوس سلسلة من الأساطير تتصل بتاريخ الإغريق وتفسر أصول ونشأة مدنهم " يبدأ الديوان بحلم يرى فيه الشاعر نفسه وقد انتقل من كوريني إلى جبل هليقون في بويوتيا ببلاد الإغريق، حيث لقنته ربات الشعر أيضاً من الأساطير، ويعبر عن الانتماء عنده حنينه الدائم إلى مسقط رأسه كوريني، وتتمثل هذه المشاعر ليس فقط في أنه استخدم في نشيده الخامس والسادس اللهجة الدورية الشائعة الاستعمال في كوريني، بل كذلك في أن نشيده الثاني موجه إلى أيولو كبير آلهتها، وفي أن نشيده الأول موجه إلى ارتميس الأخت التوم لأيلول، والنشيد الثالث موجه إلى زيوس، وكان رب الأرباب ووالد أيولو وأرتميس، ونشيده الرابع عن ديلوس وهي التي شهدت مولدهما، ونشيده السادس موجه إلى ديمتر وهي التي انشئت عبادتها في المدينة منذ تأسيسها، وكاليماخوس يناقش في نشيده إلى زيوس الروايات السائدة عن مولد الإله ويفندها كناقذ يعرف أصول علم النقد، وأخذ يكتب تراويل ونكات شعرية ومدائح تنم عن فطنة مثل خصلة برينيكى، وقصائد إرشادية أحتوت كثير من المعارف العلمية في الجغرافيا والأساطير والتاريخ " (3) .

(1) Idem

(2) المسلمى، عبدالله، كاليماخوس القوريني "شاعر الإسكندرية"، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب، 1973، ص ص 14 - 17، 70 - 71 .

(3) Fraser, Ibid, pp. 226 ff .

إن أدباء البطالمة كانوا رواد النهضة العلمي، ولهذا فثمة سمة من أهم سمات أدب المرحلة، وهي مجاراتهم لركب العلمية الذي شهدته الفترة الهيلينيسية في مختلف فروع العلم، ولما كان العهد هو عصر الكشف العلمي بعد أن سيطر الفكر النظري، والإقبال على التطبيق العملي للنظريات والتجربة، وظهر كثير من العلماء البارزين، ولما كان الأدباء يعيشون وسط هذه البيئة، فمن الطبيعي أن يتأثروا بما حولهم من طفرة علمية، وكان عليهم أن يسايروا حضارة عصرهم، بحيث نتج عن ذلك اصطباغ أبحاثهم بالروح العلمية السائدة، ولقد استتبع ذلك الاتجاه أن تنافس الأدباء في الاطلاع، بحيث أصبحت الثقافة العلمية من سمات أدبهم، وكذلك كان للدراسات، واتخاذ الأدب حرفاً، أن نما الاتجاه العلمي وأصبح التخصص مرغوباً، والعلمية هدفاً ومطلباً، ولتلك الأسباب مجتمعة نشطت الكتابة الأدبية العلمية (1) .

إن أشهر شعراء العصر البطلمي أقاموا في الإسكندرية وقامت بينهم المنافسات الأدبية والنقدية، وبين القديم والجديد، وكافة أشكال الشعر الإغريقي باستثناء الكوميديا تأثرت بالشعر السكندري في هذا العهد، وأصبح لابد على كل باحث أن يلم بتطور الإنتاج الأدبي فيها، حتى أطلق على أدب الفترة (الأدب الإسكندري) وذلك لشدة تأثير مدارسها على الإنتاج الأدبي في العالم في ذلك الوقت، بما في ذلك الأدباء الرومان، الذين كانوا يحاكون نماذج الآداب الإغريقية (2) .

أصبح الشعر السكندري يميل إلى الواقعية، ويتجنب الشائع، ومن ثم فإنهم سعوا إلى اختيار موضوعات غير مسبوقة، أو قابلة للتناول من زاوية جديدة، وتتضح السمة الأخرى في الميل نحو البساطة، مما كان يدفعهم إلى أن يتفادوا قدر الاستطاعة الأوزان المعقدة، ويبتكروا أوزاناً جديدة، ولهذا فإن أغلب أدب الفترة اتسم بالكيف دون الكم، والميل إلى الصقل، والمبالغة في الإتقان، وعالجوا نقص الإلهام بزيادة الاطلاع والمعرفة، ورأوا أن مقدرتهم مهما كانت ضئيلة بالقياس إلى أسلافهم، إلا أنها ستبدو لو وجدت نفسها في اتجاه يناسبها ويواكب عصرها، وهذا يدل على ثقة ومسايرة للواقع (3) .

(1) إبراهيم، محمد حمدي، مرجع سابق، ص ص 142 - 148 ; Haowatson. M. C., The Oxford Companion to Classical Literature, 2nd, Oxford Uni, Press, 1997, p. 563-564 .

(2) Beye, R. & Harles, G., An Cient Greek Literature and Society, Anchor Books, New york, 1975, pp. 334- 335 .

(3) برهيه، إميل، الأدب الهيلينيسى الرومانى، (ت جورج طرابيشى)، بيروت، دار الطليعة، 1982، ص 50 : بل، إدريس، مرجع سابق، ص ص 119 - 121 ؛ برهيه، إميل، الفلسفة الهيلينيسية والرومانية، (ت جورج طرابيشى)، بيروت، دار الطليعة، 1983، ص 31 .

كتب اليهود الهيلينيسيون وقتئذ بالعبرية والآرامية وبالإغريقية روائع، دونوا معظمها في الإسكندرية، وبعضها مدائن شرق المتوسط، فقد ألف أدباء يهود ما عُرف بنشيد الإنشاء الجميل الذي حوى نصوص إغريقية من سافو إلى ثيوكريتوس، وافتتحت المدارس لدراسة أسفار موسى والشريعة وتفسير القوانين الأخلاقية للشباب الناشئين، وانتقلت هذه الشروح والتعليقات والإيضاحات من المعلمين إلى الطلاب جيلاً بعد جيل، وقبل أن يختتم القرن الثالث كان علماء المجمع العظيم قد فرغوا من نشر الأدب القديم، وقامت طائفة من علماء اليهود بالإسكندرية في عهد بطلميوس الثاني على الأرجح بترجمة التوراة إلى اللغة الإغريقية، ونشأت مدارس لدراسة الدين اليهودي دراسة فلسفية بين اليهود، وأخرى لتدريس العلوم والمعارف (1) .

أما عن الدراسات الفنية ومدارس الفنون فقد ظهرت الكثير من النصوص الأدبية التي تتحدث عن الموسيقى القديمة، وتفصح بمعلومات دقيقة عن تدريب وتعلم الموسيقى، وبدأت دراستها في هذا العهد تتأثر بالذوق الإغريقي، وترتب على ذلك أن أصبحت بعض الآلات الموسيقية مفضلة على غيرها، وإن كان ذلك لم يمنع من استمرار استخدام الآلات القديمة، كما ظهرت آلات جديدة لم تكن معروفة من قبل، كما كانت هناك محاولات لاكتشاف ودراسة عناصر الموسيقى القديمة، وقام كلوديوس بطلميوس وهو أحد علماء الرياضة والفلك بالإسكندرية في القرن الثاني م بعمل ملخص لنتائج الأبحاث الموسيقية في عصره والعصور السابقة، وكانت الدوائر العلمية والأدبية بطبيعة الحال تعنى بأصول المسرحيات التراجيدية والكوميديّة، ومن بين مؤلفي التراجيديا الذين يطلق عليهم لقب يليادس Pleiades عدة شعراء يوصفون بأنهم عاصروا فيلادلفوس مما يوحي بأنه كانت لهم صلة بالإسكندرية، ولا يُعرف عن أعضاء هذه الجماعة أكثر من أسمائهم وأسماء مسرحياتهم، ويبدو أن ماخون Machon الكورنثي كان الشاعر البارز الذي ألف مسرحيات كوميدية، وينتمي نشاطه إلى منتصف القرن الثالث ق.م، ولا بد أنه كان للفنانين البارزين أتباع وتلاميذ تلقنوا أصول الفن على أيديهم وهو ما نستخلصه من استمرار الطراز والمسرح الإسكندري طوال عصر البطالمة (2) .

(1) Tarn, Alexander the Great, 2 Vols, Cambridge: Uni. Press, 1948; Haowatson, Ibid, p. 371 .

(2) ديورانت، مرجع سابق، مج8، ج3، ص 341 ؛ عثمان، أحمد، مرجع سابق، ص 27؛ نصحي، تاريخ التعليم في عصر البطالمة، ج4، ص 412 - 413 .

لا شك في أن كل المدن البطلمية توجد بها مسارح وتعرض مسرحيات للكتاب الإغريق الكلاسيكيين، ومنهم على سبيل المثال الكاتب إسخيلوس الذي غير الأدب عندما عرض أفكار الحوار والشخصيات المتفاعلة إلى الكتابة المسرحية، وفي قيامه بذلك اخترع أساس الدراما، ومن المسرحيات الأخرى المختارة لسوفوكليس ويوريبيدس، ويرجع الفضل إلى سوفوكليس في تطوير السخرية كأسلوب أدبي، وعلى العكس كانت مسرحيات يوريبيدس تتحدى الأعراف والعادات، أما أرسطوفانيس وهو كاتب مسرحي هزلي دعاه بطلميوس إلى الإسكندرية ولكن لم تسنح له الظروف بتلبية الدعوة، حاول أن يحدد ويشكل فكرة الكوميديا كما شكل إسخيلوس التراجيديا كشكل فني (1) .

ظهرت في الإسكندرية مدارس للنحت ذات مميزات فنية خاصة تختلف عن سائر مدارس الفن الهيلينيستي، وتميزت بفنها، ولكنها تأثرت بالفن الإغريقي القديم، الذي أخرج أكثر من هذا المستوى، ومن أسباب ذلك أن كل مثال كان ينتمي إلى مدرسة بعينها، وأن له مكاناً في تصنيف طويل من الأساتذة والطلاب يتوارثون إبداع فنههم، خاصة بأعمال فنانيين ابتكروا مدارس في النحت مثل براكستيليز وسكوباس وليسيبوس، وتكشف دراسة النحت في عصر البطالمة عن أن أغلب المنحوتات كانت إغريقية في طرازها وإن اختلفت فيها العناصر، مثل تمثال يصور ملك أو ملكة من أسرة البطالمة بطراز مصري، فكما شُغف البطالمة بالعلم شغفوا بالنحت وحماس الفنانين لتخليد الأبطال أثناء تعليمهم، وكانت مدارس النحت والفنون اهتمت بدراسة التشريح الحركي، وكان التعلم في هذه المدارس يحتاج لإمكانات ونفقات باهظة وكذلك سنوات طويلة، والدراسة عملية أكثر منها نظرية حيث كانوا يلتزمون في أكثر الدروس بملاحظات المعلمين ومشاهدة الرياضيين البارعين في مدارس الألعاب وميادينها، وكانوا يتعلمون على استخدام جميع المواد، وأصبح يُدرس التصوير الذي صار فناً مستقلاً بعد أن كان مكملاً لفنون أخرى، وغداً أساتذته يستدعون لأداء أعمال فنية كاملة، وألهمت فنون النحت والتصوير خيال المجتمع وعبرت عن رقى وذوق فني ومعماري (2) .

(1) الإيجرامات ومفردها إيجراما Epigramma هي قصائد قصيرة تنظم لتتقش على نصب جنازي، أو على إهداء مقدم إلى أحد الآلهة، وهي أقدم ما عُرف من فنون الشعر الإغريقي، وتنوعت من حيث الموضوعات والصياغة، حيث أنها أصبحت شكل جديد من الأدب . الموسوعة المصرية، مج1، ج2، ص ص 586-587؛ ديورانت، مرجع سابق، مج2، ج2، ص ص 147-153؛ نفسه، ص ص 122-124 .
(2) نفسه، مج2، ج3، 8، ص ص 125-132 .

2- الدراسات والعلوم الانسانية :

فى الدراسة التاريخية برز العديد من المؤرخين منهم؛ كالليستينيس الأولنى **Callisthenes of Olynthos** مؤرخ غزوات الإسكندر الأكبر فى مؤلف بعنوان إنجازات الإسكندر، واعتبر من الأعمال الأكثر انتشاراً فى العالم القديم، ومن مؤلفاته قوائم بأسماء الفائزين فى الألعاب الأولمبية منذ نشأتها، وعملاً آخر عن تاريخ الإغريق من عشرة أجزاء، ومن مؤرخى العصر البطلمى هيكاتيوس الأبدىرى 360-290 ق.م. ألف عملاً عن تاريخ مصر بعنوان المصريات **Aigyptiaka**، اتبع فى كتابته الترتيب الزمنى، واستند عليه مؤرخين آخرين منهم المؤرخ اليهودى جوزيفوس والإغريقى يوسيبوس فى الكتابة عن تاريخ مصر القديمة، وتأثر بهذا الكتاب ديودورس الصقلى عند كتابته للجزء الأول من مؤلفه المعروف، وألف عملاً آخر يدور حول شعب خرافى يعيش فى جزيرة شمال غرب أوربا (1) .

من مؤرخين الفترة البارزين أبوللودورس الأثينى **Apollodorus of Athens** 180-120 ق.م. تتلمذ على ديوجينيز الرواقى **The Stoic Diogenes**، وأكمل دراسته على يد عالم اللغة أريستارخوس، ألف عملاً تاريخياً بعنوان **Chronicle** غطى فيه العصور منذ سقوط طرواده حتى عام 145 ق.م. وقد اقتبس جزءاً من تاريخه من أبحاث إراتوستينيس، وكتب عملاً تاريخياً آخر عن الآلهة فى 24 جزءاً، وهو بحث موسوعى جمع فيه كل جوانب العقائد الدينية، مستدلاً بمنهج المدرسة الرواقية فى التفسير العقلانى بعيداً عن الخرافات، وكتب كتاباً علمياً من اثنى عشر جزءاً عن شعر هوميروس، واستفاد سترابون من هذا الكتاب فى مؤلفه الجغرافى، وأرخ للأدب والشعر أيضاً بأسلوب نقدى تضمن تعليقات على قدماء الشعراء، ويعتبر هيسيخيوس الإسكندرى **Hesychius** من أبرز مؤرخى الإسكندرية الذين تأثروا بمدرسة إسقراط، كتب عن الإسكندر الأكبر، ولايعرف ما إذا كان قد استقى معلوماته من مصادر موثوقة، ومع هذا فقد احتلت كتاباته المكانة الأولى لفترة، إلى أن وضع أريانوس كتابه عن الإسكندر واعتمد فيه على مصادر أكثر دقة، ولم يصل شئ مما كتبه هيسيخيوس إلا عن طريق ديودوروس وكوريتوس اللذين اعتمدا عليه فيما كتبا، وكتب مؤرخ آخر وفد من لاكيدايمون هو سوسيبيوس، فى تاريخ أسبرطة، وبقيت شذرات من مؤلفه التاريخى، ومن مؤرخى القرن الثانى المؤرخ كاليكسينوس من رودس، كتب عن

(1) Howatson, Ibid, p. 345; Pfeiffer, pp. 253-258 .

الإسكندرية، وقد أخذ عنه أثيناوس ما كتبه عن أحتفالات البطولمايا، ويوجد معجم يُعرف بإسم سويدس يعود للقرن الخامس م. اعتمد عليه كثيرون فى دراسة المؤلفات الإغريقية، ويعد أحد جهود علماء الإسكندرية، لحفظ فقرات من المؤلفين القدامى الذين ضاعت نصوصهم الكاملة، والأهم فيه نتائج دراسات علماء البطالمة (1) .

حتى حوالي منتصف القرن الثاني كان المؤرخين الذين كتبوا عن الأحداث الرومانية، دونوا معظم مؤلفاتهم بالإغريقية، ويفسر ذلك بعاملين، وأحدهما هو أن كل تلك المؤلفات التاريخية التي نشرت حتى ذلك الوقت كانت إغريقية، وأما الآخر هو أنهما لم ينشدا نشرها بين المتعلمين الرومان فقط، وكانوا عندئذ يستطيعون قراءة الإغريقية، بل أيضاً الرد على المؤرخين الإغريق، الذين كتبوا تاريخ الحروب البونية من وجهة النظر القرطجية، وكان كتاب البطالمة كذلك، هم من قسموا تواريخ هيرودوتس إلى تسعة كتب، وكتاب ثوكيديديس في حرب اليلوبونيز إلى ثمانية، وجمهورية أفلاطون إلى عشرة (2) .

من المدونات التاريخية القيمة التي ظهرت فى العصر البطلمى إيجيبثكا، الذي تضمن تاريخ مصر الفرعونى حتى القرن الثالث ق.م. وتقسيمته لملوك مصر إلى الأسرات الحاكمة والعصور التاريخية تُعد الأهم فى علم الإيجيبثولوجى، وهذا العمل الهام قام به المؤرخ المصرى مانيثون، وحاول جهده أن يوثق أصدق صور الحياة المصرية وأقربها إلى الواقع، وقسم الحكام المصريين ثلاثين أسرة، ولا أدل على عنايته فى بحثه بتحري الحقيقة وعلى قيمة مؤلفه، من أن هذا المخطوط القيم ظل أمدأ مرجعاً أساسياً يعتمد عليه المؤرخون اليهود واللاتين، لإثبات تواريخ الأحداث التي وردت فى التوراة، والباحثون فى تاريخ مصر القديم يعتبرون أن تاريخ مانثون ظل سنداً موثقاً يعتمد عليه (3) .

سجل الجغرافيون دوراً فى التطور العلمى للإسكندرية، ويحتل إراتوستينيس الكورينى 275-194 ق.م مكاناً مرموقاً فى مجال الجغرافيا والجغرافيا التاريخية، وأهم أبحاثه بحث فى قياس أبعاد الأرض، والآخر كتاب يدعى علم الجغرافيا، وقد ولد هذا العالم فى كورينى، حيث درس على كاليماخوس، ثم تابع دراسته فى أثينا حتى حوالي عام 246 عندما استدعاه بطلميوس الثالث لرئاسة المكتبة الكبرى، كان الجغرافى

(1) نصحى، تاريخ الرومان، ج1، ص ص 420 - 422 .

(2) نفسه .

(3) Oxford Class. Diet, Siv. Manethon .

الأول، لكنه كان عالماً موسوعياً، له مؤلفات كثيرة فى الرياضيات والفلسفة والتاريخ والنقد الأدبى وعلم الفلك وعلوم اللغة، وأهم أعماله فى الجغرافيا، أولهما عن قياس الأرض، وفيه استطاع أن يتوصل إلى قياس دقيق لمحيطها، والثانى بعنوان الجغرافيات Geographica فى عام 184 ق.م. مكون من أجزاء بين فيه أخطاء مناهج من سبقوه فى الكتابة الجغرافية، وقد كان لهذا الكتاب أثر طويل المدى فىمن اشتغلوا بالتاريخ من بعده إلى حد أن أبولودوروس الأثينى اتخذه بعد حوالى قرن أساساً لرسالته فى التاريخ، وبحسب المعلومات عن إراتوستينيس أنه تلقى العلم على معلمين أفذاذ منهم زينون الرواقى Zenon وأرسيلوس المتشكك Arcilous وكاليماخوس الشاعر وليسنياس النحوى، وتأثر بمنهج أرخميدس الرياضى (1) .

يذكر الإسكندرى بأن تاريخ إراتوستينيس يستبعد لأول مرة التاريخ الأسطوري للإغريق استبعاداً كاملاً، ويبدأ منذ الاستيلاء على طروادة حتى وفاة الإسكندر، ويذكر عنه بأن هوميروس لابد قد عاش فى وقت سابق على هجرة الأيونيين لأنه لم يرد فى شعره ذكر للأعلام المعروفة بينهم، مثل حفلاتهم المشهورة التى تعرف بحفلات الأيونيين الجامعة، وأستخلص من الفارق فى المعلومات الجغرافية بين هوميروس وهسيودوس أن أولهما أقدم عهداً من الآخر، وفى رأيه أن الأشعار الهومرية لم يقصد بها تعليم الناس بقدر ما قصد بها الترويح عنهم، وطلب إلى الإغريق أن يتخلوا عن تقسيمهم الضيق لبنى الإنسان، وأعلن أن الناس يجب أن يقسموا أفراداً لا أقواماً، وقال إنه يرى أن كثيرين من الفرس والهنود قوم ظرفاء، وأن الرومان قد أظهروا أنهم أكثر استعداد من الإغريق للنظام الاجتماعى والحكم الصالح، ولكن لم يكن يعرف إلا القليل عن شمال أوروبا وآسيا، وكان علمه بالهند أقل، ولكنه أول جغرافى ذكر الصينيين فى كتبه، وقد ورد فى فقرة " لو أن أتساع المحيط الأطلنطى لم يقم عقبة فى سبيلنا لكان من السهل علينا أن ننتقل بطريق البحر من أيبيريا إلى الهند متتبعين دائرة واحدة من دوائر العرض " (2) .

أحتوى كتاب إراتوستينيس قدراً كبيراً من المعلومات الأدبية والحضارية، ولم يتبع طريقة الاسترسال فى سرد الأحداث التاريخية، وإنما أعطى كتابه طابع الجداول متوخياً الدقة، فكان بذلك أول من وضع نظاماً لتأريخ الأحداث ليست للأساطير مكان فيه، وأنشأ باستخدام زوايا الظلال مناطق فاصلة بقدر واسع، ولذلك

(1) ديورانت، مرجع سابق، مج2، ج3، 6، ص ص 152 - 153 .

(2) نفسه، 154 .

يعزى توفيقه في الجغرافيا إلى كفايته الأدبية وعقليته العلمية، ومقدرته في الرياضيات، ويذكر أسترابون أكثر ما يذكر عن البحوث الجغرافية التي قام بها (1) .

تصدر إراتوستينيس كل الجغرافيين القدامى حتى العصر الروماني، وفي رأي العديد من الباحثين أن ما أنتجه وكتبه في الجغرافيا هو الأهم، فهذا العالم صححت أعماله أغلب أخطاء الجغرافيين الذين سبقوه، وبعوثه توصلت إلى وضع خريطة للعالم اكتسبت أهمية فترة طويلة، وقدّر محيط الأرض تقديراً مدهشاً، وبعد تقديره لطول محيطها، قدّر طول قطرها ب 7850 ميلاً، والتقدير الحديث هو 7900 ميل!! فلم يقدّم أحد في بلاد البطالمة بكشوف وبعثات جغرافية علمية قبل النصف الثاني من القرن الثالث ق.م. عندما قام ببعثته الجديدة (2) .

ظهر خلال هذه الفترة نوعان من التأليف يتسمان بطابع جغرافي، أحدهما هو ما كتبه المستكشفون والآخر المؤلفات التي عنيت بنشأة المدن والجزر الإغريقية والأساطير المتصلة بذلك، وقد أضاف النوع الأول مواد قيمة للجغرافيا بما أضافه من المعلومات عن العالم المأهول، ولاشك كان ذلك ثمرة البعثات التي أوفدها البطالمة لأغراض تجارية وعسكرية، وقد كان ما كتبه أولئك المستكشفون أحد المصادر الهامة التي اعتمد عليها إراتوستينيس ومن جاء بعده، وإذا كان لا يُعرف أن أغلب قواد هذه البعثات ألفوا كتباً، فإنه يُعرف أن أولهم هو فيلون الذي وضع تقريراً عن رحلته إلى أعالي النيل، وأن أريستون كذلك وضع تقريراً عن رحلته التي قام بها حوالي عام 280 للتعرف على شواطئ بلاد العرب حتى مضيق باب المندب، ولعل أفضل نوع من المؤلفات من حيث الفائدة العملية كان الكتاب الذي صنفه تيموستينيس الرودسي؛ وصف فيه شواطئ البحرين الأحمر والمتوسط وأورد المسافة بين كل ميناء وآخر ابتداء من أثيوبيا حتى الطرف الغربي للمتوسط، ويعتبر فيلوستيغانوس Philostephanos الكوريني أبرز مثل للنوع الثاني، ويتجلى في كل ما كتبه تأثره باتجاهات أستاذه كاليماخوس، وانتاج فيلوستيغانوس الرئيسي عن مدن العالم الإغريقي وجزره، حيث عنى بوجه خاص بأساطير نشأتها، ولم تصل من هذا المخطوط إلا شذرات، وقد اتبع أسلوبه مؤلف آخر يدعى مناسياس Mnaseas كتب في مطلع القرن الثاني (3) .

(1) نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ج4، ص ص 267-268 .

(2) نفسه .

(3) إبراهيم، محمد حمدي، مرجع سابق،

جغرافيون آخرون يذكرون منهم اجثارخيديس *Ajtharkhides*، والمؤلفان التاريخيان اللذان صنفهما؛ أحداث في آسيا، وأحداث في أوروبا، يتضمنان مادة جغرافية وفيرة يعتقد أن ديودورس استمد منهما مادته، بيد ان شهرة أجثارخيديس بوصفه جغرافياً تستند إلى كتابه عن البحر الأروثري (الأحمر) وكان يقع في خمسة أجزاء، ويزخر بمعلومات قيمة في مجالي الجغرافيا الوصفية والبشرية (1) .

يعد كتاب الدليل الجغرافي لكلاوديوس بطلميوس *Clauddius* من أهم الكتب التي أثرت في تاريخ الفكر الجغرافي وفي رسم الخرائط ما بين 127-128م. بنظام خطوط الطول والعرض، لذا فإن بطلميوس رائد تحديد المواقع جغرافياً وفقاً للخطوط، وقد عزز خرائطه التي بقي منها 13 خريطة بالدليل الجغرافي المكون من 8 كتب، وقد استعرض في كتبه تلك خرائطه التوضيحية للأقاليم القديمة، فهذا الكتاب مفيد لمعرفة جغرافية العالم القديم في النصف الأول من القرن الثاني م (2) .

إراتوستينيس بكونه عالماً في الرياضيات فقد ألف كتاباً يدعى الأفلاطوني بسط فيه آراء أفلاطون في الرياضيات، وعبا ذلك لم يكن للأفلاطونية من يمثلها في الإسكندرية خلال القرنين الثاني والثالث ق.م، وعلى العكس كانت المدارس الكورينية وفلاسفتها أكثر شهرة ونشاط فلسفي (3) .

في الواقع شهدت الإسكندرية في بداية الشطر الأول من عصر البطالمة شيئاً من النشاط الفلسفي حين وفد إليها عدد من المشائين مثل ديمتريوس الفاليري واستراتون ويراكسيفانيس وديقايارخوس، وبعض أتباع المدرسة الكورينية مثل ثيودوروس، ومن أتباع مدرسة مجارا الفيلسوف الجدلي ديودوروس، والفيلسوفان الرواقيان سفايروس ويوسيدونيوس الإسكندري تلميذ زينون، والفيلسوف الايبقوري قولوتيس، كما نشط في الإسكندرية عدد آخر من الفلاسفة الجدليين، ولكن الواقع لا يدل على أنه كان لأي من هؤلاء شهرة مقارنة بفلاسفة المدارس الكبرى في أثينا أو حتى كوريني، أو أنه على الأقل كان لأية مدرسة من هذه المدارس شاطراً ومركزاً ثابتاً سواء في القرن الثالث والثاني ق.م. وقد ظلت الإسكندرية تجتذب إليها البارزين من رجال العلم والأدب على نحو ما كانت أثينا تجتذب إليها البارزين من الفلاسفة، ويقابل الركود في هذين القرنين نشاط ملحوظ في القرن الأول إلى العهد الروماني (4) .

(1) ديورانت، ج3، مج2، 8، ص ص 149-150 .

(2) Plin, XXXVIII, 108; Fraser, Ibid. pp. 553- 674 . (3) Idem .

(4) Maspero, C., Horapollon et la fin du Paganiame Egypticn, Bifao, II, 1913, p. 184 .

كان من شأن سهولة الاتصال بين مختلف أرجاء العالم الهيلينيستي تأثر مراكز النشاط العقلي ببعضها، وطلّاع فلاسفة الإغريق كانوا يترددون على روما ويلقون فيها محاضرات في المنطق وما وراء الطبيعة، وفي مجال الدراسات القانونية التي تكشف عن عبقرية للرومان لم تخل اتجاهاتها من تأثيرات إغريقية، ولا عجب أن ظلت أثينا تجتذب إليها الفلاسفة كما اجتذبت الإسكندرية إليها طلاب العلم، ذلك أن تلاميذ أفلاطون استمروا يتابعون بنشاط بحوثهم في أكاديميته، وأن تلاميذ أرسطوطاليس حولو اللوكيوم إلى مركز للدراسات الفلسفية، وأن هذين المعهدين تمتعا بمكانة كان من شأنها توطيد دعائمهما والتأثير على تطور الفلسفة الإغريقية، وفي الوقت نفسه ظهرت في أثينا مدرستان أخريان كان مقدراً لهما أن تسيطر على الفكر الهيلينيستي، هما الرواقية والأبيقورية (1).

من بين تلاميذ المدرسة السقراطية برز أرسطوبوس الكوريني، والذي يعتبره من علامات هذه المدرسة الشهيرة، لأن آرائه الصريحة والبسيطة أثارت الجدل، وكان قد أتم تعليمه العالي في أثينا، وبعد موت استاذة سافر إلى مدن متفرقة، وآخرها رودس، ورجع آخر الأمر إلى كوريني، وقضى حياته معلماً للفلسفة، وقد خلفته ابنته في مدرستها سنة 356 ق.م. وألفت أربعين كتاباً، وكان لها تلاميذها، وحببتها كوريني قبرية مشرفة " ضياء هلاس " (2).

في عام 193 ق.م. جاء كردنياس من كوريني، وتولى الأكاديمية الشهيرة؛ لوكيوم أثينا، وبعد أن قام على رأس المجمع العلمي تخرج على يديه الكثير من التلاميذ من نابلي وبوثينا وصور وسولى والإسكندرية ولاريسا، وهذه بعض من الأسماء التي وجدت في الثبت الهرقولانى لخريجي الأكاديمية العريقة، وكان كرنيداس أوصل عقيدة التشكك العام إلى العدمية الذهنية والأخلاقية، وفند واقعية الرواقيين المادية ببحثه التحليل الأفلاطوني- الكانتي في الحواس والعقل، وهاجم كل النتائج المنطقية، ووصفها بأنها لا يستطيع الدفاع عنها عقلياً، وأمر طلابه أن يقنعوا بالاحتمالات ويرضوا بعبادات زمانهم، وأرسلته أثينا على رأس بعثة سياسية إلى روما ادهش مجلس شيوخها عندما خطب مدافعاً عن العدالة، ثم خطب في اليوم التالي مستهزئاً بها وواصفاً إياها بأنها حلم غير عملي (3).

(1) الموسوعة الشاملة، " العصر الذهبي للفلسفة- المدارس السقراطية " ص ص 330 - 345؛ ديورانت، ج3، مج2، 8، ص ص 188-189

(2) الموسوعة الفلسفية، (لجنة من العلماء الأكاديميين)، بيروت، دار الطليعة، ط1، 1974، ص 90.

(3) بدوى، مرجع سابق، ج1، ص ص 12 - 16.

حتى نهاية القرن الرابع م. عندما برزت في جامعة الإسكندرية الفيلسوفة هيباثيا، وهى ابنة الرياضى والفلكى ثاون السكندرى الذى كان استاذاً للرياضيات، وضع شرحاً لكتاب بطلميوس؛ المجسطى، وأعاد مراجعة وتلخيص مخطوط العناصر والبصريات لإقليدس ليكون أسهل للطلاب، وألف كتاب فى الفلك، ومن أرصاده الفلكية رصده لكسوف الشمس فى سنة 365 م. والأبنة هيباثيا صارت استاذة الفلسفة والرياضيات وفيهما تخصصها الأساسى كذلك، وقد ألفت شرحاً على الأرتماطيقى للرياضى زيوفنطس، وكتبت عن القانون الفلكى، وشرح عن القطاعات المخروطية لأبولونيوس البرجاوى، وكانت ضمن هيئة العلماء بالجامعة، وبالإضافة للرياضيات برزت فى تدريس الفلسفة الأفلاطونية المحدثة، والمرجح أنها درّست مؤلفات أفلاطون وأرسطو وغيرهما من الفلاسفة، وكانت أيضاً مستشارة سياسية وفد إليها سياسيون مهتمون بالمسائل العامة، وكان لها تلاميذ مميزون جاؤا من مدن إغريقية عديدة " (1) .

من أشهر تلاميذها الفيلسوف البرقاوى سونسيوس الذى أتم دراسته فى الإسكندرية، وكان يعبر فى رسائله عن هذا الإعجاب والتقدير لاستاذته ولمدرسة الفلسفة بالإسكندرية " لم يبق لأثينا شئ رفيع سوى أسماء البلاد المشهورة، فالיום قد تلقت مصر وصانت الحكمة النافعة من هيباثيا " ويصفها بصاحبة الفضل - الرسالة رقم 157-ترجمة دروون- وفى الرسالة رقم 138 المؤرخة سنة 395 م من كورينى- يقول عنها " كم كانت رائعة رحلتنا المشتركة! لقد مكنتنا من أن نحقق ما لم تستطع الشهرة وحدها أن تقنعنا به: لقد شاهدنا وسمعنا تلك التى تملك ميزة النفوذ إلى أسرار الفلسفة " وهذا النص لا يدل على قيمة هيباثيا العلمية فحسب، بل على المكانة التى تحظى بها الإسكندرية كمركز للعلم والتعليم، وإنها كانت لا تزال منافساً قوياً حتى ذلك الوقت، وتلك المنافسة المستمرة تحدث عنها سونسيوس فى رسائله عندما زار أثينا وكتب عنها " إن رحلتي إلي أثينا سثريحني من إكبار أولئك الذين يتعلمون فى أثينا ويعودون إلينا، إنهم لا يختلفون فى شيء عنّا نحن بنى الإنسان العاديين، إنهم لا يعرفون أرسطو وأفلاطون خيراً منّا، ومع ذلك فهم يسرون بيننا كما لو كانوا أنصاف آلهة بين دواب " (2) .

(1) Dzielska, Maria, Hypathia of Alexandria, Uni of California press, 1955, pp. 50- 49; Tannery, P., Hypatia, 2ieme annee, tome II, P. Marrou, Ibid, p. 406 .

(2) بدوى، مرجع سابق، ج 1، ص ص 63- 64 .

3- الدراسات والعلوم الطبيعية :

في دراساتهم وأبحاثهم الفلكية وصل علماء البطالمة إلى مستوى متطور للغاية، وأتصل علم الفلك عندهم بالهندسة، وتعاملوا معه كفرع من الرياضيات، ووضعت النماذج الهندسية الأولى ثلاثية الأبعاد لشرح حركة الكواكب في القرن الرابع ق.م. على يد يودوكس كنيديوس وسزيكس كاليبس وهيراكليديس، وبدأ علم الفلك كعلم له قواعده وأصوله بجهود كل من أريستيللوس وتيموخاريس عندما أنشأ مرصداً فلكياً في مبنى ملحقاً بدار العلم وقاما فيه بأبحاث قيمة برغم أن الأجهزة التي استخدمها بسيطة، وبفضلهما تم تسجيل أول قائمة لمواقع النجوم حسب قياسها من نقاط معينة، وكانت قبل ذلك تعرف بالوصف، وقد ساعد ذلك كثيراً في تحقيق الظواهر الفلكية (1) .

في أوائل القرن الثالث ق.م كان أريستارخوس الساموسي أول من أشار إلى نظام شمسي، وهو عالم من رواد الدراسات الفلكية، نادى بنظرية دوران الكواكب التي ذكرها هيراكليديس، وذكر معلومات عن حجمها والمسافات بينها، وقام برصد الانقلاب الصيفي في سنة 182 ق.م، ووضع رسالة عن أحجام الشمس والقمر وأبعادهما، والقياسات التي قام بها بطريقة النسب، وهي طريقة ممثلة في حساب المثلثات، فوضع الأسس الأولى لهذا العلم، وابتكر مناهج هندسية جديدة ومعقدة لكي يصل إلى هذه النسب، ووضع كتاب اشتمل على عدة افتراضات، واستنتج منها أن حجم الكون الحقيقي أكبر من الذي سبق ذكره بمرات، وتعتمد افتراضاته على أن النجوم والشمس تبقى ثابتة، وأن الأرض تدور حول الشمس، وأن كرة النجوم الثوابت متحدة في المركز مع الشمس، واعتبر أن الكون لانهاى (2) .

كانت أهم بحوث استراتون، أستاذ بطلميوس الثاني وأريستارخوس في الفلسفة الطبيعية مما أكسبه لقب (الطبيعي)، ويبدو أنه بفضل نظريته عن الفضاء قد أثر في فرعين من فروع العلم، وهما الطب وعلم الهوائيات المضغوطة عن طريق اكتسيبيوس الأكبر الذي عاش في عهد بطلميوس الثاني، وأبرز من اشتغلوا بهذا العلم وتطبيقاته العملية، وقد وضع كتاباً وصف فيه تجاربه واختراعاته، وقد أتى بعده بحوالي ربع قرن فيلون البيزنطي، وكان مهندساً عسكرياً، ووجه عناية كبيرة إلى معدات القتال ووسائل

(1) Oxford Classical Dictionary, pp. 525- 533; Robertson, D. S., Greek and Roman Architecture, 2nd.,

Cambridge University Press, 1943, p. 231.

(2) Idem .

التحسينات ووضع كتاباً يتألف من تسعة أجزاء، وقام أيضاً بدراسات هامة في علم الهوائيات المضغوطة، ووضع عنها كتاباً يتألف من خمسة وستين فصلاً، وتخلو المصادر بعدها من الإشارة إلى القيام ببحوث في الإسكندرية في علوم الطبيعة، وهيرون أول عالم في هذا المجال ينتمى إلى القرن الأول م. وكانت بحوثه تعتمد على بحوث من سبقوه (1).

في القرن الثاني ق.م. قدم هيبارخوس النيقى عدداً من المساهمات، بما في ذلك القياس لتقديم وتجميع قائمة النجم الأول الذي اقترح فيه نظام حديث عن الأجرام الواضحة (جهاز حساب حركات الكواكب)، حوالي 80 ق.م. وقد أصبح الجهاز معروفاً باستخدامه الترس التفاضلي، وأدى خدمات لعلم الفلك بفضل استخدام حساب المثلثات استخداماً دقيقاً للمرة الأولى، وظلت النتائج التي وصل إليها فيه ثابتة لفترة طويلة، وقام بملاحظات فلكية فيما بين عامي 161-121 ق.م. ومن مؤلفاته الكثيرة كتاب الظواهر الطبيعية " كان عالماً من الطراز الأول، طويل الصبر على البحث، دقيقاً شديد العناية بالملاحظة، من أعظم كشوفه تحديد الاعتدالين الربيعي والخريفي، وقدر طول الشهر القمري في المتوسط بفترة من الزمن طولها 29 يوماً و12 ساعة و44 دقيقة و2 ثانية، وهذا لا يقل إلا بثانية واحدة عن التقدير الحالي!! ووضع فهرساً بالنجوم الثابتة، وأنشأ كرة بين عليها مواقع النجوم كما حددها، وأدخل تحسينات كبيرة على آلات الملاحظة، واستطاع بفضل دراساته الرياضية للعلاقات الفلكية أن يضع جداول جيوب الزوايا، وأن يبتكر بذلك حساب المثلثات، واستعان بالسجلات المسمارية في تحديد أطوال السنين الشمسية والقمرية تحديداً قريباً، وحدد أكبر بُعد بين الشمس والأرض، واختلاف موقع القمر بالنسبة للنجوم باختلاف موضع الراصد على سطح الأرض " (2).

يأتي من علماء الفلك كونون من ساموس، عاش في النصف الثاني من القرن الثالث ق.م. وهو فلكي ورياضي وضع مؤلفات كثيرة، أطلق على مجموعة من النجوم اكتشفها تتكون من الأسد والعذراء والدب الأكبر اسم نؤابة برنيكي تخليداً لذكرى جدائل زوجة بطلميوس الثالث (3).

(1) سارتون، مرجع سابق، ص 111 .

(2) Pastore, Giovanni, About Hipparchus, Privately Published, Rome, 2006, pp.13- 26 .

(3) نال هذا الكشف تقدير كاليماخوس الكوريني في قصيدة له، ونعرف منها أن الملكة بيرنيكي نذرت جدائلها إذا ما عاد زوجها بطلميوس من فتوحاته في الشرق، وبعد عودته جزتها وقدمتها قرباناً في معبد أرسينوى أفروديتي، لكنها اختفت من المعبد، فأذاع كونون في الناس أنها ارتفعت إلى السماء .

Bulmer, Thomas, Conon of Samos, Dictionary of Scientific Biography 3. 1990, p. 391 .

استطاع كونون أن يضع تقويماً فلكياً بعد دراسات لأبحاث المصريين الفلكية، وأضاف إلى الهندسة اكتشافات عديدة، ووضع سبعة كتب في علم الفلك، ووضع كذلك قائمة بكل ما حدث في دولة البطالمة من حالات كسوف الشمس، وأول من كشف القطاعات المخروطية، واستنبط بعض نظريات مستكملة في الموضوع بحسب أيولونيوس، وبعد وفاته خلفه تلميذه دوسيثيوس، وكان عالماً آخر من علماء الفلك والرياضيات اقتطف بعض ملاحظاته الفلكية بطلميوس كلاوديوس الذي وضع كتب كثيرة في الفلك والجغرافيا والرياضيات والبصريات والفلسفة والموسيقى، واعتمد في بحوثه وتقديراته كذلك على ما تركه هيبارخوس، وحسن الأسطرلابات وآلات قياس الزوايا، وهي أهم الآلات الفلكية للقيام بأعمال الرصد والقياس التي استطاع بها تحديد مواقع البلاد الهامة، وكان أرخميدس يعتبره عالماً رياضياً، وعندما وضع كتابه عن الحلزونات توجه بالإهداء في مقدمته إلى دوسيثيوس تلميذ كونون يقول فيه " أنه قد مضت عدة سنين منذ وفاة كونون وأنه كان يُطلعه على بحوثه قبل نشرها، وفي هذا أبلغ دلالة على مكانته العلمية " (1) .

درس أيولونيوس البرجاوى على خلفاء إقليدس الهندسة وأكسبه كتابه عن المخروطات لقب عالم الهندسة الأكبر، لأنه ارتقى بالبحث إلى مستوى أرفع " جاء من يرجا بإقليم يامفوليا في عهد بطلميوس الثالث ودرس مدة طويلة في الإسكندرية، كان استاذاً في نظريات الدوائر المتحدة المركز والمختلفة المركز، باعتبارها وسيلة لتفسير حركات الكواكب، وقد عمد بعد أن ظل يدرس الهندسة عدة سنين إلى هذه الرسالة فاتخذها بداية لكتابه في المخروطات، وبحث في ثمانية كتب و387 نظرية خواص المنحنيات التي تنشأ من تقاطع مخروط مع سطح مستو، وقد أطلق على ثلاثة من هذه المنحنيات والدائرة رابعتها، أسماءها المعروفة بها الآن، وقد يسرت اكتشافاته وضع نظرية القذائف، وكانت من أكبر العوامل فيما حدث في الميكانيكا والملاحة والفلك من تقدم، وكان عرضه لنظرياته طويلاً، ولكن الطريقة التي اتبعها طريقة عملية، ولم يكن مؤلفه أقل من مؤلف إقليدس وضوحاً ودقة، ولا تزال الكتب السبعة الباقية منه أهم كتاب علمي مبتكر في كل ما كتب في الهندسة النظرية " (2) .

(1) Idem .

(2) Otto, Neugebauer E., A History of Ancient Mathematica Astronomy, new york, 1975, pp. 142 – 143 .

في ميدان علم الطبيعة أو الفيزياء وضع دمقريطس نظريته الذرية، وفيما بين 212 إلى 187 ق.م. عين أرخميدس ما يسمى بالكثافة النوعية، وهي تُدرس في علم الطبيعة على وجه أشمل من أجل الوصول إلى بناء نظرية رياضية منظمة، ومن اختراعات أرخميدس الكثيرة؛ الحلزونة؛ الاختراع الذي بواسطته أصبح يُستطاع جلب المياه بشكل أسرع، وبعد تطويرها توصل العالم إلى مضخة المياه (1) .

في علوم الأحياء صنّفوا مملكتي الحيوان والنبات، وتدل البحوث على أنه كان هناك عدد غير قليل من الكشوف المبتكرة، وكانت قد ألحقت بالجامعة حدائق للمعاونة في التجارب، ضمت مختلف أنواع النباتات والطيور والحيوانات، وبدأ الأهتمام بهذه بالأبحاث السابقة ومنها بحوث تلميذ أرسطو ثيوفراستوس، وأبحاث أستراتون وكان معلماً لبطلميوس الثاني وخليفة ثيوفراستوس، في حدائق جامعة الإسكندرية زرعت مئات الأنواع من الأعشاب والنباتات، ودرست خواصها وتأثيراتها العلاجية على أيدي علماء في الكيمياء لأجل تحضير العقاقير والمراهم (2) .

إن أغلب البحوث التي جرت تلك الفترة أخذت تتسم بالطابع العلمي والعملية المتخصص، ومع ذلك فإن في الجامعة نفسها ظل هناك من يدرس الهندسة والرياضيات، وكان في ذات الوقت جغرافياً وفلكياً ومؤرخاً وخطيباً وشاعراً وموسيقياً، وكانت له بحوث مبتكرة في الفلك ويلقى محاضرات في الأدب والأخلاق والسياسة، ومن هؤلاء الأساتذة البارزين العالم الجغرافي إراتوستينيس، الذي كان عالماً رياضياً كذلك، وابتكر طريقة الكشف عن الأعداد الأولية، واخترع آلة ميكانيكية لإيجاد الوسط العددي بين طول مستقيمين أو عدة مستقيمات، وقد وضع نموذج برونزي لهذه الآلة على العمود الذي أقامه اعترافاً بما يدين به من الفضل لبطلميوس الثالث، ووضع هذا الموسوعي كتاباً في الرياضة (الأفلاطوني) وكان المؤلف الرئيسي الذي بسط فيه آراء أفلاطون، وهو على هيئة حوار تضمن أبحاثاً عن التناسب والتعريفات الأساسية في الهندسة وقواعد الموسيقى (3) .

(1) The Oxford History of Classical World, Boardman, Jown, Griffin, Jasper, Oswyn, Murray, Oxford Uni. Press, Oxford, 1986, p. 403

(2) Theophrastus, De his toria Plantarum, De Causis Plan Tarum, Greene, Landmarks of Botanical History 1909, Hort, The Ophrastus, Enquiry in to Plants, 1916, Tarn, Ibid, pp. 272- 3; Singer, Greek Biolagr and Greek Medicine, 1922, pp. 288 - 9, Sarton, Ibid, pp. 379 ff.

(3) الموسوعة الفلكية، بيدرسن، بداية الفيزياء وعلم الفلك، بيروت، ص ص 6-55; سارتون، مرجع سابق، ص 111 .

4- الدراسات الرياضية :

أول العلوم الرياضية القديمة علم الهندسة، والتي فاقت سائر فروع العلم الأخرى، وكانت تشمل ما يعتبر اليوم علم الجبر، وكان منهج الدراسة يتألف من أربعة موضوعات: الهندسة النظرية والحساب والفلك والموسيقى، وأصبحت الهندسة النظرية من ذلك الوقت مجموعة من النظريات والبراهين بفضل علماء الإغريق القدامى الذين ساهموا بالعديد من التطورات الهامة في مجالها، بما في ذلك القواعد الأساسية؛ فكرة البرهان الرياضي، نظرية الأعداد، التحليل الرياضي والرياضيات التطبيقية، وأقربوا من إنشاء حساب التفاضل والتكامل، وطاليس أول من استخدم الاستنتاج في الحل في القرن السابع، وكان مهتماً بالهندسة وجعل لها نظريات تطبيقية، ثم فيثاغورس من أهم من قام بتطوير الرياضيات بنظريته الشهيرة، ولا تزال نظريات العديد منهم تُدرس، لقد كانت قبل هؤلاء رياضيات بحتة معزولة عن المسائل التطبيقية، وأول من اكتشفها وهي بهذه البساطة هم علماء الإغريق، الذين أدخلوا الاستنتاج المنطقي والبرهان الذي يستخدم في حل مسائل الهندسة (1) .

من بعد هؤلاء ظهر في الإسكندرية إقليدس 320 - 270 ق.م. الملقب بأبي الهندسة، والذي وضع أسس الهندسة الإقليدية، كتب الكثير من المؤلفات الرياضية، ولكن أشهر مؤلفاته كتاب العناصر أو Elements، الذي ظل أهم المصادر الهندسية من عام 300 ق.م. حتى عهد قريب، ويقع في ثلاثة عشر جزءاً؛ الأجزاء الستة الأولى حول الهندسة المستوية، والأجزاء من السابع حتى العاشر تدور حول الحسابات ونظرية الأعداد، ويعتبر الجزء العاشر الأهم، وخصصه للمستقيمات غير الجذرية، أما الأجزاء من الحادي عشر إلى الثالث عشر، فتشمل الهندسة القديمة، وقد أُضيف إلى كتاب المبادئ كتابان آخران يعالجان المجسمات المنتظمة، أحدهما ألفه هبسكيليس Hysicles، أما الآخر فهو أحدث عهداً، وإقليدس كأستاذ متميز الفكر والشخصية لا يعرف الكثير عن حياته الخاصة والتعليمية، وإن كان يمكن استخلاص شذرات من شجاعته الأدبية ونظرته إلى البحوث العلمية من مواقف تروى عنه (2) .

(1) ديورانت، مرجع سابق، ج2، مج2، 7، ص ص 175 - 177: الموسوعة الحرة، تاريخ الرياضيات، أحمد محمد عوف، ويكيبيديا، 2014، ص 16: قاموس العلم الفلكي، مؤمن، عبدالأمير، بيروت، دار العلم للملايين، 2006، ص 165: هيث، توماس، تاريخ الرياضيات اليونانية، ج2، الناشر دوفر، نيويورك، ص 12 .

(2) شيخاني، سمير، صانعو التاريخ، ج1، ط1، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر، 2010، ص 334 ؛ سيجل، جانيس، مرجع سابق، ص

عاصر إقليدس بطلميوس الأول، وأتى قبل أرخميدس المعروف بنظرية الطفو، أسس في الإسكندرية مدرسة درس فيها عدد كبير من الدراسين، وتعلم فيها فيما بعد تلميذه عالم الرياضيات أيلولونيوس البرجاوى على أيدي خلفاء إقليدس، وقد قرن أسم إقليدس بأشهر مؤلفاته، ولذلك فإن كتاب الإغريق كانوا يدعونه بمؤلف العناصر دون استخدام أسمه، ولم يتداول أي كتاب آخر جيلاً بعد جيل مثلما تداولو هذا الكتاب، الذي ظل تلاميذ الهندسة في أنحاء العالم يستخدمونه مع تعديلات بسيطة، ولم يكن معظمه أبتكاراً أصيلاً، بل مجموعة معلومات معروفة، إلا أنه يمتاز بما اختاره فيه إقليدس من المبادئ المسلم بها كالتعاريف والفروض أو النظريات التي تستحق أن تسمى قواعد لأنها أساسية وتفوق غيرها في الأهمية والتطبيق، وإذا كان قد جمع مادة كتابه من كافة المصادر التي كان في مقدوره الوصول إليها، فإنه صاحب الفضل في مختاراته، وفي ترتيبها وصياغتها، وفي تنظيم وسائل البرهان تنظيماً منطقياً يتسم بطابع عقلي بحت، ولم تقتصر مؤلفاته على الهندسة، بل وضع كتباً أخرى شملت فروع الرياضيات (1).

يعتبر أرخميدس السيراكوزي Archimedes of Syracuse 287 - 212 ق.م. أحد رياضي مدرسة إقليدس، اهم عقلية مبتكرة بين علماء الرياضيات الهيلينستيين، أقام في منتصف القرن الثالث في الإسكندرية، وكانت لإقامته أثرها في تطوير الرياضيات في جامعتها، وظل على اتصال وثيق بعلمائها، ومنهم كونون ودوسيثيوس وإراتوستينيس، وأرخميدس ذو النزعة العملية التطبيقية في أبحاثه، وأهم إسهاماته في حقل الرياضيات والميكانيكا، وكشف الكثافة النوعية، ووسائل ميكانيكية اخترعها مبرهنأ على قدرة تحريك جسم كبير بطاقة صغيرة، وأستطاع أن يبتدع الكثير من الأجهزة والآلات الجديدة، ويذكر ديودوروس بأنه اخترع لولبة لرفع الماء وهذا الأختراع المعروف بحلزون أرخميدس، أما في الحساب والجبر ابتكر الحاسب الرملي لحساب الأعداد الكبيرة التي من الصعب إحصاؤها، كما برع أيضاً في الفلك والبصريات، حيث أخترع القبة الفلكية التي كانت على شكل سماء مستديرة تضاء فتظهر فيها حركة الشمس والقمر والكواكب السيارة، وساعة شمسية دقيقة تتنبأ بما سيقع من كسوف وخسوف، ونجح في

(1) Heath, T., A History of Greek Mathematics, 1921, pp. 56-58; Euclid, XIII (Loeb), pp. 564 ff; The Oxford Classical Dictionary, 3, "Euclid", p. 564, p. 708;

هيث، توماس، إقليدس والتقاليد عنه، ط1، مكتبة بروسيس الرقمية، 1956، ص ص 25-154: موسوعة بريتانكا، الرياضيات الإغريقية" إقليدس"، 1978، ص ص 4-18: بال ودوس، في تاريخ العلوم والرياضيات، الناشر دوفر، نيويورك، 1960، ص ص 52 - 60 .

تعيين أبعاد الكواكب، واستطاع صنع البكرات المستخدمة في الموازين، واستحوذت تطبيقاته ونظرياته العملية على الأفكار (1) .

" الفيزيائي أرخميدس والده هو الفلكي فيدياس وأبن عم هيرون الثاني أبرز حكام عهده استنارة، وعدا عبقريته الفطرية، فعل ما قام به كثيرون من الإغريق الهيلينيين الذين شغفوا بالعلوم، وكان لديهم من المال ما يمكنهم من إشباع هذا الشغف، فسافر إلى الإسكندرية حيث درس على خلفاء إقليدس، وقضى حياته في دراسة الرياضيات، وعاد بعدها إلى سراقوسة حيث وهب حياته لكل فرع من فروع العلوم الرياضية كتب بحوث ومقالات في شتى فروع العلم؛ عن الكرة والأسطوانة في مجلدين، وكتاب ثانى عن الأجسام شبه المخروطية وشبه الكروية، وثالث عن الموازين، ورابع عن الأجسام الطافية، وفي هذين الكتابين برهن هندسياً على فرعين نظريين من فروع الميكانيكا، وهما الأستاتيكا والهيدروستاتيكا، وكتاب خامس عن قياس الدائرة، وسادس عن الزنبركات، والسابع عن نظريات الحركة، وتركز اهتمام العالم الإغريقي على أغلب هذه الكتب مع إدخال بعض التعديلات عليها ليسهل على المبتدئين استيعابها، ويلاحظ أن رسائله في الهندسة كانت تعتمد على أبحاث يودوكسوس وتعتبر مكملة لها " (2) .

لم تخل الإسكندرية حتى أواخر عصر البطالمة من علماء في الرياضيات كان لهم قيمة علمية لا يستهان بها، من أبرز الأسماء في الهندسة في النصف الأول من القرن الثاني ق.م. كان هبسكليسي مؤلف كتاب يعرف باسم الجزء الرابع عشر من عناصر إقليدس، وفي القرنين الثاني والأول ق.م. قدمت دار العلم ستة أعلام في مجال الرياضيات وهم؛ هيبارخوس النيقى وكان من بين هؤلاء العلماء المتأخرين نيكومديس وزنودوروس ودينوسورورس ويريبيوس، وأبولونيوس البرجاوي، من علماء الهندسة الكبار، وكان رياضياً وفلكياً، وضع شرحاً على المجسطي لبطلميوس، وأعاد كتابة وتحليل كتاب العناصر لإقليدس ليكون أسهل تناولاً عند الطلاب، وأدخل فيه تعديلات، ووضع زيادات بقيت في معظم المخطوطات الباقية، كذلك أعاد كتابة البصريات لإقليدس، وصدرها بمقدمة أعاد بها بعث الروح الهندسية الإغريقية، مما يدل على وجود أبحاث متقدمة في ما يسمى بالهندسة العليا (3) .

(1) أبوالغطا، مرجع سابق، ص ص 65 - 68 ; . Howatson, p. 49 . Lesky, Ibid, pp. 790-791;

(2) The Oxford Classical Dictionary, 3, pp 126- 127; Idem, p. 146 .

(3) Farrington, B., Greek Science, Pelican Book, Harmonds worth, 1949, pp. 70 ff .

5- الدراسات الطبية (مدارس الطب) :

من أكثر الدراسات التي ازدهرت طوال عهد البطالمة الدراسات الطبية، وكانت مدارس الطب والتشريح ضمن نطاق دارالعلم، ونشطت البحوث في تاريخ الطب وبخاصة دراسة مؤلفات هيبوكراتيس Hippocratic 469-399 ق.م. تقديراً لإسهاماته الباقية في المجال كمؤسس مدرسة من أهم مدارس الطب الإغريقي (1) كانت قد بدأت دراسة الطب الدنيوى فى أثناء القرن الخامس ق.م. فى أربع مدارس كبرى؛ فى كوس، ونيدس من آسيا الصغرى، وفى كرتونا بإيطاليا وفى صقلية، وفى القرن الثالث برزت مدارس طبية فى الإسكندرية ضمت إليها العديد من الأطباء البارزين من أبرزها وأهما، مدرسة هيروفيلوس الخالكيدونى Herophilus of Chalcedon 330-260 ق.م. ومدرسة الطبيب إراسيستراتوس اليوسى Erasistratus of Iulis 315-240 ق.م. وقد كان من بين الذين كتبوا عن الأبحاث القديمة هؤلاء وتلاميذهم؛ باقخيوس وفيلينوس وزينون وجلاوقياس، هذا إلى أن هيراقلايدس وأبولونيوس تلميذي خروسموس كتبا بإفاضة في تاريخ مدرسة هيروفيلوس، وذلك يدل على أن وسائل البحث في العهد البطلمي لم تعم الباحثين عن أهمية الوقوف على نتائج البحث القديم، ولسوء الحظ لم تصل كاملة من مؤلفات أطباء الإسكندرية إلا رسالتان من القرن الثالث ق.م. وهما تتناولان بوجه خاص قواعد اللياقة وآداب السلوك في مهنة الطب، ورسالة واحدة من أواخر عصر البطالمة، وهي عبارة عن تعليق على

(1) طبيب ومدرسة شهيرة من الفترة الكلاسيكية قامت بثورة طبية في اليونان القديمة، جعلت الطب تخصص ومهنة، وليصبح مجالاً متميزاً عن المجالات الأخرى التي ارتبط بها، فقد وضع هيبوكراتيس نظريات أو قواعد لعلم الطب، وكان من أبرزها أن المرض داء طبيعي يجب مكافحته بوسائل طبيعية، وكان هيبوكراتيس أبن لطبيب نشأ ومارس مهنته في جزيرة كوس، ووضع له معلمه هيرودكس السلمبرى الأساس الذي بنى عليه طبه، بتعويده الاعتماد على نظام التغذية وعلى الرياضة الجسمية أكثر من اعتماده على الأدوية، وذاعت شهرته حتى كان بين مرضاه حكام، وفى عام 430 ق.م. استدعته أثينا ليحاول وقف انتشار الطاعون فيها، بلغت مؤلفاته حوالي 72 مؤلفاً، وكان الأثنان والأربعون سجلاً سريرياً الأولى من نوعها في السبعة عشرة قرناً التي أعقبت ذلك العهد، وكانت من أعلى الأمثلة في الأمانة، باعترافها أن المرض أو العلاج قد أعقبه الموت في سنتين بالمائة من الحالات، وأربعة لا أكثر من المؤلفات الطبية من كتابات هيبوكراتيس وهي: الحكم والأدلة وتنظيم التغذية والعوائد في الأمراض الحارة ورسالته في جروح الرأس، أما عدا هذه الأربعة من المؤلفات فمن وضع مؤلفين آخرين عاشوا في أوقات مختلفة بين القرنين الخامس والثاني ق.م، ولذلك يعتبر واحداً من أكثر الشخصيات البارزة في تاريخ الطب، ويشار إليه إنه أبو الطب تقديراً لإسهاماته، وإن التقدم الذى أحرزته مدرسته وصل الاعتراف بأثره فى دوائر هذه المهنة لدرجة أن القسم الذى يأخذه طلبة الطب حتى هذه اللحظة يعرف بقسم هيبوكراتيس نسبة للطبيب الذى حرر الطب من الخرافات والنظريات الفلسفية، ووضع له قانون مهني وأخلاقي .

قاموس المورد، منير البعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، 1991، ص 572؛ دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد مجدى، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، مج1، ص 339؛ غالب، مصطفى، ابقراط، مج1، القاهرة، دار ومكتبة الهلال، ط1، 1986، ص 44؛ ديورانن، مرجع سابق، ج2، مج2، 7، ص ص 184-194 .

جراحة الأعضاء عند مدرسة هيبوكراتيس، وتبعاً لذلك فإن المصدر الرئيسي للمعلومات عند أطباء العصر البطلمي هو مؤلفات أطباء الإمبراطورية الرومانية (1) .

من اهم الحوادث في تاريخ العلوم الإغريقية، هو نهضة الطب القائم على العقل لا على الخرافة، أو توجه الطب وجهة دنيوية، وكان الطب الإغريقي حتى القرن الخامس وثيق الارتباط بالدين إلى حد كبير، وكان تقدم علمي التشريح ووظائف الأعضاء بطيئاً، ومن أهم العوامل فيما أحرزاه من تقدم هو الفحص عن أحشاء الحيوانات في عمليات العرافة، أما الجراحة فكانت حتى القرن الرابع ق.م لا تزال في معظم الأحوال عملاً لا يتخصص فيه الطلاب، ويشتغل به كبار الأطباء فقط، بعد أن كانوا متنقلين من مدينة لأخرى استقر بعضهم في مدنهم، وافتتحوا أمكنة للعلاج يعالجون فيها المرضى، وفي منازلهم تارة أخرى، وبدأ الأطباء يدرسون أيضاً دراسات عميقة، وحثت البرديات الطبية مادة تعليمية عن الأمراض وطب العيون والأطفال والتوليد والعقاقير، وكانت كتب العلاج الطبي عديدة، وعلى الطلاب أن يقدموا أدلة على كفاءتهم، قبل أن يُسمح لهم بممارسة مهنة الطب، وأصبح على كل من يريد التخصص وخاصة في في العهد الهيلينيستي أن يسافر إلى الإسكندرية، وكثرت عندهم الطبييات اللاتي يستخدمن عادة في علاج النساء، وقد كتب بعضهن رسائل في العناية بالجلد والشعر تُعد حجة في موضوعاتها، وقد برزت منهن طبيبة تدعى أغنوديس ذاع صيتها بمؤلفاتها عن أمراض النساء والجراحة وفروع أخرى (2) .

(1) رفع الإغريق القدامي كاهنهم اسكولاس إلى مصاف الآلهة واطلقوا عليه لقب إله الشفاء، وكانت الثعابين عندهم رمزاً للحياة والشفاء، وقد بقي الثعبان الملقب حول العصا رمزاً للصيدة، وظل الطب الدنيى يقاوم الطب الدنيوى، ولذلك ظلت هذه الأسماء الأهم في ثبت طويل من أسماء الأطباء غير الدينيين . Dobson, J. F., Herophilus of Alexandria, Proc Roy. Soc Med, London, 1925, pp. 19- 32 .

(2) يذكر جايوس جوليوس هيجينوس الذي عاش في القرن الأول عنها أنها كانت أول طبيبة نسائية وقابلة، وولدت أغنوديس في أثينا، وكانت رغبتها في دراسة الطب مدفوعة مما شاهده في حياتها من كثرة النساء اللاتي توفين أثناء عملية الولادة، فعملت على التكر بزى رجل لكي تتمكن من التدريب الطبي، وتحججت بأنها تسعى لدراسة الطب لكي تعالج صديقاً لها يعانى من المرض، غادرت لاحقاً لتستكمل دراستها في الإسكندرية، حيث استطاعت أن تلعب دوراً مهماً في المجتمع الطبي هناك، نظراً لما كانت تتمتع به المرأة من حرية في دراسة الطب وممارسته فيها، وكان تخصص النساء في دراسة الطب النسائي والتوليد والقابلة مسموحاً في زمن هيبوكراتيس في أثينا، إلا أنه مُنع بعد وفاته واعتبر جريمة تستحق العقاب، وذلك بعد أن اكتشف حكامها أن بعضاً من النسوة يقمن بعمليات الإجهاض، سافرت أغنوديس وتلقت تحصيلها الطبي في الإسكندرية، وتعلمت على يد هيروفيلوس الذي كان أهم خبير علم تشريح في ذلك الوقت، وبعد استكمالها تحصيلها العلمي عادت لتمارس الطب في أثينا متكررة بزى رجل، ومع الوقت ذاع صيتها بين النساء اللواتي بدأن يطلبن عونها الطبي دون غيرها من الأطباء الرجال، و الذين بدأوا يرون بأن خدماتهم الطبية لم تعد مطلوبة من النساء كما في السابق، فشرعوا بتحميل أغنوديس المسؤولية واتهموها بأنها تعمل على إغواء النساء وبأنهن يمارضن لكي يحظين بلقائهن، إذ لم يكونوا على علم بعد بأنها امرأة، وأثناء محاكمتها قام مجموعة من الأطباء والأزواج بتوجيه الإدانات لها، إلا إنها ما لبثت أن خلعت رداً لتكشف عن هويتها الحقيقية، ولكنهم استمروا في كيل الاتهامات لها بالخداع، واستطاعت أغنوديس أن تقنع القضاة بأن اتهامات الرجال لا يمكن أن تكون كافية لتجعل منها مذنبه، كما جاءت مجموعة من النسوة ودافعن عنها وأشدن بمهاراتها واستهجن محاولات أزواجهن إنزال حكم الإعدام بها، بُرئت أغنوديس مما نُسب إليها وتغير القانون في أثينا بعد ذلك ليمسح للمرأة بالعمل في الطب لمدواة النساء، وكان لمحاكمتها تأثيراً ، فقد فتحت الطريق أمام أخريات للعمل في المجال الطبي، وتحولت أغنوديس إلى رمز للطبييات عامة، والنساء والتوليد خاصة . غالب، مصطفى، مرجع سابق، ص 56; Withington, E. T., Medical, History From The earliest Times, The Scientific Press, London, 1894, pp. 6- 23; Alic, M., Hypatias Heritage, Ahistory of Women in Medicine, Beacon Press, 1986, p. 6 .

في دولة البطالمة أخذ الأطباء لا يعتمدون على تعليمهم النظري والعملية فحسب، بل كذلك على منتجات و مواد أخرى، إذ أنه منذ هذا العهد أصبحت الأدوات الجراحية الطبية شائعة الاستعمال، واستخدمت بمهارة المعدات في العديد من الاكتشافات الهامة في المجال الطبي، وكانت الأدوية يعدها وبيعتها الأطباء أنفسهم أو مساعدهم المحترفين، وتجدر الإشارة إلى ان تقدم دراسة الطب البشري والطب البيطري أيضاً في العهد البطلمي يعزى إلى مؤسسات البطالمة أكثر منه إلى مصر القديمة، فقد كان يتعين على فرسان الجيش المنتشرين في المستعمرات الزراعية أن يعنوا بخيولهم كما يعنوا بأنفسهم تحت إشراف السلطة العسكرية، بالإضافة إلى أن أطباء الإسكندرية كانوا يستعينون في بحوثهم بتشريح الحيوانات، وأنهم وجهوا عناية كبيرة إلى العقاقير الطبية، وكان البطالمة الملوك لا يترددون في تقديم أي مساعدة يحتاجها علماء الطب، فلم يكونوا يجيزون تشريح جثث الموتى من الآدميين فحسب، بل كانوا يرسلون بعض المجرمين المحكومين بالإعدام لتشرح أجسامهم، وبفضل هذا التشجيع أصبح التشريح الآدمي علماً، وقلت إلى حد كبير الأغلاط التي وقع فيها رجال الطب قبلهم، وإزاء ظهور المدارس الطبية المتنافسة وظهور هؤلاء الأطباء اللامعين لا عجب أن شهد الشطر الثاني من عصر البطالمة نشاطاً طبياً مميزاً، وبدأ اهتمام الفلاسفة بالناحية الخلقية في عمل الطبيب، وقد شارك كثيرون في تكوين آداب طبية سليمة تهدف إلى رفع المستوى الخلقى للطبيب، لا الدفاع عن مصالح مهنته فقط (1).

إن تاريخ تعليم الطب في مملكة البطالمة بدأ حوالي عام 300 ق.م. عندما جاء وبخاصةً من كوس أطباء كثيرون كان أبرزهم هيروفيلوس وأرسيستراتوس، وكانا يزاولان بحوثهما في الإسكندرية خلال النصف الأول من القرن الثالث ق.م. فقد كان هيروفيلوس بالاستناد إلى المعلومات، من أهم علماء التشريح في العهد الهيلينيستي، كما إرسيستراتوس أهم علماء وظائف الأعضاء، ويضع عالم الطب جالينوس هذين العالمين بين الذين يطلق عليهم أطباء المدرسة المنطقية أو الاستدلالية، وأساس الاستدلال هنا دراسة أسباب المرض، وهو ما يقتضي الإلمام بعلمي التشريح والفسولوجيا، حيث أرتقى هيروفيلوس وإرستراتوس بعلمي التشريح ووظائف الأعضاء، وكان طبيعياً أن يؤدي التشريح إلى تقدم الجراحة، لقد كان لدراسات هؤلاء الأطباء خاصةً الفضل في ظهور وتطور مدارس الطب والصيدلة، ومنها أبحاث

(1) نصحي، تاريخ التعليم في عصر البطالمة، ص ص 370 - 372 : تارن، الحضارة الهيلينيستية، (ت. عبدالعزيز توفيق جاويد)، مكتبة

الأنجلو المصرية، القاهرة، 1966، ص ص 324 - 325 : سارتون، مرجع سابق، ص ص 201 - 204 .

هيروفيلوس الذي رأى أن المخ مركز التفكير وأنه متصل بالجهاز العصبي، فهو أول من كون فكرة واضحة عنه، وعن فكرة أن الشرايين تحمل دماً لا هواء، وإنها لا تنبض من تلقاء نفسها وإنما من القلب، وبهذا كشف عن الدورة الدموية، ولا يزال مجال الطب يستخدم بعض الأسماء التي أطلقها على أجزاء الجسم، وقد كان لهيروفيلوس تلاميذ كثيرون، من بينهم اندرياس Andreas الطبيب الخاص لبطلميوس الرابع (1) .

يعتبر هيروفيلوس رائد علم التشريح، وهو طبيب تعلم الطب بمدرسة هيبوكراتيس، واستفاد من قواعد الطب التي أسسها، وتعلم على يد براكساجوراس من كوس Praxagoras، ثم اجتذبه بطلميوس الأول حوالي عام 285 ق.م. ويعد مؤسس لمدرسة طبية خاصة بالتشريح في الإسكندرية، امتد نشاطها إلى نهاية القرن الأول ق.م. حيث أدى تقدمها لتقدم الجراحة وأختراع آلات جديدة تستخدم فيها لأول مرة، وفي الأداء المهني الطبي استفاد من تجاربه، وتتجلى استفادته في وصفه التفصيلي للدماغ وتمييزه بين المخ والمخيخ، وبين أوتار العضلات والأعصاب، كما تتبع مسار الأعصاب من المخ إلى الحبل الشوكي، واستطاع أن يفرق بوضوح بين الشرايين والأوردة وأنها تكون فارغة بعد الموت، وذكر بأن المخ لا القلب هو مركز التفكير والذكاء مصححاً أخطاء من سبقوه، وتفادى الوقوع في التشخيص غير المجدي للأمراض، واستخدم ساعة مائة لقياس سرعة النبض، لمعرفة حالة المريض عن طريق التغيير في النبض، وأدخل تحسيناً بذلك على نظرية براكساجوراس، أول طبيب إغريقي فحص النبض (2) .

" قام هيروفيلوس بوصف الشبكية وأعصاب النظر وصفاً طبياً، ووصف مقدم الدماغ والمخيخ والسحايا، وسمى باسمه معصار هيروفيلي، وفهم وظيفة الأعصاب، وكان البادئ بتقسيمها إلى أعصاب حس وأعصاب حركة، وفصل أعصاب الجمجمة عن أعصاب النخاع الشوكي، وميز الشرايين من الأوردة، ودرس الكبد والبنكرياس والرئتين وأعضاء التناسل، ووجه عناية كبيرة إلى ضربات النبض، لمعرفة سرعتها، وهذه أولى المحاولات في اتجاه الحصول على تقديرات دقيقة، واستخدم العقاقير لاعتقاده بأنه لا يمكن تطبيب الأمراض دون مساعدتها، وشرح شبكة تتألف من عدة أوعية دموية تخرج غالباً من فرع واحد، وهذه الشبكة توجد في قاعدة مخ الحيوان بينما لا يوجد لها نظير في الإنسان، ولا شك في أنه كان يتعذر

(1) Dobson, Ibid, p. 36 .

(2) The Oxford Classical Dictionary,3 , pp. 126- 127 .

اتمام ما قام به من بحوث دون تشريح للإنسان " (1) .

كان هيروفيلوس يقوم بفحص جثث الموتى، بل أتهم وأرسيستراتوس بإجراء التجارب على الأحياء، إذ أن البطالمة كانوا يسمحون بتشريح المجرمين، ويبدو أن الجراحين الذين وجهت إليهم هذه التهم كانوا يعلقون أهمية كبيرة على الفحص النظري للأعضاء الداخلية، ومن ثم فإنه يجب اعتبارهم آباء علم التشريح، وقد فاق أرسيستراتوس زميله هيروفيلوس في بحوثه عن القلب والمخ والتفرقة بين الأعصاب الحساسة والأعصاب المحركة، وكان يرفض فصد الدم مفضلاً عليه تناول الطعام الخفيف، ولا يستخدم إلا أبسط الأدوية (2) .

الطبيب أرسيستراتوس هو رائد علم وظائف الأعضاء، ولد بجزيرة أيوليس ودرس الطب في مدرسة كنيديوس الطبية، كان ميالاً إلى الفسيولوجيا وتطبيق النظريات الفيزيائية، ويعد المؤسس لعلم التشريح المقارن والمرضى، جاء إلى الإسكندرية ومارس مهنة الطب حيث لم يجد قيوداً على تشريح الجثث، وقام بإجراء تشريحاته على الحيوان وحتى الإنسان بعد الموت ليتعرف على الأمراض أو الإصابات التي أدت للوفاة، وأجرى تجارب كذلك على الأجسام الحية لدراسة عمليات المخ، وتركزت أعماله التشريحية الأساسية، وخصص الجزء الأكبر لدراسة المخ وتركيبه ووظائفه، وقد استطاع أن يميز المخ من المخيخ تمييزاً أدق من هيروفيلوس، واعتبره مركز للجهاز العصبي، وتمكن من التفرقة بين الأعصاب الحسية والحركية، وأن القلب هو العامل الأهم في الدورة الدموية، ووصف بدقة الصمامات القلبية المختلفة، كما أوضح أن الأوردة والشرايين شبكة متصلة ببعضها، واكتشف الدورة الدموية الصغرى، ووصف وشرح عمل لسان المزمار، والأوعية المفاوية في غشاء الأمعاء، وكان أول من طبق النظرية الذرية على علم الأعضاء، وأوضح أن الجسم الإنساني يتكون من ذرات تحركها الحرارة الذاتية بها، وأن الهواء يعتبر عاملاً منشطاً، وأن الدم ينتقل عن طريق الأوردة ثم يذهب إلى الرئتين فينتقل الهواء إليها، ثم يعود حيث يتحول الهواء إلى الروح الحية ويتوزع على كافة أجزاء الجسم عن طريق الشرايين، وذكر أن الجسم تحركه العضلات، وكان لديه فكرة ما عن التمثيل الأساسي للأغذية، لأنه ابتدع طريقة لقياس حرارة الزفير،

(1) يوسف، حنان السيد، الطب في مدرسة الإسكندرية القديمة في العصرين البطلمي والروماني، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإسكندرية، 2001)

(2) Robertson, E. F., Herophilus, University of Cambridge, 2007, PP. 11- 13.

وحاول أن يعلل جميع الظواهر الفسيولوجية بعلم طبيعية، وكان يرى أن الطب هو فن منع المرض بمراعاة قواعد الصحة، وليس علاج المرض بالدواء، وكان يقاوم كثرة استعمال العقاقير (1) .

يتضح من شواهد عديدة فإن كل من هيروفيلوس وإراسيستراتوس وضعوا خبرتهم الطبية في خدمة الأبحاث العلمية، واعتمدا على المنهج العلمي في المدرسة الطبية الجديدة بالإسكندرية، في علاج الأمراض وعلى دراسة أسبابها، إلى جانب الاهتمام في أبحاثهم بعلم التشريح والفسيولوجيا، وتابع أساتذة الطب والجراحة نشاطهم حيث ظلت محتفظة بشهرتها العلمية في هذا المجال حتى أواخر القرن الرابع م. ومن الأطباء الذين طوروا في مهنة الطب الطبيب السكندري أبولودوروس في أوائل القرن الثالث ق.م. وقد كتب عن عقاقير السموم، وظل ماكتبه مرجعاً أساسياً لكل من أتى بعده، وطبيب آخر من أشهر تلاميذ هيروفيلوس يدعى فيلينوس الكوسى تعزى إليه إنشاء مدرسة طب جديدة تدعى المدرسة التجريبية، أدت للطب خدمة بمناهضتها للميول النظرية، التي كانت على الدوام أحد مواطن الضعف في الطب الإغريقي، ودعى تلاميذه إلى إغفال التشريح والفسيولوجيا، اعتقاداً منه أن الطب مختصاً بعلاج الأمراض لا الوقوف على أسبابها، ولذلك فإن واجب الطبيب هو أن يُعطى العلاج، وأن يهتدى بملاحظاته الشخصية والتعليم والحالات المشابهة، وأغلب الرأي أن فيلينوس لم يفعل أكثر من أنه بدأ حركة الانشقاق عن مدرسة أستاذه هيروفيلوس، وأسس لمدرسة طبية أهملت الأساسيات الطبية مثل علمي التشريح والأعضاء، ومن تلاميذ مدرسة هيروفيلوس، طبيب آخر ذاعت شهرته في النصف الأول من القرن الثاني ق.م. هو سيرابيون الأكبر، ويعتبر المؤسس الفعلي لمدرسة الطب التجريبي Empiric School، والتي تعد من أكثر المدارس شهرة، ونادت بالبحث في الأسباب الرئيسية للأمراض، واهتمت بالأعراض والملاحظات الأكلينيكية إلى جانب الخبرة لاكتشاف ومعرفة المرض، واعتقد أن قواعد العلوم الطبية تكمن في الممارسات العملية المستمرة وليس في الدروس النظرية، فاعتمد نشاطه الطبى على ثلاثة دعائم، هي الملاحظة والتجربة، ودراسة الحالة، والأستنتاجات من الحالات المماثلة، والطبيب اسكليبياديس البيثيني من بثنيا، درس الطب في أثينا، ثم تلقى المزيد من تعليمه الطبى في الإسكندرية، من المنادين بالآراء الذرية في الطب، ورفض كل الطرق النظرية في الدراسة الطبية، ويعد أول والطبيب اسكليبياديس البيثيني من بثنيا، درس الطب في

(1) El Abbadi, M., " The Great Library and Mouseion., Unesco/UNDP, 1990, pp. 93– 94; The Oxford Classical Dictionary, 3, Herophilus ", pp. 348– 350 .

أثينا، ثم تلقى المزيد من تعليمه الطبى فى الإسكندرية، من المنادين بالآراء الذرية فى الطب، ورفض كل الطرق النظرية فى الدراسة الطبية، ويعد أول من عالج الأمراض العقلية والعصبية، وأول من وصف عملية فتح ثقب فى القلبة الهوائية فى حالة حدوث اختناق، أنشأ حوالى عام 91 ق.م. أكاديمية طبية فى روما وقام بالتدريس فيها (1) .

يوجد العديد من لأطباء الذين درسوا ومارسوا مهنة الطب فى الإسكندرية، واتبع أغلبهم منهج مدارسها، وكان لمؤلفاتهم تأثير على الممارسات الطبية والعلاجية، حيث كان بإمكان تلاميذهم الاستفادة والرجوع إلى عدد هائل من النصوص ومناقشة دراساتهم، منهم الطبيب هيجيتور 150-80 ق.م. وكان أستاذاً له عدة أبحاث دقيقة، وبرغم ما نالته التجريبية من نجاح أكسبها أتباعاً كثيرين، فإن ذلك لم يؤد إلى تدهور أو اندثار مدرسة هيروفيلوس بدليل انتشارها داخل دولة البطالمة وخارجها، وشهرة الكثير من أتباعها، ومنهم الطبيب خريسموس القرن الثانى ق.م. والطبيب هيراكليدس كذلك من تارنتم برز حوالى عام 75 ق.م. وكان جراحاً بارعاً، ووضع كتاباً ممتازاً عن العقاقير الطبية، وقد مهد الطريق إلى كشف الأدوية المخدرة، وله مؤلفات طبية كثيرة وأبولونيوس 90-15 ق.م. طبيب قبرصى من أتباع المدرسة التجريبية، ألف كتاباً مصوراً عن أمراض المفاصل، وعدة كتب نقلها عن الطب المصرى القديم، والطبيب ثيميسون عام 50 ق.م. أنشأ مدرسة الطريقة، وهى مدرسة طبية خاصة، والسكندرى أبولونيوس الفأر فى النصف الثانى من القرن الأول ق.م. ألف كتاباً فى تاريخ الطب، وأرخ فيه لمدرسة هيروفيلوس الطبية، والطبيب ديوسكوريدس 15-60 م. درس مهنة الطب فى الإسكندرية على يد خلفاء إراسيستراتوس فى مدرسته، رحل إلى روما وعمل جراح فى الجيش الرومانى، ووصف المواد الطبية بدقة كبيرة تدل على قوة الملاحظة، كما وصف بعض المستحضرات الطبية الكيمائية فى كتابه المعروف عن المادة الطبية، سجل فيه أكثر من ستمائة نبات طبي فى خمسة مجلدات، وجمع كل المعلومات الطبية التى وردت عند المصريين، وعند الإغريق، وشعوب آسيا الصغرى، وأضاف إليه تلاميذه مجلدين بعد وفاته، واعتبرت تلك المدونات من أهم المراجع الأساسية لمن درسوا الطب فى الإسكندرية فى ذلك العهد ولقرون طويلة (2) .

(1) أبوالعطا، مرجع سابق، ص ص 70-73 .

(2) نفسه؛ سارتون، مرجع سابق، ج4، ص 240؛ تارن، الحضارة الهيلينية، ص ص 324-325 .

الفصل الرابع مؤسسات التعليم البطلمي

I. الموسيون (دار العلم)

II. مكتبة الإسكندرية (المكتبة الكبرى) .

III. الجمنازيوم .

IV. الجمعيات .

V. المسارح .

VI. مدارس كوريني .

مؤسسات التعليم البطلمي

سنتناول في هذا الفصل المؤسسات العلمية التي كان لها الدور الأبرز في التعليم والثقافة البطلمية، والواقع قيل الكثير عن مؤسسات البطالمة، منها أنها لم تكن مجرد منشآت معمارية أو مقرات للدراسة، ولكنها كانت مظهراً من مظاهر نهضة تعليمية واسعة، والأساس الذي ارتكزت عليه مراحل ومستويات عليا أخرى ظهرت واستمرت آنذاك، وفي الواقع كانت المؤسسات البطلمية من المؤسسات الأهم آنذاك، فلقد شيد هؤلاء دور ومدارس كثيرة جمعت وضمت نخب في جميع المجالات، وتوافد عليها العلماء والمفكرون من جميع الأنحاء، ويُستدل من الدور الذي قامت به في التعليم والحركة العلمية أن كل فروع المعرفة كانت ممثلة فيها، وتوفر لها مطلق الدعم لمتابعة بحوثها، إذ بفضل إنشائها وما تمتعت به من سخاء، أمكن تنظيم البحث العلمي الجماعي لأول مرة، وأحدثت نهضة تعليمية وعلمية عميقة (1).

غدت هذه المؤسسات سكناً للعلماء والباحثين والطلاب من كل مكان يقيمون فيها، وتكفل البطالمة بإقامتهم في مبان ملحقة بها، أو بالقرب منها، وأنهم بهذا الشكل كانوا متفرغين لحياتهم وبحوثهم العلمية، فلا يمكن تجاهل أثر ودور هذه المؤسسات في تقدم التعليم واستمراره، وهذا ما يفسر كيف كان لها ولعلمائها السبق والمكانة الأهم في كل العالم الهيلينيستي، ومن أول هذه المؤسسات كان الموسيون Mouseion؛ دار العلم أو الأكاديمية في الإسكندرية، وازدهرت حولها وبقربها المكتبات الكبيرة، والعديد من المدارس والمعاهد في شتى النواحي النظرية والتطبيقية العلمية، ولم تقتصر الحياة العلمية والثقافية عليها، وعلى المدن البطلمية فقط، بل وجدت مؤسسات مثلها في كل المناطق الهيلينيستية، ولكن المؤسسات في دولة البطالمة تميزت وتصدرت ورفعت راية العلم والتعليم طيلة سبعة قرون (2).

(1) حسب الله، سيد غندور، محمد جلال، مرجع سابق، ص 42 .

(2) Sarton, Ibid, p. 54 .

أولاً: الموسيون (دار العلم)

من أوائل الأكاديميات التي عرفها العهد البطلمي الهيلينيستي، تأسست في عهد بطلميوس الأول وطورها بطلميوس الثاني، ويذكر المؤرخ أثيناوس أن بطلميوس الثاني هو مؤسسها، بينما أغلب المصادر تُجمع على أن الأول هو من شرع في إنشائها، وكان ملكاً مُحباً للثقافة الإغريقية، وبعد أن تمكن من إرساء قواعد حكمه حرص على إحداث نهضة فكرية وفنية وعلمية بالإسكندرية، وأراد أن يبرز مملكته عن بقية الممالك الهيلينية، فعقد على أن يجعل منها موقعاً يشع بالعلم والمعرفة، بينما هناك من يذكرون أن صاحب فكرة إنشاء دار العلم هو ديمتريوس الفاليري الذي ساعد بطلميوس الأول في تخطيطها وإنشائها بعد أن أقنعه بتنفيذها ليجعل من الإسكندرية تنافس أثينا في العلوم والآداب والفلسفة، وبذلك فإنه يعد همزة الوصل بين أثينا وشعلتها الحضارية والفكرية، وبين الإسكندرية المدينة الناهضة وقتذاك (1) .

" وسع المتحف والمكتبة وأنفق عليهما من المال ما جعل المؤرخين الذين جاءوا بعده يقولون إنه هو الذي أنشأهما، ويلوح أن ديمتريوس الفاليري الذي لجأ إلى مصر في عام 307، هو الذي أوحى إلى بطلميوس الأول أن عاصمة ملكه تذيب شهرتها إذا أنشأ متحفاً أو بيتاً لربات الفنون والعلوم يضارع جامعات أثينا، واقتنع بطلميوس الأول والثاني بالفكرة فأمداه بالمال، وقامت الجامعة الجديدة بالقرب من القصور الملكية، وكانت تحتوي على ردهة عامة يلوح أن العلماء كانوا يتناولون فيها الطعام، وقاعة للمحاضرات وبهواً ورواقاً، وحديقة ومرصداً فلكياً والمكتبة الكبرى، وكان يعيش في المتحف أربع طوائف من العلماء؛ فلكيين وكتاب وعلماء في الطبيعة وأطباء، وكانوا جميعاً يتقاضون مرتبات من الخزانة الملكية، ولم تكن مهمتهم أن يعلموا الطلاب، بل أن يتوفروا على البحوث والدراسات وإجراء التجارب، ولما تضاعف عددهم في العقود التالية قام أعضاؤه بإلقاء المحاضرات، ولكنه بقي إلى آخر أيامه معهداً للدراسات الراقية أكثر منه جامعة للطلاب، ومبلغ العلم انه أول مؤسسة أقامتها دولة للعمل على تقدم الآداب والعلوم " (2) .

تسمية الموسيون تعنى بالإغريقية معبداً أو بيت ربات الفنون والآداب والفلك في البداية، لأنه كان مكاناً مخصصاً لإلهات الفن بوصفها معبودات، ترمز عبادتهن إلى التأمل والتفكير العلمي، وارتباط نشأته

(1) ديورانت، مرجع سابق، مج2، ج3، 8، ص ص 62-63؛ ستينبيتش، مرجع سابق، ص ص 124-129 .

(2) نفسه .

بربات الفنون التسع يرجع إلى اهتمام أعضائه في البدء بمناهج الدراسة الأدبية والفنون، فدار العلم في الأساس كانت معبداً لإلهات العلوم والفنون والموسيقى، وأوجه النشاط الثقافي الكثيرة التي تناصرها، وتجرى فيها أشكال من الأنشطة الأدبية والعلمية، ولهذا كان رئيس هذا المعبد من الناحية الرسمية كاهناً دينياً في البداية، ثم أصبح للدار عميد تشير الشواهد إلى أنه كان كذلك أحياناً على الأقل يشغل في الوقت نفسه منصب كبير حكام الإسكندرية، وأصبحت مع الوقت أشبه بالأكاديمية أو المعهد العلمي، وغدت لها سمعة عالية، ومع استمرار السياسة البطلمية في جذب البارزين إليها، كان يقيم فيها على نفقة الدولة عدداً كبيراً من العلماء والأدباء لا تجبى منهم الضرائب، إذ كانت توفر لهم المسكن والطعام بحيث يمكنهم التفرغ تماماً لأبحاثهم ودراساتهم دون أن يضطروا للقيام بأى عمل آخر، واستمر يعيش فيها أربع طوائف من العلماء، فلكيين وكتاب وعلماء في الطبيعة وأطباء، وكان هؤلاء معظمهم من الإغريق، ويبدو أنه خصصت في دار العلم لكل فرع من فروع العلم؛ الفلك والتشريح والطبيعة والميكانيكا قاعة أو أكثر، زودت بما يلزم من الأدوات والأجهزة، وأما علماء الأحياء فكانت لديهم حدائق فسيحة تضم مختلف أنواع النبات والحيوان ولاسيما النادر منها (1) .

بقي البطالمة ينزلون في دار العلم رجال الأدب في عصرهم، ويوفرون لهم أود معيشتهم، ويعفونهم من الضرائب وسائر الالتزامات الأخرى، ويكلفون موظفين معينين برعاية شؤونهم المادية، وذلك لكي يتوفروا على البحث العلمي والتأليف " أنشأ بطلميوس بيتاً لربات الفنون والعلوم، وأكبر الظن أن مستشاره ديمتريوس قد ألهم نشاط أرسطو في جمع الكتب وضروب المعرفة وأنواع الحيوان والنبات ودراساتير الحكم، وتصنيف ما جمعه منها، فأشار على ما يظهر بأن تقام طائفة من المباني لا تتسع لإيواء مجموعة عظيمة من الكتب فحسب، بل تتسع فوق ذلك لإيواء الذين يمضون حياتهم في البحث العلمي، فكان العلماء يقيمون بها، والحكومة تنفق عليهم، وبلغ عددهم مائة عالم، وإذا كان بعضهم يقومون بأداء واجبات خاصة يعهد بها الملوك إليهم، كتنظيم المكتبة أو الإشراف على الخدمات التعليمية، أو حتى تعليم أبنائهم، كما استمر العلماء يتلقون العطاءات والامتيازات المختلفة كالإعفاء من الضرائب وتناول الطعام في الموسيون دون مقابل، وأعفو من الضرائب العامة، وكانوا يشرفون على المرصد وقاعة التشريح،

(1) نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ج4، ص ص 226-227 ; Preaux, Grecs en Egypte, p. 69

ويختار منهم مرتبو الأمراء، ووفر لهم البطالمة كل ما يطلبون من مال ونفقات للبحث ومخطوطات، ووقت ومساعدين لهم، وكان التعليم حقاً لهم لا واجباً مفروضاً عليهم " (1) .

فى واقع الأمر كانت دار العلم عبارة عن مركز أبحاث أكثر منها مركز للتعليم، أقام فيها من ثلاثين إلى أربعين عالماً بشكل دائم، وأقيم المبنى فى ساحة القصر الملكى فى حى البركيون، وكان يتكون من مبنى رئيسى به أروقة وممشى مسقوف، ومبنى كبير يتناول فيه أعضاءه طعامهم معاً كما يذكر الجغرافى والمؤرخ الإغريقى أسترابو Strabo الذى زاره فى نهاية القرن الأول ق.م، ويذكر أيضاً أنه كان للموسيون رئيس يلقب بالكاهن مايؤكد نشأته الدينية بوصفه معبداً فى البداية، لذلك كانت هناك هبات وأموال عامة موقوفة عليه كالمعابد، ثم أصبح هناك بعد ذلك رئيس إدارى بخلاف الرئيس الكاهن الدينى، أن المعلومات عن دار العلم وكل ما يمكن ان يستمد عن نظمها ومبانيها، هو أنها كانت تؤلف جزءاً من الحى الملكى، وتتألف من منتزه وأروقة ومبنى كبير واحد أو مجموعة من المباني تضم قاعات للبحوث العلمية فضلاً عن وجود أماكن لإقامة العلماء الذين كان يتألف منهم أعضاء الدار، وكانت تحتوى على ردهة عامة يلوح أن العلماء كانوا يتناولون فيها الطعام، وقاعة للمحاضرات وبهواً ورواقاً وحديقة ومرصداً فلكية والمكتبة الكبرى . (2) .

كان جزء من القصور الملكية، ويشتمل على منتزه وممشى به مقاعد، وقاعة كبيرة وفناء واسع لاجتماع العلماء أعضاء الموسييوم، وكان الأعضاء العلماء يتناولون طعامهم بقاعة الطعام داخل المبنى، وإن دائرة نشاطهم كانت تنحصر داخله ولا يغادرونه، ويتقاضون راتباً من الدولة، والباحثون يعيشون داخل الموسيون حياة آمنة، منصرفين ومتفرغين تماماً للبحث العلمى والإطلاع، ومغفون من جميع الأعباء وكافة الضرائب، يعملون فى هذه المؤسسة على حساب بظلميوس متحررين من ما يشغلهم، ومن دون أن يقوموا بشئ آخر إلا البحث، وأن الملوك كانوا يدفعون لهؤلاء العلماء مرتبات سخية، ويوفرون لهم كل حاجاتهم المادية ويعفونهم من دفع الضرائب، وأداء أي عمل يصرفهم عن بحوثهم، وكانوا جميعاً يتقاضون مرتبات من الخزانة الملكية، وكان عدد أعضائه يتراوح بين الثلاثين والأربعين عالم، ولم تكن مهمتهم أن

(1) أبوالعطا، مرجع سابق، ص ص 19 - 20 .

(2) Erskine Andrew, Culture and Power in Ptolemaic Egypt: The Museum and Library of Alexandria.

Greece and Rome, vol xlii. Oxford uni, press, 1955, pp. 38- 48 .

يعلموا الطلاب، بل أن يتوافروا على البحوث والدراسات وإجراء التجارب، ولما أن تضاعف عدد الطلاب في المعهد في العقود التالية، قام أعضاؤه بإلقاء المحاضرات، ولكنه بقي إلى آخر أيامه مركزاً للبحوث وللدراسات أكثر منه معهداً أو جامعة للطلاب (1) .

طوال عهود البطالمة أُنفقت الأموال والمكافآت على الموسيقيين والمكتبة وسجلوا أساتذتها المنقطعين للبحث، أهم المكتشفات والتأليف، وبفضل مالقته البحوث من التسهيلات برز الكثير من الرياضيين والفلكيين والمتخصصين في العلوم الطبية، وذاع صيت مدرسة الطب الإسكندرية ولا سيما في التشريح والجراحة، وفي العلوم الطبيعية والإنسانية؛ الفيزياء والكيمياء والأحياء وعلوم اللغة والنقد الفيلولوجي والتاريخ والجغرافيا والمكتبات، ففي هذه الجامعة درّس كاليماخوس وأبولونيوس وأقليدس وأرخميدس، واستطاع إراتوستينيس الكوريني أن يقيس محيط الكرة الأرضية، وتوصل أريستارخوس أن يكتشف دوران الأرض حول الشمس، ولم تكن فروض هؤلاء العلماء مجرد حدس وتخمينات، وإنما كانت مبنية على التجربة والمشاهدة (2) .

حتى أواخر عهد البطالمة ظل نشاط دار العلم، بدليل تدفق الدراسين إليها من كل مكان، وإن كان ذلك لا يستتبع بالضرورة أن مستواها العلمي استمر بنفس المستوى في جميع الظروف، وباستثناء بعض الفترات من الاضطرابات شهدتها الإسكندرية، ونتيجة لذلك رحل عنها بعض من علمائها وأساتذتها، ولا شك أن مستوى الحركة العلمية فيها قد تأثر بفقدان هؤلاء، إذ ليس من الخطأ الافتراض أن هذا الأمر قد أفضى إلى تراجعها كنتيجة لذلك، خاصة بعدما عاشته المدينة من أحداث توالى عليها، ولكن مع هذا لا يدل ذلك على أن المستوى العلمي للدار تراجع كثيراً عما كان عليه طوال القرن الثالث والثاني ق.م. حين بلغت منجزات تلاميذها في مجال الهندسة والطب بوجه خاص أرفع درجات آنذاك، وإن المقارنة بين الإسكندرية وغيرها من مراكز العلم في العالم الهيلينيستي، تؤكد أن دار العلم احتفظت بدورها حتى فترة متأخرة، وأنه لا يزال أرقى مستوى عرفه العالم القديم (3) .

(1) Blum, Ibid, pp. 755- 794

(2) Elaabadi, Ibid, p. 97: Athenaeus, V, A. 196- B. 203; Rostovtzeff, Hellenistic World, (Journ. of Greek Studies) No. 22, 1932, pp. 135- 160 .

(3) موسوعة كيمبردج في التاريخ القديم، (إن لتارن)، ج7، بيروت، دار المعرفة، ص ص 220-227 .

فى الواقع استمرت دار العلم تُقدم خدماتها إلى عهد متأخر من العهد الرومانى، وظل يرحب فيها بالباحثين على اختلاف اجناسهم، ولم يكن يشترط لقبولهم فيها أى شروط، وبدأ الجميع يتوافدون إليها، وجل النشاط العلمى ظل فى نطاقها، ويبدو أن التوسع فى عضوية الدار بعد ذلك بدأ يتخذ أتجاهاً آخر، وهو جعل العضوية فيها شرفية أو فخرية بالنسبة لبعض الشخصيات البارزة، مثل الحكام وكبار رجال الإدارة والجيش والأبطال الرياضيين " إن الإمبراطور هادريان كان من المعجبين والمتحمسين للحضارة الإغريقية، زار الموسيون وشهد بعض ندوات العلماء والفلاسفة هناك واشترك فى مناقشاتهم، وبمناسبة هذه الزيارة زاد عدد العلماء بتعيين كثير من الأساتذة والفلاسفة، ومنهم بعض من الفلاسفة المتجولين الذين لا يقيمون فى الإسكندرية، فكانوا أشبه بأعضاء مراسلين للموسيون، وأن مفكرون وعلماء محليون أسكندريون هم الذين أصبحوا قوامها بوجه عام، وصارت الإسكندرية مدينة الفلاسفة بعد أن ظلت زمناً مدينة العلماء والأدباء " (1) .

فتح البطالمة قصورهم كما فتحوا المؤسسات التى شيدها أمام الجميع، وتدفق عليها الأدباء والعلماء من كل مكان، وفى كل فرع من فروع المعرفة، وبعد تشييدهم لدار العلم، أنشأوا بقربها المكتبة، والتى كانت فى البداية جزءاً منها ثم أصبحت فى وقت لاحق ملحق بها، لقدصارت لدار العلم مكتبتها الضخمة، التى فاقت شهرتها شهرة الدار نفسها فيما بعد، وظلت هذه المؤسسات العلمية وثيقة العلاقة فيما بينها، وامتداداً كذلك لأكاديميات عريقة أخرى فى العالم الإغريقى، فالمستشار السياسى الفاليرى الذى عينه بطلميوس ليكون شريكه فى التأسيس من أتباع اللوكيوم، كان ماهراً فى معرفة نظامها ومقاصدها، درس الفلسفة المشائية بمدرسة أرسطو، وظل همزة الوصل بينها وبين أكاديمية أثينا، فبناء جامعة على هذا الطراز والنمط يدل على العلاقات العلمية الوطيدة من ناحية، ومن ناحية أخرى تعتبر دعامة ثقافية يعتد بها لخدمة الأغراض السياسية، وحد العلم أول مؤسسة علمية أقامتها دولة للعمل على تقدم العلوم والآداب، وكانت أهم ما أفاده تاريخ البحث والتعليم (2) .

(1) العبادى، مصطفى، العصر الهلينستى، ص ص 143-145؛ بدوى، تاريخ الفلسفة، ج2، ص ص 23-24؛ Athenaeus, I, 10 .
Parson, Ibid, pp. 9 ff .

(2) Erskine, Ibid, vol xlii., pp. 38- 48 .

ثانياً: مكتبة الإسكندرية (المكتبة الكبرى):

بنى البطالمة مكتبات قُدرت الكتب التي احتوتها بنصف مليون مخطوط، وكانت مفتوحة أمام العلماء والباحثين لممارسة نشاطهم العلمي، والمكتبة الأولى المعروفة بمكتبة الإسكندرية *Bibliothèque* أو بالمكتبة الكبرى، شيدت في حي البروكيون *Broucheion* وهو أهم أحياء الإسكندرية وأكثرها رقياً، ومنه أخذت اسمها، حيث تقع في القصر الملكي نفسه، وشكلت جانباً من دار العلم، إذ بدأت كملحق بها فلم تكن في البداية سوى جزء منها، ثم صارت الأساس بما حوت من مخطوطات ومجلدات قيمة المصدر للدراسات التي قام بها علمائها بعد ذلك، ومورداً زاخراً سهلت عليهم القيام ببحوثهم ومهامهم، بما عملت على جمعه وتقديمه لهم، فكان القصد من إعمارها لخدمة المؤسسة الأم، وبهدف ان يجعلوا منها مكتبة جامعة لكل التراث الإغريقي الإنساني، ثم صارت هي نفسها مؤسسة ثقافية ضخمة ضمت كل الثقافات، ووضع بطلميوس الأول ميزانية تحت تصرف مستشاريه لجمع ما يمكن جمعه من كل أنحاء العالم بكل الوسائل والطرق؛ بالشراء والنسخ المنظم، وبذل هؤلاء جهود كبيرة في سبيل جمع أكبر قدر من الكتب (اللفافات البريدية)، ولاشك استخدم البطالمة طرقاً ووسائل متعددة لتزويد المكتبة بهذا الكم الهائل، ومعظمها كانت تجلب من أسواق أثينا ورودى (1).

كانت المجلدات قبل إيداعها المكتبة تحفظ لفترة في المخازن الخاصة، ثم تصنف بعد ذلك تصنيفاً مبدئياً وفقاً للمصدر الذي وردت منه، مثل تلك التي جأت عن طريق السفن، أو وفقاً للتصويبات المدونة عليها من صاحبها، وبعد إيداعها في المكتبة يتم تصنيفها مرة أخرى أبجدياً تبعاً لاسم المؤلف أو الموضوع، ووفقاً لقوائم، وتدوين الطريقة التي استعملت للحصول على المجلدات بخط جميل كانت متبعة في عهد بطلميوس الثالث، مما يدل على الأهمية التي تظهر في العناية بالكتب، واهتمام المشرفين عليها بالمؤلفات المدونة باللغات الأخرى غير الإغريقية والترجمة منها، ليجعلوا علوم العالم الخارجي في متناول أيدي العلماء وبلغتهم الإغريقية، فضمت المكتبة كتباً تمت ترجمتها عن لغات أخرى، منها اللغة المصرية الهيروغليفية، والبابلية والهندية والفارسية والفينيقية واليهودية، وحفظت البريديات التي حوتها معلومات عن تاريخ العلوم السابقة، وكانت الدافع إلى متابعة أبحاث أخرى في كل ميادين العلم، ولذلك اعتبرت

(1) يحيى، لطفى عبد الوهاب، مرجع سابق، ص 186-187؛ العبادى، العصر الهيلنستى، 143-144 .

النواة الأولى نحو حرية العلم التي تميز بها العهد الهيلينيستي، فالمكتبة التي أسسها البطالمة في عاصمتهم الإسكندرية، احتلت مكانة كبرى ليس فقط بين المكتبات الإغريقية، بل في كل العالم الإغريقي والروماني، وهذا ما جعلها تصل لذات المكانة التي وصلتها أثينا في القرون السابقة (1) .

أطلق على المكتبة عدة أسماء منها الكبرى والرئيسية والأم، أما تاريخ تأسيسها فهناك إجماع على انها تأسست في سنة 285 ق.م. وأن المستشار الفاليري من فاليريومي حوالي 350-285 ق.م. ساعد وشارك بطلميوس الأول في تخطيطها، فهو الذي أقنعه بتنفيذها وإنشاءها ليحل محل الإسكندرية منافسة لأثينا في العلوم والآداب والفلسفة الإغريقية، وهو من قام بشراء الجزء الأكبر من مكتبة أرسطو من تلميذه نيلوس لمكتبتها، ويقول أسترابون أن رسطو أول من أقتنى مجموعة من الكتب، وأنه أول من علم الملوك كيفية إنشاء المكتبات، بمعنى أن أرسطو قد أوحى للبطالمة بفكرة تأسيس المكتبة الشهيرة، وتعتبر أغلب المصادر أن بطلميوس الأول المؤسس لها، لكن بعض منها نسبتها إلى ابنه بطلميوس الثاني الذي قام بتطويرها، حيث أصبحت أفضل مما كانت عليه في عهد والده، الأمر الذي جعل بعض المؤرخين يعتبرونه هو المؤسس الفعلي للمكتبة، وديمترئوس كذلك من المؤسسين الفعليين، وصاحب المجهود والدور الأكبر في التأسيس، بل إن بعض من المؤرخين يعتبره المؤسس الحقيقي وصاحب الفضل، وأنه أول من أشرف عليها ونظمها وأعطاهم بعدها العلمي والثقافي، فهو أول من جمع نواة الثقافة المعاصرة من الكتب (اللفافات) من العالم الإغريقي (2) .

بنى بطلميوس الأول الموسيون وألحق به المكتبة، وقام خلفه بطلميوس الثاني بأغنائها وهي بمفردها جعلت من الإسكندرية بؤرة التفوق العلمي والأدبي، ووريثة أثينا في مكانتها العلمية، والثقافة الإغريقية نفسها في دولة البطالمة لم تكن وافدة، ولم تكن إغريقية صميمة، ولكنها ظلت تدور في فلك التراث الإغريقي، ولاشك أنها اعتبرت تطوراً طبيعياً وضرورياً لثقافات القدماء، واتخذت لنفسها اتجاهاً مختلفاً، وأصبحت صاحبة الأثر في تنمية الفكر الإغريقي وحفظه، ولم يكن ذلك الأثر مقصوراً عليها، ولم يكن

(1) نفسه، ص ص 156-158: الموسوعة المصرية، مج 1، ج 2، ص 442؛ Strabo, XV, II, 1. 8 ; 20-2 ; Bevan, Ibid, pp. 236 . Oxford Classical Dictionary, s. v; Tarn, Ibid, p.

(2) يحيى، لطفى عبدالوهاب، مرجع سابق، ص 189؛ Westerman, Ibid, pp. 1- 16

محبياً بل عالمياً، ولقد استطاع البطالمة وخاصة الأول والثاني أن يحشدوا عدداً كبيراً من العلماء ذوى المكانة العلمية الرفيعة للعمل فى المكتبة، وكانت الدولة تجزل لهم المرتبات بالإضافة للمعيشة والسكن حتى يتفرغوا لأعمالهم الموكلة إليهم، ويقوم بالإشراف عليهم رئيس يتم تعيينه من قبل الملوك (1) .

ارتبط تاريخ المكتبة بمجموعة رؤساء من رجال العلم والأدب تعاقبوا على رئاستها خلال الفترات المختلفة، فقد عهد بإدارة هذه الخزانة العلمية الفارحة إلى متخصصين لامعين من كل العالم الإغريقى، ووفقاً لبردية أوكسيرنخوس، فهم على التوالى؛ زينودوتوس الأفسوسى أول رئيس للمكتبة، وأبولونيوس الرودى الذى فى عهد رئاسته نظم الشاعر كاليمachus الكورينى قوائم مكتبة الإسكندرية، وإراتوستينيس الكورينى، وأريستوفانيس البيزنطى، وأرستارخوس الساموتراقى، ومن الأدلة على قيمة منصب رئيس المكتبة فى البلاط البطلمى، أنه أصبح من التقاليد الموروثة أن يتولى أمر تربية أبناء الملك رئيس المكتبة، ولهذا تولى زينودوتوس تربية أولاد بطلميوس الأول، وأشرف أبولونيوس الرودى على تربية بطلميوس الثالث، وعهد إلى إراتوستينيس بتربية بطلميوس الرابع، كما كان إرستارخوس معلماً لبطلميوس الخامس، ويذكر ان أبولونيوس وإرستارخوس الساموتراقى قد قاما بهذه المهمة أيضاً، فكان الأول معلماً لبطلميوس الثالث، والثانى معلماً لابناء بطلميوس السادس (2) .

أهم ما يميز تاريخ المكتبة أن من تولى رئاستها كانوا علماء وأدباء، وبعض من الشعراء المشاهير الذين عملوا فى داخلها وظائف رئيسية مختلفة، ويأتى على رأس هؤلاء كاليمachus الكورينى وعالم الجغرافيا، مؤلف الكتاب المعروف باسم البيناكس (3) الذى يعتبر أهم أعماله، ويعنى بالملاحظات وقوائم مؤلفات

(1) درس كاليمachus فى صباه على يد الفيلسوف براكسيانيس نهاية القرن الرابع وبداية القرن الثالث ق.م. ثم عمل بالتدريس فى ضاحية إليوسيس بضواحي الإسكندرية حوالى عام 208، واستطاع أن يلفت نظر الملك بطلميوس الثالث الذى ضمه لبلاطه حوالى عام 276 حيث تربع على عرش الشعر وظل يحتل المرتبة الأولى بين شعراء عصره حتى وفاته 240، ألف كاليمachus أعمالاً عديدة، وينسب إليه أكثر من ثمانمائة عمل، وأكثرها شهرة قصيدة الأسباب وتقع فى حوالى سبعة آلاف بيت . الموسوعة المصرية، مرجع سابق، مج 1، ج 2، ص 598؛ ستيتيفيتش، مرجع سابق، ص ص 127-128 .

(2) Encyclopedia of Library and Callimachus, Information Science, I, pp. 403 ff .

(3) يوصف البيناكس بأنه فهرس، إلا أنه اشمل، لأنه أول عمل ببليوجرافى منظم، ولا بد أن قد استخدمه العلماء والباحثون فى الموسيون، وكان الأداة العملية لاستخدام المكتبة، والسبب فى عمل الفهرس راجع إلى كثرة اللقافات البردية، ففى كل عمل من الأعمال المختلفة وضع الترتيب أبجدياً أو موضوعياً أو زمنياً، مقدماً لكل مؤلف ترجمة مختصرة له تشمل مكان الولادة واسم الأب، ثم يتبع ذلك ببعض المعلومات الإضافية مثل أساتذة المؤلف أو المدارس التى تعلم فيها، ثم عناوين كتبه مرتبة هجائياً، ثم بملاحظات وتعليقات حول صحة نسب الكتب إلى مؤلفيها، وختاماً يذكر عنوان الكتاب ومقدمته وعدد أسطره، وعلى هذا فإن البيناكس كان معلماً ببليوجرافياً للأدب الإغريقى . أبو العطا، مرجع سابق، ص ص 23-36 .

الكتاب اللامعين فى كل فروع المعرفة، وهو فهرس منظم لكل محتويات المكتبة، وأول عمل بيبليوغرافى فى التاريخ، ورغم أنه لم تصل منه سوى قطع صغيرة، إلا انها توضح أنه كان عمل يقع فى 120 لفافة، واستخدم كفهرس للمكتبة، ومصدراً بيبليوغرافياً عن كل الكتب التى دونت فى الأدب الإغريقى حتى ذلك الوقت، فلقد كان مصنفاً ومفهرساً أيضاً، قسم اللفافات إلى مجموعات، والفهرس إلى أقسام رئيسية، اختلف المؤرخون فى عددها، ومنها الخطابة، التاريخ، القانون، الفلسفة، الطب، الشعر الملحمى، التراجيديا، متفرقات، وعلى ذلك فإن اللفافات ربما كانت مصنفة إلى عشرة مجموعات رئيسية أو أكثر، والرئيسية قسمت إلى فرعية وصلت إلى مائة وعشرين موضوعاً، وزعت عليها اللفافات على رفوف المكتبة وفضائلها، ولذلك لُقّب كالليماخوس بأبى البيبليوغرافيا، ويُذكر بأنه قام بتسجيل عشرين فى المائة من محتويات المكتبة، وترجع شهرته كذلك إلى اعماله الشعرية التى تبقى منها قدر فى هيئتها الكاملة، وكان نشيطاً فى خدمة البلاط الملكى البطلمى فى عهد بطليموس الثانى، فألحقه بالعمل بالمكتبة فى فترة رئاسة أبولونيوس الرودسى، وربما يعود السبب فى عدم شغله لرئاسة المكتبة أنه كان متفرغاً للتأليف، ومن تلامذته الذين توالوا على رئاستها إراتوستينيس الكورينى واريستوفانيس البيزنطى (1) .

إن مكتبة الإسكندرية كانت مرتبة ومنظمة، وقام الإسكندر الأيتولى بتصنيف وترتيب مؤلفات لشعراء التراجيديا والمسرحيات، وعهد كالليماخوس إلى زينودوتوس ومعاصروه أمثال الأيتولى وليكوفرون بالتحقيقات النصية للشعر الإغريقى، وبعد وفاته أكمل عمله بعض تلامذته، ومنهم أريستوفانيس البيزنطى وأريستارخوس الساموتراقى، أما عن ترتيب اللفافات على رفوف المكتبة، فكانت تصنف حسب موضوعاتها، ولذلك كانت تجمع فى حزم منفصلة عن بعضها، على أن توضع أفقية على الرفوف بحيث لا تنزلق اللفافات المتشابهة، بوضع فواصل وتقسيم الرفوف إلى أقسام طبقاً لاحتياجات المكتبة، أما فى حالة وجود عنوان فيوضع فى آخر اللفافة، لأن ذلك هو أول ما يُقرأ عندما تُفتح اللفافة (2) .

إلى جانب المكتبة الكبرى الرئيسية اقيمت مكتبة فرعية اخرى عرفت باسم Sarapeion نسبة إلى

(1) الخولى، أمين (وآخرون)، تاريخ الحضارة المصرية" العصر اليونانى والرومانى والإسلامى"، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 1960، ص ص 2-7؛ يحيى، لطفى عبد الوهاب، مرجع السابق، ص ص 189-190 .

(2) أبو العطا، مرجع سابق، ص ص 23-36 .

المعبد، وتقع بحى راكوتيس " لأن ذلك الملك بطلميوس الذى كان على معرفة بالفلاسفة وغيرهم من المؤلفين المشهورين، بعد أن اقتنى الكتب- ودفع ثمنها من الأموال الملكية من أرجاء العالم، أنشأ مكتبتين واحدة خارج القصر، وشيدت بعد أن ضاقت المكتبة الأولى بما فيها من مجلدات مما استدعى إنشاء الأخرى، وعرفت باسم المكتبة الصغرى، تمييزاً لها عن الكبرى " (1) وعلى هذا كان المقصود بمكتبة الإسكندرية مكتبتان لا واحدة؛ الأولى الكبرى والثانية الصغرى التى توجد خارج القصر والمعروفة بالفرعية أو السيرابيون، أما معبد السيرابيون فقد اكتمل بنائه فى عهد بطلميوس الثالث، والمكتبة كانت توجد فى ممر سفلى نحت فى الصخر ومكسو بالحجر الجبرى، وكانت اللقافات البردية تحفظ فى المربعات المحفورة فى جدرانها، وبها عدد من المقاعد كانت مخصصة للقراء، وازدادت أهمية هذه المكتبة الصغرى بعد أن زودتها المكتبة الرئيسية بحوالى أثنان وأربعون ألف مجلد من النسخ المكررة من المؤلفات التى كانت توجد فيها، وبذلك أتاحت هذه المكتبة الفرعية مكان فى المكتبة الرئيسية للكتب الجديدة (2) .

بالنسبة إلى مجموع محتويات المكتبتين التى ذكرها المؤرخين من مجلدات ومخطوطات، فتعددت التقديرات، لكن أقربها إلى الواقع هو احتوائها فى نهاية حكم بطلميوس الثانى على خمسمائة لفافة بردية، ويقدر البعض عدد المجلدات فى المكتبة الرئيسية بأربعمائة لفافة على الأقل، وفى الصغرى ثلاثمائة لفافة، ليصبح مجموع محتويات المكتبتين سبعمائة لفافة، وكان هناك نوعين من اللقافات إحداها مختلطة، والثانية غير مختلطة أو مفردة، والمقصود بالمختلطة هى لفافة بردية تحتوى على عدة أعمال لمؤلف واحد أو لأكثر من مؤلف، أما الغير مختلطة أو المفردة فهى لفافة بردية تحتوى على عمل واحد للمؤلف أو أجزاء من العمل، وكانت المؤلفات تنسخ على ورق البردى، وفرضوا على كل من يتعلم بالإسكندرية أو يزورها من العلماء أن يهدى إلى دار كتبها نسخة من كل ما يؤلف من كتب، وبهذا الأسلوب زادت حصيلة المكتبة من الكتب، وهذا الأمر يفسر كيف جُمعت مجموعات هائلة من كتب الأمم القديمة (3) .

(1) نفسه ; العبادى، لعصر الهيلنستى، ص ص 56 - 57 .

(2) Diod, III, 36, 3; Jouguet, Trois. Et., p. 116 .

(3) يحيى، لطفى عبد الوهاب، مرجع سابق، ص ص 190 - 191 Josephos, Ibid, p. 228; Westermann, Ibid, p. 9;

Antic Jud., XII, 3, 1; Sarton, Ibid, p. 32 .

احتوت المكتبة وفق التقديرات على أربعمئة ألف مصنف، ولهذا كان يُعتقد أنها جمعت كل الإنتاج الإغريقي والشرقي للكتاب القدامى، وعلى الرغم من بروز العديد من المكتبات في تلك الفترة إلا أن الملفات والجديد الذي ميّز مكتبة الإسكندرية عن غيرها من السابقات واللاحقات في القرن الثالث هو ظهور فئات وحلقات من العلماء والباحثين الذين كان عملهم الخدمة في المكتبة، وكذلك إلى كم وكيف الكتب والأصول التي حوتها، واتاحت تلك الأجواء الفرص للبحوث العلمية أن تزدهر بما لها من طبيعة احتوائها على مجموعات للمعارف للباحثين والطلاب في أي ميدان، وفسحت الطريق بذلك أمام هذا التراث الفكري كي يبقى ويمتد أثره وينتشر بلا عائق، بما تجمع من خلاصات وإنجازات النابغين في شتى مجالات العلوم والآداب والفنون (1) .

في الواقع لم تكن المكتبة مكتبة عادية بأي حال من الأحوال في تصميمها ومحتواها، وكما يذكر باوزان، فقد كانت عبارة عن قصر ضخم مزين بشكل فخم بالأعمدة والتماثيل والرسوم، وتوجد مدفأتان لهما مدخنتان تمران خلال الحوائط بمواسير لتوزيع الهواء الحار على الغرف، أي تدفئة مركزية ربما تكون هذه هي بداية مكتبة الإسكندرية، حيث تعمل التدفئة المركزية على حماية الكتب من رطوبة الجو، وكان بها موظفون يؤدون الأعمال التي يقوم بها أمناء المكتبات اليوم، إلى جانب الكتابة والقائمين بأعمال التجليد، وغيرهم ممن يقومون برعاية الكتب والاعتناء بها، وخدمة أعضاء المكتبة ومرتابيها، وتخصيص قاعات وردهاة للعلماء، كما كان لها نظم خاصة لتنظيم وتصنيف الكتب، وطرق للكشف عنها، وكان لكل قسم سجل مفهرس لمجموعات الكتب، ويبدو أنه كان يوجد فيها قسم خاص باستقبال الكتب الجديدة، وأنه في هذا القسم كان يُسجل على كل كتاب مصدر الحصول عليه، وأنه بعد ذلك تُرسل إلى المكتبة ذاتها حيث تسجل في فهارسها، وإلى جانب أمناء المكتبة والعلماء الذين كانوا يشرفون على نسخ المؤلفات، وعلى وضع الفهارس الخاصة بالمؤلفات والمجموعات في الرفوف الخاصة، استخدموا فيها مئات من الباحثين والنساخين، فقد كان فيها الكثير من النساخ والمصححين والمنقحين (2) .

" . . . وإنه لتطوف بالخيال صورة طائفة كبيرة من النساخين لعلمهم من العبيد أو المستأجرين ينسخون

(1) بدوى، مرجع سابق، ج2، 23-24؛ يحيى، لطفى عبدالوهاب، مرجع سابق، ص ص 191-192؛ نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ص 56؛ Edwards. F., Libraries and Founders of Libraries. Newyork, Burt Franklin, 1996, pp. 6-7 . Blum, Ibid, pp. 104- 113 .

(2) Idem .

صوراً ثانية من أصول الكتب القيمة، ومعهم عدد لا يُحصى من العلماء يقسمونها إلى مجموعات، وبعض هؤلاء الرجال هم من كتبوا تواريخ مختلف الآداب والعلوم، وكلف آخرون تلاميذهم بإعادة النظر في النسخ وتصحيحها، وبعضهم يخرجون مجلدات من الروائع القيمة، ومنهم من كانوا يكتبون تعليقات وشروحات للنصوص ليستتير بها غير الإخصائيين وقراء الأجيال التالية، ومنذ ذلك الوقت برز حرص متزايد على تنقيح المخطوطات للوصول إلى النصوص الأصلية، لقطع الطريق على إساءة النساخ إلى المؤلفات التي ينسخونها، إذ أن التشويه وصل في بعض المؤلفات إلى الحد الذي أستحال معه الوصول إلى الأصل، وقد كان يوجد بالطبع الكثير من النسخ المتكررة، والروايات المتعددة للعمل الواحد، تلك التي كانت تفيد العلماء لإنجاز نسخات محققة للمؤلفات القديمة، وقد كان هناك حلقات كاملة من العلماء تعمل في إصدار النسخ المحققة للكتاب القدماء " (1) .

بالاستناد إلى وصف كتاب العصر الهيلينيستي، فإن كتب المكتبة توزعت على عشر قاعات ضخمة مليئة بالرفوف التي تحمل اللقافات، ويذهب إلى القاعات العلماء، حيث يستخدمون الكتب ويتناقشون حولها، وتقوم المكتبة بمهمة نسخ المخطوطات التي لديها، وتبيعها أو تمنحها للعلماء، وتصدرها كذلك إلى مراكز الثقافة الإغريقية، وإلى روما فيما بعد، ولأجل ذلك كانت الكتب تُشترى بأي ثمن حسب خطة منظمة، وتُجمع بأشكال شتى وبكل الطرق المخطوطات النادرة الموجودة في ذلك الوقت من كل مكان، أما الكتب التي لم يكن في الإمكان شراؤها أو بيعها فقد كانت تُنسخ، وبواسطة هذا العمل وصلت الكثير من المؤلفات الإغريقية وغير الإغريقية على الصورة التي تُعرف اليوم، وفي الواقع كان إصدار النسخات المحققة من أهم الأعمال التي قام بها المحققون بالمكتبة، وبذلك أسدى هؤلاء العلماء الذين عملوا بمكتبة الإسكندرية خدمات كبيرة للعلم والتعليم، إذ أنهم لم يقصروا عنايتهم على وضع فهرس للكتب، بل وضعوا الأسس لعلم التصنيف وتحقيق النصوص والنقد الأدبي، وكانوا عند دراسة أي نص يهتمون أولاً بتحقيق قيمته، ثم بشرح لغته، وبعد ذلك بتفسير الموضوعات التي يتناولها، وأصدرت المكتبة قرارات ونشرات وبحوث تبين الاستعمال الصحيح للألفاظ والعبارات الإغريقية القديمة، ففي هذه المكتبة وضعت أسس علم التصنيف، ونقد النصوص، كما وضعت قوائم للمؤلفات الإغريقية الأدبية (2) .

(1) ديورانت، مرجع سابق، مج2، ج3، ص 90-91 . (2) نفسه، ص 92 .

في مكتبة الإسكندرية وضعت أصول علم التصنيف، ووضعت قواعد نقد النصوص الأدبية، وقوائم للمؤلفات الأدبية، والبحوث العلمية والفلسفية، ولم تهمل الرياضيات والعلوم البحتة، فلقد تركت الدراسات في النصوص التي أخرجها المؤلفون الكلاسيكيون أثراً انطبعت به، ومقدرة في تفهم المبادئ العلمية، وإدراكاً أدق لروح البحث العلمي، فكان لها في هذا العهد المتأخر اليد الطولي فيما قدمته من مساعدات كبرى في سبيل المساهمة في حفظ أعمال قيمة، وإخراج نصوص معتمدة، أما التعرف على طبيعة هذه المساعدات ومداهها فلا يزال موضع نقاش وجدال، ولكنها بلا شك عظيمة القيمة في التراث الإنساني ثمرة الدراسة والبحث العلمي (1) .

" المكتبة كانت بمثابة مكان للحشود الفكرية لأقسام دار العلم إذ احتاج الأطباء إلى مؤلفات الطبيب هيبوكراتيس ومن جاء بعده، أو الفلكيون في حالة احتياجهم إلى سجلات الأرصاد والنظريات الفلكية الأولى، إذ كان لزاماً على العلماء من رجال دار العلم أن يعرفوا ما وصلت إليه العلوم في الماضي، غير أن ذلك كله لا يعنى بالضرورة أن هذه السجلات والبرديات الأولى مثل السجلات المصرية والبابلية المتعلقة بعلم الفلك والتنجيم، لم تكن جزء من مقتنيات المكتبة، ويلاحظ أن المؤلفات العلمية بدأت تحظى بالاهتمام، وكان من السهل على رجال العلم أن يكون لدى الواحد منهم مجموعة منها سواء في بيوتهم، أو في مختبراتهم، وبالانتقال إلى دائرة المهتمين بالدراسات سواء علمية أو أدبية، أصبحت أهمية المكتبة تزداد بصورة كبيرة مع الوقت، حيث أنها لا تقدم المعلومات فحسب بل تحتوى على أمهات المؤلفات الإنسانية الكبرى، فعلى سبيل المثال يستطيع طلبة التشريح أن يجدوا بالمكتبة كتباً، ولكنهم لن يجدوا أجساماً لتشريحها، وعلى عكس طلبه الأدب إذا أرادوا قراءة الإلياذة أو الأوديسة أو أشعار سيمونيدس وأغاني أناكريون، فسوف يجدون تلك الذخائر بين أيديهم، وربما لم يكن باستطاعتهم أن يعثروا عليها في مكان آخر، وعلى هذا يمكن أن تسمى المكتبة باسم عقل الموسيون، كما يمكن أن يُطلق عليها قلب الدراسات الإنسانية " (2) .

(1) العبادى، مصطفى، مكتبة الإسكندرية القديمة، القاهرة، 1977، ص 10؛ بربو، كلير، اليونانيون في مصر، بروكسل، 1947، ص ص 51-73؛ مجلة الدراسات الهيلينستية، مكتبة الإسكندرية " بزوغها وآثارها ودمارها"، بارسون، 34، 1985، ص ص 15-20 .
(2) مجلة البيان، مكتبة الإسكندرية ودورها الحضارى في حفظ التراث الكلاسيكى وإنعاش الدراسات الأدبية، أحمد عثمان، 176، الكويت، 1980، ص ص 80 - 94 .

اختلفت المصادر القديمة فيما بينها على المؤسس فمنها من اعتبرته بطلميوس الأول، وأخرى اعتبرته الثاني، غير أن صلة الفاليري بمنشأ هذه المؤسسة ومؤسسات أخرى لها علاقة بدار العلم تؤيد الرأي الأول، لأنه فقد مكانته كمستشار في القصر البطلمي منذ أوائل عهد بطلميوس الثاني، ولذلك فإنه يُرجح أن يكون بطلميوس الأول هو الذي حوالي عام 290 ق.م خطا الخطوة الأولى، وبنيت بذلك في عهده، وكذلك يعتبر هذا الفيلسوف الإغريقي المبادر الروحي والمنظم العملي لهذه المكتبة، وكان رجل دولة وكاتب، وتلميذ ثيوفراستوس الرواقى، وممثل النخبة المثقفة في أثينا، ومن زعمائها السياسيين البارزين لمدة عشر سنوات من 317-307 ق.م، ولم يوجد أفضل منه للإشراف على إنشاء المكتبة، والرجل وجد في الإسكندرية مركز الدولة الجديدة، ومركز الحياة الروحية لكل العالم الهيلينيسيتي، ولهذا تعد المكتبة بمثابة إنجاز مشترك لكل من سوتير وفيلادلفوس والفاليري، الذي كان له الفضل في وضع نواتها (1) .

ظل البطالمة يعينون إدارتها شخصيات معروفة في ذلك العصر، فتعاقب على إدارتها والعمل فيها رجال عظام من مستوى كاليماخوس وإراتوستينيس من كورننى، وأرستارخوس من ساموتراقيا وغيرهم، وبسبب هذه السياسة جذبت المكتبة الكثير من العلماء والباحثين من جميع أنحاء دولة البطالمة، ومن العالم الهيلينيسيتي، للبحث والاطلاع والدراسة فيها، كما شجعت لا شك على تكوين العديد من المدارس الأدبية والعلمية التي اشتهرت بها الإسكندرية (2) .

" تختلف المصادر القديمة في اللقب الذي يسمى به أمين المكتبة اختلافاً يصعب معه معرفة لقبه الحقيقي، ولما كان يُعرف أن زنودتوس وأبولونيوس الرودسى وإراتوستينيس وأرستارخوس كانوا معلمي أبناء معاصريهم من البطالمة، فإنه يستخلص من ذلك أن أمين المكتبة كان في الوقت نفسه مُعلماً كذلك لأفراد الأسرة المالكة، ولكن فريزر يروى أن إراتوستينيس وأريستوفانيس البيزنطى لم يكونا من أمناء المكتبة الذين علموا أفراد الأسرة المالكة، و يذكر أن كاليماخوس سواء تولى أو لم يتولى منصب أمين المكتبة فهو الرجل الذي لا يكاد يرد ذكر للمكتبة إلا وتذكر أعماله فيها، إذ يفوق ذكراً عن كل تلك الأسماء، وتكشف وثيقة بردية بأن الذين عينوا أمناء للمكتبة بعد زنودتوس هم أبولونيوس الرودسى وإراتوستينيس وأريستوفانيس البيزنطى الذي علق على فهارس كاليماخوس ويعزى إليه فضل ترتيب

(1) Rostovzeff, Soc & Ec., III, p. 1650 .

(2) Idem ; Athenaeus, I, 3. b.

مؤلفات أفلاطون، ثم أيولونيوس مؤرخ الأدب الإغريقي وأريستارخوس وقوداس Cydas أحد رجال حرس يورجيتس الثاني، وأغفلت هذه البردية ذكر أونيساندروس Onesandros وهو آخر من عُرف أنه تولى منصب أمين المكتبة الكبرى، ويبدو أنه عُين في هذا المنصب لأنه كان من أنصار بطلميوس التاسع وأن التعيين كان عقب استعادة هذا الملك عرشه في عام 88 ق.م " (1) .

استمر البطالمة يعينون لإدارة المكتبة شخصيات أدبية وعلمية مرموقة، فبالإضافة إلى ديمتري وزينودوتوس فقد كان من رؤسائها ؛ الشاعر والنحوي ليكوفرون من هاليكس، والجغرافي والفلكي الشهير إراتوستينيس الكوريني، والناقد اللغوي أريستارخوس، ومن بينهم لابد أن يُذكر بشكل خاص كاليماخوس العالم والشاعر الكوريني المعروف بإنتاجه الغزير، والذي بلغ ثمانمائة كتاب، وصنف هذه المجموعة ونظمها في فهرس عام بلغ عدد ملفاته مائة وعشرين ملفاً، وما لبثت المكتبة بجهود هؤلاء أن زادت على دار العلم في أهميتها وتعلق الناس بها، وأصبح منصب أمين المكتبة من أرفع المناصب عند الملك، ومن اختصاصاته أن يكون المعلم الخاص لولى العهد، وقد بقيت أسماء هؤلاء الأمناء وإن اختلف بعضها عن بعض في المخطوطات المختلفة، وإن اختلف أصولهم ليوجي مرة أخرى بوحدة الثقافة الهيلينية (2) .

ظل للمكتبة أمناؤها من العلماء البارزين الذين اهتموا بأمرها طوال العهد البطلمي، منذ أن أمر سوتير بوضع أساسها، وقام الفاليري بتزويدها بالمجموعة الرئيسية وتولى فيلادلفوس رعاية إكمال العمل، وفي عهد يورجيتس لم يعد قصر البروكيون كافياً لاحتواء كل المؤلفات، فأرسل قسم منها إلى معبد سيرابيس حيث بدأت تتكون منها مكتبة ثانية، إذ بحلول منتصف القرن الثالث أصبح المبنى الأصلي أصغر مما يكفي، فنقلت مجموعة إلى السرابيوم ضمت نحو أثنان وأربعون ألف وثمانمائة نسخة ومخطوط غير مكتمل " ومع حرص البطالمة على تزويدها بأنفس المؤلفات، وأن يسندوا الإشراف عليها إلى علماء مبرزين، وإذا كان بطلميوس الثاني كلاًها برعايته فنمت سريعاً، إلى حد أنه قبل نهاية حكمه ضاق المبنى الأصلي للمكتبة بما فيه من كتب، مما استوجب إنشاء مكتبة ثانية في المعبد عُرفت باسم المكتبة الصغرى، فإلى جانب المكتبة الكبرى الأم التي كانت في جوار الأكاديمية والتي بدأ بنائها بطلميوس الأول وأتمها

(1) Athenaeus, I, 3. B; Fraser, Ibid, I, pp. 330- 335 .

(2) فى أحدث ثبت لها أسماء الستة الأمناء الأولين، وهؤلاء الأمناء على التوالي هم زينودوتوس الإفسوسى 284- 260 ق.م، كاليماخوس الكوريني 260- 240 ق.م، أيولونيوس الرودى 240- 235 ق.م، إراتوستينيس الكوريني 285- 195 ق.م، أرسطوفانيس البيزنطى 195- 180 ق.م، أبولونيوس ايدوجرافوس 180- 160 ق.م، أريستارخوس الساموتراقى 160- 145 ق.م. Idem

بطلميوس الثاني، فقد أسس البطالمة مكتبة أخرى في معبد الإله سيرابيس أو بالقرب منه في الحى المصري المعروف براكوتيس بضواحي المدينة، وفي هذه المكتبة الأصغر التي صارت تدعى سيرابيون، حُفظت النسخ المتكررة من المؤلفات التي كانت في المكتبة الأم، ولذلك يُعتقد أن المكتبة الثانية هي مجرد جزء من مكتبة البروكيوم، وقد بلغ عدد ما فيها من الملفات قبل نهاية حكم فيلادلفوس خمسمائة وأثنان وثلاثون ألف مخطوط او ملف، وذلك يعنى بحسب التقديرات مائة ألف كتاب " (1) .

ظل تكبير المكتبتان فترة من الوقت يقوى عند البطالمة ميلهم للمنافسة، وبالنسبة إلى أعداد الكتب، فإنها ظلت تتزايد، ففي عهد أول رئيس للمكتبة احتوت على نحو مائتا ألف لفافة، أما في عهد ثالث رئيس بلغت أربعمائة وتسعون ألف لفافة، ويوجد لدى بعض من كُتاب العصر القديم مُعطيات متعددة حول عددها، ومنها ما يذكره العالم البيزنطى يوهانس تزتزيس Tzetes، أنه في النصف الثاني للقرن الثالث ق.م. كانت المكتبة الكبرى تحوى أربعمائة وتسعون ألف لفافة، أما أول غل فى القرن الثاني م والمؤرخ أميان مارسلينى القرن الرابع م فيذهبان إلى أنها احتوت على سبعمائة ألف، وفي خلال القرن الأول ق.م. وصل عدد إلى مائتا ألف، وأودع في الصغرى أثنان وأربعون وثمانمائة ألف مجلد، كانت نسخاً مكررة، وذلك لإفساح مكان لكتب أخرى أجدر بالاقتناء، ولتوفير مكتبة ثانية يستطيع القارئ العادي التردد عليها " .. بمضي الزمن نقص عدد المجلدات المختلفة تدريجياً نتيجة نسخها في لفافات بردية متناسبة الحجم، وقد ساد هذا النظام إلى حد أنه عندما أهدى القائد الرومانى انطونيوس إلى كليوباترا مكتبة بروجام تعويضاً لها عن الكتب التي أُحرقت في عهد قيصر، كانت الهدية تتألف من مائتا ألف مجلد بسيط، وكما يرى بلوتارخ: فقد أخذ أنطونيوس مثل هذا العدد من الكتب ليقدمها إلى الملكة كتعويض عن الضرر الذي لحق بمكتبة الإسكندرية " (2) .

الحقيقة يوجد لدى كتاب العصر الهيلينيستي كثير من التفاصيل عن كيفية إغناء البطالمة لمكتبتهم، ومن ذلك ما يُذكر عن شراء مكتبة أرسطو التي حوت مخطوطات أصلية، وبشكل خاص أيضاً وصل إلى المكتبة الكثير من المدن الإغريقية، فقد كانت تجارة الكتب رائجة، وبالإضافة إلى هذا فقد تم شرائها من آسيا الصغرى إلى ماساليا في الغرب، لكن يبدو أن كتب أرسطو كانت أولى المجموعات الخاصة وأشهرها،

(1) Jouguet, Trois Et., p. 116; Diod, III, 36, 3 .

(2) Plutarchus, Loeb Classical Library, VII, 17- VI, 15- 31 .

وفى الإمكان تقدير حجمها وقيمتها من المبلغ الكبير الذى دُفِعَ ثمناً لشرائها، وإن قصة هذه المجموعة وتنقلها من مكان لآخر، ليدل على شغف الملوك البطالمة بأصول الكتب (1) .

" . . . طلب الملك صاحب السلطان المطلق إلى أثينا أن تعيره مخطوطات إيسخيلس وسوفوكليس ويوريبيديس، وأودع لديها مبالغ طائلة ضماناً لعودتها سالمة، فلما أرسلت إليه احتفظ بأصولها ورد إليها نسخاً منها، وأبلغ الأثينيين أن يحتفظوا بالمال جزاء لهم على عملهم، وربما يحدث أن يتبرع أحد من النبلاء والأثرياء عند وفاته بمجموعته الخاصة من المخطوطات في مواضيع متنوعة " (2) .

من الشواهد الدالة على شغف البطالمة بجمع الكتب، أن بطلميوس الثالث أمر أن كل من يصل إلى الإسكندرية يجب أن يودع كتبه في المكتبة، وأن تنسخ منها صورة تُعطى واحدة لصاحبها، وتحتفظ المكتبة بالأصل، وحرص الملوك الذين جاءوا بعده على زيادة مقتنياتها، فكان يُلزم جميع المسافرين القادمين بتسليم ما بحوزتهم، وإن لم تكن هذه الكتب من مصنفاتها، فإنها تحفظ بينما يتلقى صاحبها نسخاً منها، وبحسب ما يُذكر فإن بعض الموظفين الحكوميين كانوا يفتشون السفن الراسية في ميناء الإسكندرية ويأخذون كل ما يجده من كتب، وهذه بعض من أساليب تجميع الكتب عند البطالمة " يتحدث أمونيوس وسنبليقيوس ويحي النحوي و داود الأرمني أن بطلميوس الثاني كان يدفع مبالغ طائلة ثمناً للكتب مما شجع على تزيفها، كما يذكر جالينوس أن أحدهم بلغت به الحماسة لاقتناء الكتب إلى حد أنه حمل كل البحارة الذين يرسون سفنهم في الإسكندرية على أن يأتوه بالكتب، وقد اقتفى بطلميوس الثالث خطوات أسلافه في جمع الكتب واستخدام في ذلك وسائل لا يمكن أن يقره عليها أحداً، فقد أصدر أمراً يحتم على كل القادمين من الخارج ان يسلموا عند وصولهم إلى الإسكندرية كل ما معهم من كتب لا يداعها في المكتبة إذا لم تكن من بين مقتنياتها، على أن تنسخ صورة من كل منها لأربابها بدلاً من النسخ الأصلية، وكانت مثل هذه الكتب توصف بأسماء المكان الذي جاءت منه، للتفريق بينها وبين الكتب التي كان الملك يشتريها من أكبر أسواق الكتب " (3) .

انتشرت فى هذا العهد رغبة وتنافس عند الجميع في اقتناء الكتب، ونشأت فئة تخصصت في نسخ

(1) Idem ; Bevan, Ibid, p. 346 .

(2) ديورانت، مرجع سابق، مج2، ج3، 8، ص ص 88-89؛ بدوى، مرجع سابق، ج2، ص24: العبادى، مرجع سابق ص ص 143-158 .

(3) Parsons, Ibid, pp. 106 ff .

المخطوطات الجديدة وإتلافها، ليبيعوها لجامعي النسخ الأول على أنها نسخ قديمة، أي ظاهرة تزيف الكتب، ويمكن أن تذكر كذلك كظاهرة مصاحبة للأهمية الكبيرة للمكتبة؛ ازدهار تجارة الكتب، وبروز هواة جمعها والمولعين بالمخطوطات ودورهم في تطور إنتاجها ورواج نسخها، ونتيجة لطلباتهم وإقبالهم على شرائها، الأمر الذي أدى إلى رفع قيمتها في نظر القراء، وأصبح نسخ وتزيين الكتب يتم في ورشات خاصة وعمامة، وبعضها مدنى والآخر حكومي يتبع المكتبة، حتى ليقال إن عدد لفائف البردى التي دونت عليها الكتب بلغ سبعمائة ألف، وهو عدد لا يستهان به خاصةً مع صعوبات النسخ، إلى جانب المجموعات الأخرى التي ضمتها أو احتفظت بها مكتبات المعابد والمدارس والقصور في المدن، وكانت بعضها متاحة للدراسين، ومن المصادر الأدبية والعلمية التي حوتها المكتبة الكبرى؛ مجموعات المؤلفات الإغريقية التي كتبها الأقدمون، وتشمل كتابات المؤرخين والفلاسفة والجغرافيين، وكتاب السير والخطباء والشعراء، ومؤلفات الطب والاقتصاد والدين والفنون إلخ، وعلى سبيل المثال لا الحصر جمعت مؤلفات أكثر هؤلاء الكُتاب شهرة في الغالب كهيرودوتس وثوكيديس وديودورس الصقلي من المؤرخين، ومن الفلاسفة طاليس وسقراط وأفلاطون وأرسطو، ومن المصادر الكتابية الأدبية الملاحم والأغاني والأشعار والمسرحيات وما تتضمنه من أفكار وحقائق وأساطير وخيالات، ومدونات الخطباء كذلك ومن بينها خطابات الزعيم الأثيني بركليس (1) .

لم تقتصر مجموعات المكتبة على المصنفات الإغريقية، بل حوت أيضاً مصنفات بلغات أخرى منها؛ المصرية والعبرية والأثيوبية والفارسية واللاتينية والفينيقية وغيرها، وعلى هذا فإن مكتبة الإسكندرية جمعت مؤلفات للكُتاب غير الإغريق، وحتى مؤلفات لكُتاب آخرين من كل مكان، أي كل الثقافة الإنسانية حتى ذلك الوقت، وحافظوا بذلك ليس فقط على ما ورثوه من أجدادهم الإغريق بُناة الحضارة الكلاسيكية من تراث شفهي أو مكتوب، من مسرحيات وفلسفة وسياسة وأدب وعلم وفن، بل حتى على أجزاء من تراث غيرهم، وشهدت هذه المجموعات كلها وليس بكل ناحية منها على أعمال مختلفة عن الأخرى، ففي البروكيون على عهد بطلميوس الثاني كانت توجد نسختان من الحوارات، وأربعون نسخة من التحليلات لأرسطو، ونسخ من ملاحم هوميروس، وترجمات لفلسفات ومؤلفات هندية ويهودية منها مذهب فيلون عن

(1) Idem, pp. 176 ff .

اللوغوس الإلهي، وترجمة العهد الجديد، ومؤلفات مصرية منها كتاب إيجيبكتا للمؤرخ المصري مانيثون الذي كتب باللغة الإغريقية، ويبدو أنه في وقت آخر أودعت في المكتبة الصغرى نسخ لترجمات أخرى، ومنها ترجمة التوراة والتعليقات عليها، وفي الواقع فإن مكتبتنا الإسكندرية جمعت كل التراث والإنتاج الإنساني الإغريقي وغير الإغريقي منذ أقدم العهود (1) .

أول أمين للمكتبة زنودوتس ومساعداه اسكندر الأيتولى ولوكوفرون من خالكيس عكفوا على جمع وتصنيف وتحقيق ونقد الشعر الإغريقي، فأخذ زنودوتس من أشعار هوميروس وهسيودوس وبعض أشعار بينداروس واناكريون، بينما عهد إلى الإسكندر بالتراجيديا، وإلى لوكوفرون بالكوميديا، وقد أحدث أرسطوفان البيزنطى انقلاباً في الأدب، بفصل الجمل المستقل في المخطوطات القديمة بعضها عن بعض بالحروف الكبيرة وبعلامات الترقيم، وهو الذي اخترع النبرات لقراءة الكتابات اليونانية، كذلك ابتكرت العلامات الصوتية، وقد بدأ زنودوتس تهذيب الملاحم، وواصل أرسطوفان عمله وأتمه أرسطارخوس، وكانت نتيجة عملهم هو النص الحالى لهاتين الملحمتين، وعلى الرغم من أنه لا يُعرف على وجه الدقة كيفية تصنيف الكتب في هذه المكتبة، إلا أنه بالاستناد إلى ما يوجد من معطيات أنها كانت مُصنفة في عشر مجموعات رئيسية هي: الشعر، المسرحيات، القانون، الفلسفة، التاريخ، الخطابة، الطب، الرياضيات، وبالإضافة إلى المعطيات المتعلقة بالكتب، قدّم كاليماخ معطيات تتعلق بالمؤلفين، وهو المبدأ الذي سيؤخذ بعين الاعتبار في القرون اللاحقة وإلى هذا اليوم (2) .

في الواقع أن مكتبة الإسكندرية وتاريخ الببليوغرافيا يعترفان بقيمة عمل كاليماخوس وكتابه المعروف ببيناكس الذي تعرض له الكثيرون، ففيه تمّ تدوين أسماء المؤلفين وعناوين المؤلفات بالاستناد إلى تصنيف الكتب في رفوف المكتبة، أي أنه عكس بشكل صادق كيفية التصنيف حسب النوع والاختصاصات، ولذلك فإن الكتاب يعتبر أقدم وأول عمل لمؤلف بيو - ببليوغرافي في العالم (3) .

(1) العبادى، مرجع سابق، ص ص 160 - 165.

(2) ديورانث، مرجع سابق، مج 2، ج 3، 8، ص ص 90 - 91 .

(3) في العصر الهيلينىسى وجد العلماء والأدباء والباحثون وهواة جمع الكتب، الذين يهتمون بالجديد في سوق الكتاب إزاء مشكلات صعبة: كيف لهم أن يعرفوا ماذا يوجد في السوق من كتب، وماذا يُكتب من موضوعات إلخ. وقد كانت هذه المشكلة قائمة في العالم الإغريقي وخاصة بالنسبة لأولئك الذين لا يعيشون في المراكز الثقافية الكبيرة، إلا أنها أصبحت أكثر تعقيداً في هذا العصر، حيث أصبح من الصعب الحصول على معلومات سواء حول الكتب، أو المؤلفين وحتى حول قيمة المؤلفات، أي في معرفة ما يصدر من كتب جديدة، وفي كيفية الوصول إليها، وقد أدى الشغف للمعلومات إلى ظهور نوع جديد من الكتب - المؤلفات المرجعية - التي تضم مؤلفات ببليوغرافية مختلفة وقواميس أعلام إلخ، وإن ظهورها بهذا -

في المكتبات المنافسة ظهرت سلسلة من الأعمال الهامة الجغرافية والبليوغرافية التي تدل على قدوم عصر جديد بالنسبة إلى نشر المعلومات حول الكتب والكتّاب، وحاول البعض في العالم الإغريقي الروماني أن يقلدوا هذا العمل، ومن هؤلاء هرميوس تلميذ كاليماخوس ومعاونه، الذي ألف على نمط بيناكس كتاب التراجم، وعلى هذا النحو كذلك قام من ميلوس الدبلوماسي والنحوي كراتس مدير مكتبة بروجام بتأليف فهرس للمكتبة في القرن الثاني ق.م، وهو من أشهر كتابها وظل لفترة مديراً لها، وقد كان هذا الفهرس أحد الإنجازات البليوغرافية للعلماء المجتمعين فيها، كما وضع على نمط فهرس كاليماخوس فهرساً آخر لمكتبة رودس حوالي 100 ق.م، وفي الفترة ذاتها ظهرت أول المؤلفات المجملة عن الكتب بشكل عام، وليس عن الكتب الموجودة في مكتبة واحدة فقط، وقد كتبت هذه المؤلفات حينئذ لتفيد أكبر عدد من المهتمين بسوق الكتاب في ذلك الوقت (1).

لم يُسمع عن مكتبة عامة قبل مكتبة الإسكندرية، بالرغم من وجود الكثير من المكتبات الخاصة، والجديد الآخر في القرن الثالث ق.م. هو وجود فئات من العلماء والباحثين الذين أصبح عملهم الخدمة في المكتبة، وبالاستناد إلى النصوص الباقية عن المكتبات الإغريقية اللاحقة؛ في العصر الهيلينستي عامة، والبطلمي خاصة، فيمكن القول أن تلك المكتبات قد أخذت وطبقت كل الإنجازات التي كان علم المكتبات قد توصل إليها خلال ألف سنة في بلاد الرافدين، وبمقارنة بعض المعطيات عن تنظيم مكتبة أشور بانيبال يكشف عن وجود بعض التشابه بين علم المكتبات الإغريقي والآشوري - البابلي، ومن المرجح أن الإغريق في آسيا الصغرى نقلوا بعض إنجازات هذا العلم إلى العالم الإغريقي، وهذا التبادل

- الشكل يدل على أن الأساليب القديمة المعلومات حول الكتب قد فقدت فعاليتها مع تطور المكتبات، وأصبح لا يستغنى عن هذه المراجع لنشر المعلومات، والشئ الجدير بالذكر أن كاليماخوس بعد أن نشر مائة وعشرين مجلداً قام فيها بتصنيف الكتب ثمانية أصناف، لم يلتزم نظاماً واحداً فيها، وكانت الفهارس تتضمن أسماء المؤلفين وأسماء الكتب، الجملة الأولى في كل كتاب، وعدد سطوره، وترجمة أدبية موجزة، وقد استفاد من المجموعات الفنية للكتب في المكتبة ليؤلف كتابه بيناكس في مائة وعشرون مجلداً، الذي يعتقد بأنه استخدم كفهرس للمكتبة، وقد اشتق اسمه من القوائم أو اللوحات المثبتة على كل خزانة من لغافات البردي، وإن المؤلف كان يريد منه أن يكون مصدراً بليوغرافياً عن كل الكتب التي ألفت، وعن كل الذين ألفوا، وهكذا فإن كاليماخ لم يكتف في مؤلفه بذكر الكتاب، بل كان يقدم معلومات عن الكاتب أيضاً، ومن ناحية أخرى لم يكتف بتقديم المعطيات الأساسية عن الكتب، بل كان يضيف ملاحظاته النقدية كذلك، ولذلك فإنه مرجعاً بيو-بليوغرافياً لكل الأدبيات الإغريقية وفهرساً للمكتبة الكبرى.

Blum, Ibid, p. 160, pp. 234 - 235; Sarton, Ibid, pp. 143 - 151; Athenaeus, II, 70. b; Parsons, Ibid, pp. 206 ff .

(1) ستيثيفيتش، مرجع سابق، ص ص، 123-124 .

الحضاري لم يكن في نظم المكتبات فحسب بل في مجالات عديدة منها النظم التعليمية، فتأثير الحضارة الشرقية على الحضارة الإغريقية ظل واضحاً، ولكن التطوير الذي قدمه الإغريق في المجال الفكري والعلوم، فهم لم يقتصرُوا على النقل والتدوين، بل طوروا ما أخذوه وزادوا عليه في كافة المجالات، والخلاصة أن الإغريق تأثروا من الشرق، كما دخلت إلى مدن الشرق والغرب مع الإغريق فلسفتهم وأساليبهم وفنونهم، فمهدت هذه الاتصالات إلى سيطرة وانتشار الثقافة الهيلينية في العصر البطلمي، وحيث اندمجت الثقافات، وتكون منها خليط هو سمة الحضارة الهيلينية (1) .

الخلاصة فقد أنتجت العديد من المؤلفات والمدونات في الدراسات الإنسانية والعلمية قبل وبعد إنشاء المكتبة، ويُعرف من مقدار استخدام مرادف (مكتبة) في الإغريقية، أن عدداً كبيراً من المخطوطات كانت تنسخ وتجمع وتنفذ وتصنف على الأغلب منذ القرن الثالث ق.م، واستمرت الإسكندرية بمكتبتها الكبرى بؤرة للنشاط الأدبي والعلمي والثقافي لفترة طويلة، والمؤكد أنها احتوت لذلك على أهم المؤلفات المرجعية، بالإضافة إلى مجموعات أخرى ضمتها المكتبات لا غنى عنها للباحثين في مختلف فروع المعرفة، وقد بقيت مكتبة الإسكندرية أكثر من قرنين مركزاً للحياة الثقافية للعالم الهيلينيستي، إلى أن تعرضت لأول كارثة سنة 47 ق.م (2) .

بقيت مكتبة الإسكندرية أهم مكتبة في العالم الإغريقي، برغم ما حل بها، إذ استمرت المؤلفات الباقية في المكتبة تُنقح وتحقق حتى نهاية العصر الروماني، واعتبرت الأكثر دقة، ومن بين الأدلة التي تؤيد هذا الرأي قرار للإمبراطور دوميسيان بإرسال فريق من النساخ إلى مكتبة الإسكندرية لكي ينسخوا المؤلفات المفقودة، وكانت قد تأسست مكتبة كبيرة في روما في عهد الإمبراطور أغسطس، الذي بدأت المكتبة البطلمية تفقد مكانتها في عهده، فقد أصبحت روما بالتدريج مركزاً للحياة الثقافية حيث أخذ الشعراء

(1) العبادي، مرجع سابق، ص 151-154: ديورانت، مرجع سابق، مج2، ج1، 6، ص 316 : نفسه، مج2، ج6، 1، ص 376 .

(2) تفيد أغلب المعلومات أن الحريق الذي أودى بمعظم محتويات المكتبة الكبرى هو القائد العسكري الروماني يوليوس قيصر الذي بعد أنتصاره على منافسه بومبي في فارزلا، تدخل في الحرب الأهلية الدائرة في الإسكندرية في ذلك الوقت إلى جانب كليوباترا، وخلال المعارك الدائرة أمر بأحراق السفن، وامتد الحريق إلى المخازن المجاورة للميناء وللمكتبة، وقد عدد الكتب التي ألتهمتها النيران بأربعون ألف مجلد، ولهذا يجد البعض صعوبة في قبول الرأي بأنها كانت مجرد مخازن للمكتبة الكبرى، والواقع كانت الحادثة كارثة وخسارة كبيرة لأنه بسببها فقدت إلى الأبد الكثير من مخطوطات الثقافات الإنسانية والطبيعية، وتأثرت نتيجة لذلك وفقدت مكتبة الإسكندرية المكانة التي تميزت بها لفترة طويلة، وعلى الرغم من أنه قد بقي للمتعلمين والمثقفين في الإسكندرية مجموعات الكتب الأخرى في المكتبة الصغرى، إلا أن هذه المفقودات لا تعوض، وحتى تلك التعويضات؛ كمبادرة بومبي الذي يذكر بأنه أهدى لكليوباترا مائتا ألف لفاة من مكتبة بروجام لكي تحي ثانية مكتبة الإسكندرية، إلا أن كل تلك المحاولات عجزت أن تعيد للمكتبة أهميتها الأولى .

الموسوعة المصرية، ص 619؛ عواد، كوركيس، مكتبة الإسكندرية (تأسيسها وإحراقها)، بغداد، 1955، ص 132 .

Kenyon, F. G., Books and Readers in Ancient Greece and Rome, The Clarendon Press, Oxford, 1932, p.

24 ff; Parsons, Ibid, p. 11 ff; Strabo, XVIII, 1. 54 .

والفلاسفة يجدون فيها ظروفاً للحياة وللعمل أفضل من مصر التي صارت بعيدة عن المركز، ثم تعاقبت عليها أوقات وأحداث صعبة أخرى في نهاية عهد الإمبراطورية، حين أصبح المسيحيون القوة الدينية والسياسية الصاعدة، وعندها غدت رمزاً للثقافة الوثنية في نظر الدعاة المتحمسين للديانة الجديدة، بحيث إن إلحاقها بمصير الثقافة الوثنية كان مسألة وقت ليس إلا، وهكذا فإن تدمير المكتبة على يد بطريك الإسكندرية ثيوفيل كان نتيجة منطقية لهزيمة الثقافة الوثنية أمام المسيحية، ومن بعدها يفقد ذكر المكتبة في المصادر فترة طويلة من الزمن، وبالاستناد إلى بعض النصوص التاريخية من العصر الوسيط يبدو أنها لم تفقد كل مخزونها في تلك الأحداث، وربما بقى منها شيء حتى مجئ العرب لمصر، ويشاع أن المسلمين أحرقوا بقاياها حوالي سنة 640 م، وتفصيلاً لهذا يذكر أودوسيوس بأنه لم يعد للمكتبة وجود قبل الفتح الإسلامي بأكثر من قرنين، وفضلاً عن ذلك يقول سارتون في هذا الأمر: إن الكتب الوثنية كانت أشد خطراً على المسيحيين الذين كانوا يستطيعون قراءتها، ولعدم إمام المسلمين إذ ذاك باللغة الإغريقية، ومن ثم فإن اتهام المسلمين بإحراقها محض افتراء على الحقيقة (1).

في العصر الروماني لا يُسمع عن ولع للأباطرة والولاة بالمكتبات كما كان يفعل البطالمة من قبل، بل في عهد سيطرتهم لم تزد مكتبة الإسكندرية إلى أن أتى الإمبراطور يوليانيوس 316-363 م الذي يُذكر بأنه حاول إعادة مكانتها الفكرية فانتهت محاولته تلك بنهب ما بقى فيها لصالح مكتبته هو، وقبله في عهد ماركوس أريليوس أحرق الحى الملكي في عام 272 م، فدمر جانب كبير منها ونقل ما تبقى فيها، وفي عهد ثيودوسيوس خُرب معبد سيرابيس الملحقة به المكتبة الصغرى تخريباً شبيه تام، وبعد تعاقب هذه الأحداث والحقائق التي لا مجال للجدل والشك فيها، فإن مكتبات الإسكندرية قد راحت ضحية الصراع بين المسيحيين والوثنيين، عندما أصبحت المسيحية الدين الرسمي للدولة الرومانية، فتم تدميرها بوصفها معقل الآراء الهدامة، ولكن من المرجح أيضاً أن بعض الكتب قد نجت بشكل أو آخر، وأن المدينة استمرت فيها بعض من مراكز المعرفة والتعليم حتى القرنين الخامس والسادس م، وبقيت مكتبتها الأكثر شهرة بين كل المؤسسات التعليمية التي شيدها البطالمة، صرحاً ينبئ عن الإغريق الذين اهتموا بالعقول والعلوم، وحفظوا التراث الإنساني ليصل جيلاً بعد جيل (2).

(1) إن مكتبة الإسكندرية دمرت بنهاية القرن الثالث ق.م. إبان الصراع على السلطة في الإمبراطورية الرومانية، وأما السرابيوم فقد حكم عليه بأنه يدعم لمعتقدات الوثنية، فدمره ثيوفيلوس أسقف الإسكندرية بناء على فرمان يحظر الديانات غير المسيحية أصدره ثيودوسيوس عام 391 م، ورواية أخرى للمؤرخ أودوسيوس الذي ذكر أنه حوالي عام 416 م رأى مخازن الكتب ورفوفها خاوية تماماً في المكتبة شبه مهجورة، وهذه الشهادات تؤكد أنه لم يكن بالإسكندرية ثمة مكتبة عندما فتح العرب مصر، وأية أقوال غير ذلك ليست سوى تزييف لواقع التاريخ، وشهادات اليهود، والعرب الذين استوعبوا ثقافات اليهود والفرس وحفظوا تراث الإغريق والرومان من الضياع في عصور الظلام، لا يمكن لهم أن يحرقوا مكتبة احتوت الإرث الإنساني كما يدعى المزيّفون، والحقيقة أن المكتبة ظلت تتمتع حتى نهاية القرن الرابع م. حين شن أسقف كنيسة الإسكندرية ثيوفيلوس 385-412 م أكبر حملة اضطهاد تعرض لها الوثنيون من أجل القضاء عليهم نهائياً، وكان هدفها القضاء على مدرسة الإسكندرية، ولذلك اتجه إلى تدميرها في سنة 319 م باعتبارها تمثل الثقافة القديمة

Sarton, Ibid, p. 156 .

(2) بدوى، مرجع سابق، ج2، ص ص 24-25: العبادى، مرجع سابق، ص ص 154-155 .

Gymnasium ثالثاً: الجمنازيوم

الجومنازيا من أهم مظاهر وسمات الحياة التعليمية والاجتماعية عند الإغريق، لأنها قامت وعملت دائماً على المحافظة على ثقافتهم الإغريقية، وإن غالبية الإغريق عاشوا في المدن الإغريقية حيث توافرت كل الأسباب التي يسرت لهم حياتهم، وفي هذه المعاهد استطاعوا متابعة تعليمهم وممارسة عاداتهم، فهي كانت مركزاً للتعليم المتوسط بنوعيه الثقافي والرياضي على السواء، ولها صلة وثيقة بنظام الشبيبة أفيبوي والأفيبوي هم من بدأوا أو على وشك دخولهم للتدريب في الجمنازيوم، والذي كان في نظر الشباب الإغريقي مؤهلاً ضرورياً للانتظام في هيئات المواطنين الأحرار أو في الجاليات الحرة، وكانت تلي جماعات الإغريق القومية في الأهمية وترتبط بها جماعات رجال الجمنازيوم (1).

لم تقتصر الجومنازيا على تعليم الشبان، بل كانت أيضاً مننديات للإغريق الذين كانوا يعيشون بالقرب منها وبخاصة الذين تعلموا فيها، وكانت تؤلف منهم جماعات رجال الجمنازيوم، وفي بعض الأحيان أو الظروف الطارئة كان يُدعى المواطنون للاجتماع في الجمنازيوم، فهذا النادي الثقافي المعروف ظل طابعاً خاصاً ومميزاً للحياة الإغريقية، وحيثما استقر الإغريق وانتظموا في جماعات كان لها كيانه وتقاليدها، ظهر نادى تعليمي ورياضي أو جمنازيوم، وينهض انتشارها بهذا الشكل الواسع في الدولة البطلمية وتمتعها بتلك المكانة الهامة، دليلاً على استمساك الإغريق بتقاليدهم، وعلى شدة اهتمامهم بأن يكفلوا لأبنائهم الحصول على ثقافة إغريقية صحيحة، فحيثما كان يستقر الإغريق على شكل جالية منظمة كان لا بد من إنشاء الجمنازيوم، والتي في بدايتها كانت بمثابة أماكن عامة للاسترخاء والترفيه، ومناقشة المشاكل اليومية، والموضوعات الذهنية والعقلية، ثم أصبحت للتعليم والتدريب الرياضي (2).

أرتبط الجمنازيوم بمرحلة التعليم المتوسط، بل لقد كان محور التعليم المتوسط هو الأنتساب إلى هذه المعاهد الثقافية والرياضية، وجميع التلاميذ الذين تابعوا تحصيلهم المتوسط، كان عليهم الذهاب إلى الجومنازيا حيثما وجدت، أما في مدنهم، وأما في القرى الكبيرة، وكانوا يتلقون في هذه المعاهد العلمية والرياضية قدراً يماثل ما كان يُدرس لنظرائهم في غيرها من معاهد العالم الهيلينيستي، والدراسة في هذه المعاهد الثقافية والبدني ظلت مرتبطة بمنظمات تدريب الشباب، التي كانت بالنسبة للإغريقي شرطاً

(1) Rostovtzzf, Soc. & Ec., pp. 324 ff ; Tarn, Hellen. Civil., p. 175 .

(2) Idem .

جوهرياً لإدراج اسمه في قائمة المواطنين، فهي تلك الهيئة الاجتماعية السياسية التي استعاض بها كثير من الإغريق المستوطنين في مدن البطالمة عن مدنهم الإغريقية في وطنهم الأم، فهي نظام سياسي واجتماعي ظل في نظر كثيرين ممن استوطنوا من العناصر الإغريقية خارج بلاد الإغريق بمثابة المدولة أو دولة المدينة، فيمكنه أن يستعوض بتلك الجاليات الحرة عن المدينة الدولة، إذ أنها قامت كذلك في ذات الوقت بدور آخر غير كونها المعهد الدراسي والنادي الرياضي، وكل الإغريق في مدنهم الإغريقية، وفي المدن والقرى البطلمية، كما تمتعوا بهذه المعاهد أو النوادي، كان تقديرهم واضحاً لأهميتها ودورها، ولمعرفة مدى أهمية هذه المؤسسات، في كونها لم تكن فقط المراكز الرئيسية لنشر الثقافة الإغريقية، بل أنه من أجل الوصول إلى المناصب السياسية الهامة، أو الانخراط في الفرق الممتازة بالجيش، وما كان يستتبعه من الفوز بإقطاع كبير، كان يتعين على الراغبين في ذلك أن يكونوا قد تعلموا تعليماً إغريقياً، فلا شك أنه كان للجومنازيا دور في الحفاظ على الثقافة والحضارة الإغريقية بين مناطق وادي النيل وشمال إفريقيا (1) .

كان دخول الجومنازيا وعضوية جماعاتها منظمين تنظيمياً دقيقاً بمقتضى قوانين الهيئات المختلفة التي كانت هذه المعاهد والجماعات تتصل بها، وذلك ضماناً لعدم تسرب غير الإغريق إليها " وكانت كل جماعة تنتخب رئيساً لقبه جومنازيارخ، كان من بين مهامه الإشراف على شؤون التعليم، وهي التي يتولى تنظيمها شخص يدعى قوسميتيس، مما يوحى بأن الجومنازيارخ والقوسميتيس من بين هيئة الحكام التي تدير شؤون كل جماعة من الجماعات الإغريقية، والرأى السائد بأن الجومنازيا في دولة البطالمة كانت مؤسسات أهلية اعتمدت على الجماعات التي انشأتها، ولكن الدولة كانت تشرف عليها، وإزاء ذلك يرجح أن الملك لم يكن حاكم البلاد فحسب، بل كان كذلك راعي مؤسسات الإغريق، والذي يشرف على جماعاتهم، بما فيها الجومنازيا، ولذلك كانت هناك تفرقة بين الذين تلقوا تعليمهم فيها، وبين من لم يلتحقوا بها، تماماً مثل الأختلاف بين مواطني العواصم أنفسهم برغم أنهم كانوا جميعاً مواطنين، ومعنى هذا أنه كانت هناك نخبة، وهي الفئة أو الطبقة المعروفة باسم طبقة الجيمنازيوم، وكانت تتألف من المواطنين الموسرين الذين تلقوا تعليمهم في معهد التربية والتحقوا بمنظمة تدريب الشباب، فهؤلاء هم

(1) Bevan, Ibid, II, pp. 104- 166 .

وخدم اللائقين لتولى المناصب بعواصم الأقاليم، وإذا كان التمييز والتفرقة جرت بينهم، فكانت هناك فئة مصطفاة داخل أخرى مختارة، وعُرفت تلك النخبة بطبقة أعضاء النوادي الرياضية، فهؤلاء الأخيرون هم الأثرياء من السكان الذين تلقوا تعليمهم في المعاهد، وتدرجوا بالانتقال من دور الشبيبة المؤهلة لعضوية تلك المؤسسات، وهم لذلك وخدم الحاصلون على المؤهلات المسوغة لتولى الوظائف العامة في مدن الدولة (1) .

لما كانت القاعدة الأساسية لهذه المعاهد هي المدن الإغريقية، وكذلك الجماعات القومية المختلفة، والتي هي بالأساس كيانات اجتماعية اتمت بعضها بطابع سياسى، وكان لكل جماعة رئيس تنتخبه ويدعى الجومنازيارخيس *Gymnasiarches*، وهذا يدل على أنه من أهم الحكام المحليين والرئيس الأجماعى لهيئة المواطنين، وهو الذى يتولى الإشراف على التعليم، وأما شئون التعليم فإنه كان يتولى أمرها عدد من المدرسين وشخص يدعى كوزميتس *Kosmetes*، غير أن هذه المعاهد كانت خاصة، ومنحت المعاهد الكائنة بعواصم الأقاليم، وفي المدن والقرى ومديريها الجيمنازياركيين *Gymnasiarchoi* صفة رسمية، كما أنشأ إلى جانب ذلك مناصب رفيعة أخرى، من أهم مناصب المدينة، اقتبست أسماؤها واختصاصاتها من أنظمة المدن الإغريقية الحرة، مثل الأكسيجيتس صاحب الاختصاصات المتنوعة ومنها الإشراف على المدينة وعميد دار العلم، وما يتعلق بالأوضاع القانونية، والكوزميتيس الذى كان مختصاً بكل ما يتصل بمنظمة تدريب الشبان (2) .

أنشئت على أيام البطالمة كثير من معاهد التربية في المدن والقرى، وحيثما كانت يوجد عدد كاف من الإغريق المستوطنين، وإذا كان البطالمة لم ينشئوها، لكنهم اعترفوا بها وبحقها فى أملاك المبانى والأراضى، وإذا هى بالأساس وجدت في كل المدن الإغريقية قبل عهد البطالمة، ولكن هؤلاء شملوها برعايتهم وأمدوها بدعمهم وإعاناتهم، ولعل هذه الرعاية والصلة الوثيقة بين هذه المعاهد والتعليم هى التى خلعت عليها صبغة عامة أو شبه رسمية " كان فى وسع الإغريق الاحتفاظ بتقاليدهم فى مدنهم، وحيثما وجدوا انشأوا معاهدهم ومنتدياتهم الإغريقية فى أنحاء البلاد، فقد كان البالاىستري *Palaestrae* والجومنازيا فى الإسكندرية، وفى كل مدن البطالمة وقراها (3) .

(1) نصحى، تاريخ مصر فى عصر البطالمة، ص ص 379 - 380 .

(2) نفسه، ص ص 335 - 339: الموسوعة المصرية، مرجع سابق، مح1، ج2، ص 606 . (3) نفسه، ص 563 - 565 .

كانت الجومنازيا مقر لحياة الإغريق الإجتماعية، ولهذا فهي مبان فسيحة ورائعة ويوجد بها بهو أعمدة وقاعات للتعليم وأخرى للتدريب، واحتوت على حمامات، وكل ما يلزم الرياضيين، ويحتمل أن جومنازيا العاصمة كان الأهم والأكبر، لأنه يلقى رعاية ملكية خاصة، ويُعرف من إحدى الوثائق أنه كان يتعين الحصول على إذن لإجراء الإصلاح اللازم في أحد الجومنازيا، ومعنى ذلك أنها خضعت تخضع للنظام نفسه الذي كانت تخضع له المصانع والدور والهياكل التي أسسها الأفراد، وذلك لأن شئون التعليم كانت تهم الدولة، مثلما كانت تهمها شئون الأخرى، فكانت توجد جومنازيا في كل مدن أقاليم الدولة البطلمية، وهي مراكز ثقافية ورياضية يتردد عليها الشباب الإغريق الذين يتمتعون بحق المواطنة، وفيها يتلقون تعليم أعلى وأنواع الرياضات المختلفة " .. عندما كانت تقع اضطرابات عنيفة ومصادمات بين إغريق الإسكندرية ويهودها، كان الجومنازيارخس هو الذى يمثل هيئة المواطنين الإغريق ويدافع عن قضيتهم أمام القضاء، فلا بد إذن من أنه ظل لهذا الشخص مركز هام طوال عصر البطالمة " (1) .

أن الانتماء الكامل للمدينة الإغريقية يعنى التعليم فى الجومنازيا، ولذلك اليهود فى عهد البطالمة حرصوا على إلحاق أولادهم بها، حيث كانوا يسعون للحصول على المواطنة الإغريقية حتى يتم إعفاؤهم من الضريبة الثقيلة التي فرضها أغسطس عام 23- 24 ق.م. على سكان مصر، باستثناء أهل الإسكندرية من الإغريق، ويعنى ذلك ازدهار وبقاء هذه المعاهد حتى أواخر العهد الروماني عندما أصبحت معظم هذه المعاهد خاصة وألغى ما كان يوجد منها في القرى، وأضفى على التي في المدن صفة رسمية معترفاً بها، كما اتجه كذلك نفس الاتجاه مع الجمنازياريك وهم رؤساء المعاهد، وعين إلى جانبهم موظفين آخرين منحهم ألقاباً، وخصص لهم أعمالاً اقتبسها من النظم المرعية في المدن الإغريقية ذات الاستقلال الذاتي، ووجدت أدلة أخرى مثل اتخاذ قرارات بتخفيف أعباء النفقات التي يتطلبها منصب مدير معهد التربية، حتى يقبل المرشحون على تسييرها، ولعل فى ذلك دليل على أن السلطات وقتها اخذت تعمل على استمرارها، بعد أن بدأت تجد صعوبة في ايجاد مرشحين لإدارتها، وأن تلك المؤسسات العامة التي ظلت من مبتكرات الإغريق حافظ عليها الرومان ولكن مع أساليبهم في التجديد (2) .

(1) Rostovtzzff, Soc. & Ec., pp. 1059- 60; Fraser, Ibid, I, p. 86 .

(2) Jouguet, Mac. Imp., pp. 302- 333 .

رابعاً: الجمعيات :

مع تغير النظم السياسية في العالم الإغريقي في خلال العصر الهيلينيستي، وحاجة الإغريق الذين عاشوا في مدن الممالك الجديدة للاجتماع والعيش في جماعات أو فئات عاملة متقاربة توفر لهم شيئاً من المساعدة العملية والحياة الدستورية التي افتقدوها في مجتمعهم الجديد، فنشطت الجمعيات الإغريقية في كثير من المدن خارج حدود بلاد الإغريق، وقد وجد إغريق البطالمة خاصةً فيها تعويضاً عن نقص استشعروه في حياتهم العامة، فظهرت عندهم جمعيات كثيرة لها أسماء مختلفة، وقامت على نشاط ديني أو دينوي اتخذت منه شعاراً وحنة لعقد اجتماعاتها، وهناك مايدل على وجود هذه الجمعيات حتى قبل الفتح المقدوني للمنطقة، ولكنها لم تكتسب أهميتها ومكانتها البارزة إلا في عهد البطالمة، بل إن الكثير منها تكونت ونشطت في بداية العهد البطلمي، وحيث كانت تأتي في الأهمية بعد الجنازيوم في المجتمع الإغريقي، وظل لها طابعها الديني أو المدني الاجتماعي، وكان الإغريق يهتمون كثيراً بتأسيس أو تكوين الجمعيات، وتعد الجمعيات المختلفة التي انتشرت في المدن البطلمية من عوامل التأثير العملي والتعليمي على الأفراد الذين يتصلون بها ويحتكون بنشاطها بوجه أو بآخر، فالمواطنين الذين يحملون صفة العضوية في أي من الجمعيات، يدرسون قوانينها ويخلصون لمبادئها، ويدافعون عن نظمها وأهدافها، ويشيدون بالقيم التي تتبناها، ثم يلتزمون بما توصي به هذه الجماعات من القرارات والنظم، ويزيدون على ذلك أنهم يقفون ويقدمون لها دعمهم وعونهم، ويجتذبون غيرهم لدعمها ومساندتها، والجمعيات بدورها تحاول أن تنفع وتخدم أعضائها، وتستخلص لهم حقوقهم إذا تعذر عليهم كأفراد استخلاصها، كما تحثهم على القيام بأداء واجباتهم نحو أنفسهم ونحو جماعتهم، فتعقد لهم من أجل ذلك الاجتماعات، وتنظم المحاضرات والندوات في الشؤون المتصلة بنشاطها، فتقدم لهم التدريب والمساعدة، وتفتح لهم ميادين العمل المثمر، وعلى الجملة فإن بعضها تتخذ من نفسها مدرسة خاصة تدرب فيها أعضائها، على أن يتحملوا المسؤولية في تحقيق الأهداف التي قامت من أجلها جمعيتهم (1) .

على هذا الأساس فقد كانت الجمعيات أماكن للاجتماع والنقاش كذلك، وتأكيد للقيم المهنية والدينية والاجتماعية والخلقية، مما يعد من ضرورات الحياة الإغريقية، بل إن بعض من هذه الجمعيات اتخذت دور

(1) Bouche-Leclercq, Ibid, III, p. 164 .

آخر للتدريب والتعليم والتربية المجتمعية، ومنها على سبيل المثال جمعية دار العلم بالإسكندرية التي حظت بدعم وعطف الملوك البطالمة، حتى صارت تعتمد عليهم وتنازلت عن حقها في اختيار رئيسها، وقد يبدي البعض تساءله لظهور نظام الجمعيات أو النقابات في العصر البطلمي الهيلينستي، لأن الاعتقاد السائد أنها ابتكار روماني خالص، لكن الحقيقة أن التخصص الذي نشأ تلبية لحاجة المجتمع في هذا العهد كان سبباً مباشراً في ظهور هذه النقابات العديدة، ذلك أن فئات من الإغريق بعد أن تحررت من المسؤولية، ومن معظم الأعباء التي كانت ملقاة على كاهلها في دولة المدينة، وجدت نفسها بحاجة إلى اللقاء مع غيرها من الفئات على شكل جماعات أصبحت تفتقدها المدن الجديدة، ثم تطورت هذه المجموعات إلى صورة الرابطة أو النقابة أو المنتدى، وكذلك بسبب انتقال الأفراد من مجتمع محدود إلى مجتمع رحب في كافة النواحي، ومنها الناحية المهنية والفكرية، وترتب على هذا أن نمت وأصبحت الفنون وحتى الآداب مهن بعد أن كانت تعبيراً عفويّاً للمواطنين المتفاعلين مع مجتمعهم ومحيطهم، أو بمعنى آخر غدت حرف بعد أن كانت مجرد هوايات (1) .

وأغلب المعلومات عن أنواع هذه الجمعيات مقصورة على أواخر عصر البطالمة، وإنها لم تختلف كثيراً في نظمها عن الجمعيات المماثلة لها في المدن الإغريقية في بلاد الإغريق، حتى وإن خضعت للتأثيرات المحلية، وذلك لأنه في الشطر الثاني من العصر البطلمي ازداد التأثير والاختلاط بين الإغريق وغيرهم من عناصر الدولة، ومنهم المصريين خاصة، فهم كذلك كان لهم أندية وجمعياتهم، وازدادت أهمية المذاهب الدينية الشرقية عند إغريق مصر، ويحتمل أن بعض من الجمعيات الإغريقية وشبهاتها المصرية أصبحت تتألف من أعضاء مصريين وإغريق على السواء، أو أن بعض من هذه الجمعيات تأثرت ببعضها، وكان الجميع يلتقون في أندية جمعياتهم، ويُعرف منها ثلاثة أنواع؛ وهي الجمعيات الدينية الخاصة التي تتصل بالحياة الدينية، وجمعيات أرباب الحرف والمهن المختلفة وكانت تتصل اتصالاً وثيقاً بالدولة، ولعلها هي التي كانت تنظمها، مثل الجمعيات الزراعية المحلية لزراع الملك، والأشخاص المشتغلين في الصناعات المختلفة؛ في النقل أو التعدين أو البناء أو الصيد إلخ، ويحتمل أن بعض الجمعيات كانت مفككة ومؤقتة، لكنه لا شك أن بعضها الآخر كانت مؤسسات قوية ونشيطة ودائمة، وقد استمرت كل هذه

(1) Idem, pp. 170- 172 .

الأنواع من الجمعيات طوال عصر البطالمة، ويبدو أن بعض منها اتخذت بالتدريج بعض مظاهر الجمعيات

الإغريقية، ولذلك فإنه لا يظهر بوضوح إذا كانت في الأصل منشآت مصرية، ولكن تتضح في الجمعيات المصرية الدينية والاجتماعية، وهي التي تختلف اختلافاً بيناً في هدفها ونظمها عن الجمعيات الإغريقية المماثلة لها، ويبدو أن الجمعيات المصرية التي كانت من النوعين الثاني والثالث قد اكتسبت كذلك بعض مظاهر الحياة النقابية الإغريقية (1) .

لا يقل دور الجمعيات عن بقية المؤسسات التربوية والتعليمية، وكما لعبت المعاهد والمكتبات ووظيفة حيوية في كيان المدن والكيانات بتأكيداتها للقيم التي قامت من أجلها، كذلك فعلت الجمعيات، ولا يخفى ما لهذا الجانب من أهمية في تدريب ومساعدة الأفراد، إذ إنه يعتبر أو يعبر عن جانب من جوانب المدينة، ومكمل لحياتهم الاجتماعية والدينية، ولا أدل على ذلك من أنها كانت تبذل جهودها لتكمل الرسالة التربوية، وكثيراً ما تجاوزت دورها التعاوني والروحي أو الفني، فمزجت به تدريس المواد المختلفة على نحو ما تفعل المدارس، فاتخذت لنفسها مدارس تتبعها تزاوّل فيها هذه المهمة المتصلة بالنشاط التعليمي أو الحرفي، ويتولى أعضائها التعليم فيها، ومن أمثلة هذه الجمعيات المتصلة بجوانب الحياة الدنيوية؛ جمعية دار العلم، وجمعية الملكيين، وجمعية للفنانين أو الفنون، وأخرى للشباب وجمعية تتكون من عمال الموانئ أو أحواض السفن، وقد حرص الإغريق البطالمة على أن تكون لهم عضوية جمعية واحدة على الأقل من هذه الجمعيات، وقد وجد في بطولميس نقش من نهاية عهد فيلادلفوس، أو بداية عهد بطلميوس الثالث تقريباً يحوى قراراً اتخذته جمعية فناني ديونوسيوس لتكريم أحد أعضائها جزاء له على ما قدمه للجمعية من خدمات، وما يهم من أمر هذا النقش هو قائمة أسماء أعضاء الجمعية، إذ أنها ضمت اثنين من شعراء التراجيديا، وأثنين من شعراء الكوميديا، وثلاثة من مؤلفي الشعر الحماسي، وذلك عدا عن الموسيقيين والممثلين، وبحسب تقسيمها؛ الأعضاء العاملون والأعضاء الفخريون، وكان الفريق الأول يتكون ممن يزاولون باستمرار إحدى المهن التي تتصل بالمرح، كالشعراء ومديري المسارح والممثلين والموسيقيين والراقصين وغيرهم، وأما الأعضاء الفخريون فإنهم كانوا أولئك الذين يعطفون على تلك الفنون، ويمكن وصفهم بأصدقاء الفنون الجميلة (2) .

(1) Otto, I, pp. 165- 166 .

(2) Idem, II, p. 321 ff .

خامساً: المسارح :

المسرح وكل المصطلحات التي تطلق على المسرحيات وأشكالها؛ التراجيديات والكوميديا إغريقية، وحتى تلك التمثيليات الصامتة والتي استخدمت فيها الإشارات والترانيم والرقص والأناشيد الدينية، أو التمثيليات الغنائية، تدين إلى المسرح الإغريقي، ويمثل المسرح الذي هو اختراع إغريقي حصري، إحدى أهم المؤسسات الثقافية والتربوية ذات الأثر في حياة الإغريق، حيث عبر هذا المرفق الحيوي قدمت اللغة والآداب الراقية والموسيقى والفن والتاريخ وحتى العلوم، فقد كان للمسارح دورها في التعليم، وفي الترويح والتسلية، وفرصة للالتقاء بين الناس، فالمسارح والحلقات وساحات الأسواق استمر الاهتمام بهما طوال عهد البطالمة، ولا يخفى ما لهذه الجوانب من تأثير على المرتادين من حيث السلوك واكتساب العادات والمثل، فهي لا تخلو من تأثيرها الاجتماعي والتربوي بما تؤديه على الأقل من وظيفة الترويح عن النفس، واستعادة النشاط الإيجابي إليها، وكما كانت الفنون في خدمة السياسة، رعت كذلك الفضائل وغرسها في النفوس، فشجعت بعض المسرحيات على عدم الهبوط بالمثل الخلقية، وعدم انحراف الذوق العام عما هو متعارف عليه، والبعد عن السخرية بالقوانين البشرية والطبيعية، فالمسارح انشئت يرتادها الجميع، وكان بالإسكندرية أكثر من مسرح، ظلت من الأماكن التي كان لها شكلها وشأنها الثقافي والتعليمي الهام في المجتمع الإغريقي البطلمي، وواقع الأمر كانت أهم أماكن المعرفة والتعليم في المدن الإغريقية بشكل عام، والتي ظل يرتادها الإغريق، حيث كانت من أول مهامها غير تثقيف المواطنين وتعليمهم، إسعادهم وتسليتهم، وذلك ما يدل على التكامل في العمل والدور التربوي بين جميع المؤسسات في الكيان الإغريقي، إلا أن بعضها لعب دوراً بارزاً، والمسارح من بين هذه المؤسسات التي على الرغم من تطور وظيفتها ودورها في هذا العصر إلا أنها لم تنعزل عن بقية المؤسسات في أداء رسالتها (1) .

لطالما نظر الإغريق إلى المسرح على أنه وسيلة تربوية وتعليمية، وأن المسرحيات تساعد على تواصل الأفكار وتفيد في نشرها وتحررها من الجمود والقيود في التناول، ويجعل من المادة المجردة مستساغة واسبغ للفظم والأستيعاب عند المتعلمين، وبالتالي تعمل على تقوية لغتهم وتنمية ثقافتهم وتطوير ذوقهم وقدراتهم التحوارية، وتثير حيويتهم العقلية عن طريق إثارة الخيال للابتكار والاكتشاف،

(1) Grassi, Ibid, pp. 35 ff .

فالمسرح الذى يقدم أعمالاً إبداعية خاصةً، احتل موقعاً مهماً ضمن الاهتمامات الحياتية للإغريق، وظل النشاط المعتاد فى الأنشطة التى تشجع الرغبة فى المعرفة وتقدم الخبرات، كما يساعد فى تقوية اللغة، ويساعد على الأتصال وبناء العلاقات والمشاركة، ويوجه أنظارهم إلى الثقافة الأدبية والفنية، والأدب المسرحي الإغريقي كان من بعض أسباب تطوره كثرة الطلب على المسرحيات لعرضها فى المناسبات والحفلات العامة، وهى التى تزايد عددها منذ أواخر القرن الثالث ق.م، وعلى مر الزمن أخذ المؤلفون المسرحيون يتخذون من المسرحيات الإغريقية نموذجاً، أو يتجهون نحو اتخاذ قصص مسرحياتهم وشخصياتها من البيئة، وأحياناً كانوا هم موضوع هذه المسرحيات، وأصبحوا هم المثال المحتذى فى آداب المجتمع الهيلينى، وكان شعر المسرح من بين فنون الشعر التى مارسها شعراء الإسكندرية، وبطبيعة الحال كانت الدوائر العلمية والأدبية تعنى بأصول المسرحيات التراجيدية **Tragedy** والكوميديّة **Comedy**، وبتاريخها وبأعمال أعظم مؤلفيها، لكنه لا يوجد ما يدل على أن شعراء الإسكندرية ألفوا مسرحيات ذات قيمة كبيرة، ومن بين مؤلفى التراجيديا الذين أطلق عليهم لقب يليادس عدة شعراء كانوا يوصفون بأنهم عاصروا فيلادلفوس مما يوحي بأنه كانت لهم صلة بالإسكندرية، ولا يعرف من أعضاء هذه الجماعة أكثر من أسمائهم وأسماء مسرحياتهم، دون أن يُعرف ما هي مسرحياتهم التى أنتجوها فى الإسكندرية أو من أجلها، ولعل من أهم هؤلاء الشعراء؛ لوقوفرون وفيليقوس **Philicos** وسوسثيوس **Sositheus**، وأن الأخير هو الوحيد من أفراد تلك الجماعة الذى يُعرف عن يقين أنه ألف مسرحيات فى الإسكندرية، ويبدو أن ماخون الكورينثى **Machon** كان الشاعر الوحيد البارز الذى ألف مسرحيات كوميديّة لمسرح الإسكندرية، وينتمى نشاط ماخون إلى منتصف القرن الثالث ق.م (1) .

أما التمثيل فقد حاولت مدن أخرى ومنها الإسكندرية، أن تنقل إليها جوانب من فن التمثيل، ودعا بطلميوس الأول مناندروس للمجيء ولكن قبل الدعوة بدلاً منه فلمون، ومناندروس من أشهر كتّاب المسرحيات، وظهرت مسرحيته الأولى فى السنة التى أعقبت وفاة الإسكندر، وكتب بعدها أكثر من مائة مسلاة نالت ثمان منها الجائزة الأولى، وحتى مع الاتجاه المسرحى للنزعة الجدية التى جأت بها مدارس أثينا الفلسفية، إلا أن الإقبال على مشاهدة المسرحيات استمر يتزايد إلى أواخر القرن الثالث ق.م .

(1) Idem; O. G. I. S., p. 51; CF. Noshy, Arts in Ptolemaic Eg., p. 126 .

بل إن المسرح والأدب المسرحى اللاتينى الناشئ وقتذاك مستمد إلى حد بعيد من المسرحيات الإغريقية

المعروفة " وبلغ التمثيل في هذا العهد ما بلغه غيره من الفنون ذروته، من حيث كمية الإنتاج، ولقد كان لكل مدينة إغريقية بل يكاد يكون لكل بلدة في المرتبة الثالثة دار للتمثيل، وكان الممثلون أحسن تنظيماً مما كانوا في أى عصر سابق أو لاحق، وكان الطلب عليهم كثيراً، وكانوا ينالون أجوراً عالية " (1) .

تطور المسرح الإغريقي بسبب كثرة الطلب على المسرحيات لعرضها في الحفلات العامة ولما كانت توجد المسارح في كل المدن الإغريقية الكبرى، وتقام العروض المسرحية، فمن المعتاد أن كثيرون سنحت لهم الفرصة بين الحين والآخر لمشاهدة عرض من عروض التراجيديات أو الكوميديا الكلاسيكية، كما تيسر حتى لسكان الأطراف الاستمتاع بمشاهدة الروايات الشعبية والأدوار الهزلية في المسارح المحلية، أو قاعات الموسيقى، فقد ظلت هناك فرق متجولة للموسيقى والرقص والألعاب البهلوانية، وما إلى ذلك، للترفيه عن الفلاحين في القرى النائية بأطراف الأقاليم (2) .

" . . . اقيمت الحفلات، وكانت تتاح الفرص لسكان المدن لمشاهدة التمثيليات من المؤلفات الكلاسيكية الإغريقية، وظل الطلب عليهم مستمراً، ونال ممثلها أجوراً عالية، وأنه كان في وسع الجميع الاستمتاع بمشاهدة المسرحيات مما يجرى عرضها في المسرح المحلي، أو بهو الموسيقى، وهناك جوقات متنقلة من الموسيقيين والراقصين والمهرجين وأمد الملوك بالمال مؤلفي المسرحيات، وخصص كذلك في بعض المدن من مال الدولة مبلغ لكل مواطن من مواطنيها كقيمة أجر لدخوله لمشاهدة ما يُعرض من المسرحيات والألعاب في الأعياد العامة، والحجة في ذلك أن هذه العروض والألعاب يجب ألا تكون ترفاً تختص به الطبقات العليا والوسطى، بل يجب أن تهدف إلى رفع مستوى المواطنين العقلي عن بكرة أبيهم، واستمتع السكان بمشاهدة ما يجرى عرضه في المسرح المحلي أو بهو الموسيقى، أو بواسطة الفرق المتجولة، التي عملت على الترفيه بوسائل التسلية على القرويين الساكنين في الأحياء النائية من الدولة " (3) .

(1) ديورانت، مرجع سابق، ج3، مج2، 8، ص98؛ نصحي، تاريخ الرومان، ج1، ص ص 417 - 419 .

(2) عثمان، أحمد، مرجع سابق، ص 27 . (3) نفسه .

سادساً: مدارس كورينى

من بين العدد الهائل من الأعلام؛ العلماء والفلاسفة والأدباء مواليد ونشأة مدن كيرينايا، نتبين أن مدينة كورينى خاصة عاشت وشهدت نهضة علمية وثقافية غير مسبوقه امتدت لفترة من الزمن، وإن شهرة مدارسها ومذاهبها الفكرية والفلسفية سبقت شهرة مدارس الإسكندرية بوقت طويل، بل وإن منافستها لمدن إغريقية عريقة أخرى كاثينا لدليل آخر على مكانتها وقيمتها الثقافية والحضارية (1) . الشئ الظاهر للعيان وللتاريخ الحضارى، أن المدينة التى تأسست حوالى 631 ق.م. بواسطة مهاجرين قدموا من جزيرة ثيرا الإغريقية، عرفت حياة المدينة الحرة باستقلالها السياسى والإقتصادى وبثرائها، ولذلك كانت وبقيت بما اعتادته وألفته من نظم وأساليب وطرز، أهم وأكبر مدن كيرينايا وأبهى بؤر حضارتها، ولإنها بدأت وعاشت مدينة إغريقية، ازدانت وتمتعت بكل عناصر الحياة العامة للمدن الحرة، أى بدستور وجمعية شعبية ومجلس بولى وحكام ومحاكم، وأوج مجدها كان فى القرن الرابع ق.م. حيث شهدت ازدهارها العمرانى والزراعى والتجارى، وغدا لها حدودها السياسية وعلاقاتها الدولية الواسعة " فى سنة 414 ق.م. كانت كورينى جمهورية ذائعة الصيت " (2) .

فى مؤلفه كورينى خلال العهد الملكى الباطى *Cyrne Sous La Monarchie Des Battiades* ، كتب فرنسوا شامو Chamoux " لقد ظلت هذه المستوطنة دُورِيّة من حيث لغتها؛ خصوصاً فى مجال الفن، بل مدن كيرينايا الإغريقية شملها نفس التطور الحضارى الذى عرفته كورينى ومدن بلاد الإغريق نفسها، وبالتالي فإنه ليس هناك ما يستوجب الزّعم بأنها قد عجزت عن مواكبة ذلك التطور، بسبب من أنها مجرد مستوطنات مهاجرة، نشأت وترعرعت بعيداً عن التفاعلات الحضارية التى كانت البلاد الإغريقية الأمّ تشهد لها إبان تلك الحقبة " .. إن كورينى لم تعش على هامش مجريات الأمور فى العالم الإغريقى المعاصر لها فى عزلة شبه كاملة عنه، بل نراها على العكس من ذلك، تُسهم منذ النصف الثانى للقرن السادس ق.م. وبهمة كبيرة فى حياة المدن الإغريقية الأخرى، فهى قد اتحدت مع هذه المدن بواسطة ما كانت تقيمه من علاقات تجارية بحرية واسعة " (3) .

(1) شلوف، عبد السلام مجد تنقيحات وتصحيحات فى تاريخ كورينى الثقافى، مجلة البحوث التاريخية، العدد 1، 34، المركز الوطنى للمحفوظات

والدراسات التاريخية، 2012، ص 137. (2) نصحى، عصر البطالمة، ج2، ص 322 .

(3) شامو، فرنسوا، الإغريق فى برقة، (ت. مجد عبدالكريم الوافى)، ط1، بنغازى، جامعة قاربونس، 1990، ص ص 337 - 338 .

أثرت المدينة من تجارتها الواسعة التي عملت على إنمائها، وقامت فيها أحياء راقية تضج بالسكان والأسواق، وفي موسوعة قصة الحضارة؛ الجزء الأول من المجلد الثاني يقول المؤرخ ول ديورانت عن نشاط كوريني " واستخدموا بعض الأرض للرعى، وأصدروا منها إلى الخارج الأصواف والجلود واستنبتوا من نبات الأنجدان تابلأ كانت اليونان بأجمعها تحرص على شرائه، وكانوا يبيعون غلات بلادهم إلى إفريقيا، وارتقوا بحرفهم اليدوية إلى حد جعل المزهريات القورينية من أحسن مزهريات العالم، وانتفعت المدينة بثروتها على خير وجه وأحكمه، وازدانت بالحدائق الغناء، وبأعظم التماثيل وحلبات الألعاب، وفيها ولد أرسطوبس أول فيلسوف أبيقورى ذائع الصيت، وإليها عاد بعد تجوال طويل ليؤسس المدرسة القورينية " (1) .

لإن كوريني ظلت مدينة إغريقية، فقد كان لها كيائها المستقل وسياساتها وعلاقاتها الواسعة، وكانت مواطنتها ميزة منحت لفئة ممتازة من سكانها الإغريق، ثم لبعض الفئات الأخرى، ولكن بنسبة أقل " لآبد من الاعتراف بأن هذه المستوطنة الباطية الإغريقية التي انبثقت فى المهجر، وشيدت مُدناً إغريقية الحضارة والصبغة واللغة والانتماء؛ قد ظلت طوال القرنين اللذين بقى خلالهما العرش الباطى قائماً بمعزل عن أصحاب البلاد الأصليين، فأغريق كوريني لم يختلطوا فى الحقيقة بهؤلاء إلا فى حدود ضيقة، فرضتها عليهم مصالحتهم، خصوصاً خلال السنوات الأولى التى تلت إنشاء مستوطنتهم " (2) .

منذ أول حاكم وهو باتوس، استمرت لكوريني طوال عهده وعهد خلفائه نظمها وسياساتها التشريعية والإقتصادية الاجتماعية الخاصة بها، فلقد تأسست وعاشت هذه المستوطنة لتكون مدينة حرة إغريقية، وتمتعت بحريات أكثر مما تمتعت به مدن أخرى كثيرة حتى فى عهد البطالمة، ومنها الإسكندرية نفسها، ولايوجد تقدير دقيق لعدد سكانها فى تلك الفترة، ولكنها لاشك كانت أكثر مدن الأقليم سكاناً، وأكثرها نشاطاً وانطلاقاً، وأن الإغريق ثم السكان المحليون كانوا يشكلون الأغلبية فى المدينة، ومن بعدهم اليهود الذين جاءوا خلال العهد البطلمى، وأن الملوك البطالمة اللذين خلفوا الباتيين فى حكمها، وكان حكمهم ملكياً ومركزياً، حاولوا قدر الإمكان الحد من استقلالها الذاتى، ومع هذا لم يكن بوسعهم إلغاء دستورها ومجامعها الدستورية، فاحتفظت بما احتفظت به المدن الإغريقية العريقة، وذلك يدل على موقفهم من

(1) ديورانت، مرجع سابق، مج 2، ج 3، 8، ص ص 42-43؛ نفسه، مج 2، ج 1، 6، ص 315 .

(2) شامو، مرجع سابق، ص 338 .

النظم المألوفة، إذ برغم احتفاظهم بامتيازاتهم إلا أنهم غيروا من سياستهم معها، وحرصوا على أن تكون علاقاتهم بها مغايرة لتلك السياسات المركزية التي اتبعوها مع غيرها، فابقوا لها على دستورها العتيق مع بعض التعديلات، ولذلك احتفظت المدينة بروحها ونظمها، وبما احتفظت به المدن الأقدم عهد وتاريخ حضارى من عاصمة البطالمة (1) .

على لوحة من الرخام نقشت نصوص الدستور الكورينى، الذى وصف بإنه Diagramma، ووصفت موادها بأنها قوانين Nomoi، وقد تضمنت ديباجة وخمس عشرة مادة، واختلف الباحثين حول مسألتين عنه نظراً لعدم وضوح آخر جزء من هذا اللوح وهما؛ الملك البطلمى الذى فى عهده تم تعديل وإقرار الدستور، والمسألة الأخرى؛ هل كان دستوراً لكورينى فقط، أم لكل مدن كيرينايا، والأغلب أن إصداره الأخير يعود إلى عهد بطلميوس الأول، الذى وافق عليه بعد إجراء بعض التعديلات، لتنظيم الأوضاع بالاقليم بعد سيطرة البطالمة، وكانت قد وقعت به اضطرابات، وخاصةً فى كورينى التى مرت بفترة من عدم الاستقرار، فى الثلث الأخير من القرن الرابع ق.م. تلك الأحداث التى اعقبها بسط السلطة البطلمية فى الاقليم كأمر واقع، وفى المسألة الثانية يرى بعض الباحثين أنه لما كان هذا الدستور يتوجه للمواطنين المقيمين فى المنطقة الممتدة من بعد قاتاباثموس إلى مابعد أوتومالاكس، أى من أقصى الشرق إلى الطرف الغربى من كيرينايا، فإن هذا يدل على أنه لم يكن دستوراً لمدينة كورينى وحدها، وإنما لكل الاقليم، بينما يرجح رأى آخر إن وجود بنود تنظم علاقات كورينى مع باقى مدن كيرينايا يدل على أنه كان خاصاً بكورينى فقط (2) .

فى النصوص الأولى من مواد الدستور توجد العناصر الأساسية التالية: هيئة مواطنين تتكون من عشرة آلاف مواطن، ومجلس بولى مكون من خمسمائة عضو يختارون بالاقتراع، ومدة العضوية أربع سنوات، ولايجوز إعادة التشريح للمجلس إلا بعد سنتين من انتهاء العضوية، ومجلس شيوخ يتكون من مائة عضو، وفى حالة اعتزال أو وفاة احدهم تتولى هيئة المواطنين تعيين آخر لايقبل عمره عن خمسين عاماً، وتختار الهيئة كذلك كاهن للاله أبولو تؤرخ الوثائق باسمه، وفى المادة السادسة ينتخب العشر آلاف

Joseph., Jud., XVII, 115 ff; (1) نصحى، مصر فى عصر البطالمة، ج2 ص ص 371-373

(2) عبدالعليم، مصطفى كمال، دراسات فى تاريخ ليبيا القديم، بنغازى، 1966، ص ص 138-150: نصحى، مصر فى عصر البطالمة، ج1،

ص ص 61-62: نفسه، ج2، ص ص 322-323. 356-371 .

خمسة من القادة، على أن يكون بطلميوس قائداً مدى الحياة، وفي المادة السابعة يكون هناك تسعة أوصياء أو حراس على القوانين *Nomophylakes*، وخمسة حكام، يختارون من بين العشر آلاف كذلك، بشرط أن لا يكونوا قد تولوا المنصب من قبل، وفي المادة التاسعة كل مواطن من أعضاء هيئة المواطنين يمارس مهنة الطب، أو تدريب الصبية على الألعاب الرياضية أو الموسيقى أو المبارزة، أو يعمل رسولاً في البروتانيوم، لا يكون عضواً في المنظمات المعروفة باسم *Hetairai* (1) .

لقد تأثرت المدينة بكثير من الأحداث والوقائع التي مرت عليها، لكنها تأثرت أكثر بمجئ الحكم البطلمي المركزي الذي ركز السلطات بعاصمتهم الإسكندرية، ولكن مع كل هذا فلا أحد بإمكانه تجاهل الدور الثقافي الحضاري الذي قامت به قبل وخلال هذا العهد " .. إن كوريني بلغت من الازدهار والإبهار حداً جعلها نداً لأثينا ومنافساً لها على زعامة العالم الإغريقي ثقافياً واقتصادياً، ولكن تأسيس مدينة الإسكندرية على يد الإسكندر الأكبر، ثم اتخاذها عاصمة للدولة البطلمية قد أضرت بكوريني بالغ الضرر، فقد انتقلت الأهمية إلى المدينة الجديدة، وتضاءلت أهميتها .. إن تأسيس الإسكندرية ونموها مركزاً سياسياً وثقافياً كبيراً، كان نقطة تحول في تاريخها، ولعل أهم وأبلغ ضرر يتصل بموضوع الناحية العلمية والثقافية، لأنه عندما قام البطالمة ببناء دار العلم ومكتبة الإسكندرية، فقد عملوا على القيام بدعوة وبجلب العلماء إليها من كل أنحاء العالم الإغريقي عامةً، ومن كوريني خاصةً، والتي كانت وبالأعلى عليها عندما اجتذبت أساتذة مدارسها وأثرت على أوضاعها الاقتصادية والثقافية " (2) .

تميزت كوريني بتجاريتها ومينائها وأسواقها، كما تميزت بمجلسها وبمعابدها وحماماتها، وبرز من أبنائها في شتى المجالات، فكان منهم العلماء والشعراء والخطباء والفلاسفة، وأكثر ما يستحق الذكر هو أن أول جامعة نشأت في الساحل الشمالي من قارة لوبيا القديمة هي جامعة كوريني، تلك الجامعة التي أخرجت عديد الأعلام في كل ميادين المعرفة الإنسانية والطبيعية؛ العلوم والآداب والفلسفة والفنون، وبالإضافة إلى أولئك الأفاضل أبنائها أرسطيوس وكالليماخوس وإراتوستينيس وأستير *Aster* وكارنيادس وسونوسيوس، اجتذبت إليها طوال عهد ازدهارها الكبار من مشاهير وأساطين الفكر الإغريقي من كل مكان، فزاروها وكرروا زيارتها، وذكروها وأظنوا في ذكرها، ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر وغيرهم كثيرون،

(1) S. E. G., IX, 1; Cary, Ibid, pp. 222 ff; Jones, A., *Cities of Eastern Roman Provinc'es* , p. 357 .

(2) شلوف، عبد السلام، المقال السابق، ص 136 .

الشعراء هوميروس في القرن التاسع والثامن ق.م، وبنداروس، والمؤرخ هيرودتوس والفيلسوف الفذ أفلاطون " ثمة ثلة من العلماء والأدباء ارتبطوا بكوريني، منهم من وُلد فيها وعاش، ومنهم من ترعرع بها ثم هاجر، ومنهم من زارها ونهل من ينابيع العلم فيها، ومنهم من تتلمذ على أساتذتها الأفاضل، فمنها الاحتضان والحماية ومنهم الوفاء والولاء، فكانت كوريني لهم إلهاماً ووحياً وموضوعاً لكتاباتهم فيها أو عنها، فوجدوا فيها محجاً ومستقراً ومقاماً " (1) .

عند الحديث عن مكتبة الإسكندرية لابد أن يُذكر العالم والشاعر كالليماخوس بن باتوس، وهو أبرز أسماء العصر، وأهم ممثل للمكتبة، وتنحدر أصول عائلته النبيلة إلى باتوس، ولد في كوريني حوالي 305 ق.م. وعاش فيها أول شبابه، وتعلم في مدارسها، ثم سافر إلى أثينا فترة ليتلقى فيها تعليمه العالي، واستقر بعدها في منطقة اليوسيس بضواحي الإسكندرية حيث أسس مدرسة واشتغل بالتعليم، وبعد إنشاء مكتبتها الكبرى، أصبح مصنفاً في المكتبة، وألقى محاضراته فيها، ففي إطار جهوده لجعل الإسكندرية مركزاً للثقافة الهيلينية استدعاه بطلميوس الثاني فيلادلفوس إلى المدينة وصار شاعر بلاطها، ثم عينه رئيساً للمكتبة لبدأ خدمات علمية وعطاءات ثقافية لا سابق لها في تصنيف المكتبات، حيث وضع أهم أعماله في هذا العلم؛ كتابه الشهير البيناكس، كما كانت مؤلفاته الكثيرة الأخرى أساساً لدراسة نقد الأدب الإغريقي، وحتى قصائد كالليماخوس هي أفكار في الفن والعلم وتدل على سعة إطلاع، وليس إبداع شعري فقط، والواقع أن معظم موضوعاتها ذات هدف علمي مباشر، ولم يكن النشر الشعري عنده على حساب الأفكار، ومعظم أشعاره قصيرة من الشكل المسمى أيجرامات أو ملاحم صغيرة، ولذلك ظلت قصيدة الأسباب Aitia، من أهم وأطول قصائده الباقية، وهي مزيج من المعلومات التاريخية والجغرافية والميثولوجيا، تناولت تأسيس المدن ونشأة الحفلات الدينية، وفي كل قصائده لابد أن يذكر كوريني مسقط رأسه ومنشأ طفولته وشبابه، وضع كالليماخوس 800 كتاب، وظل ينظم الشعر إلى آخر أيامه، وتؤرخ وفاته بسنة 240 ق.م. في عهد بطلميوس الثالث (2) .

في علم الجغرافيا لابد أن يذكر العالم الجغرافي والموسوعي الآخر بجامعة الإسكندرية إراتوستينيس الكوريني، الملقب بوالد الجغرافيا، تتلمذ على يد كالليماخوس وليسانياس، وكان واسع المعرفة وتناول في

بدوى، مرجع سابق، ج2، ص 5- 16 . - (1) بدوى، مرجع سابق، ج1، ص 5

(2) ديورانت، مرجع سابق، مج2- ج3، 8، ص 102- 103 .

كتاباتة موضوعات عديدة أخرى، منها النقد الأدبي والتاريخ والرياضيات والفلك، وهو اول عالم استطاع ان يستفيد من معلوماته الرياضية لخدمة الجغرافيا، وأن يقدر قطر الأرض بدون آلات، والعالم أستير من كوريني كذلك، وهو ايضاً من تلاميذ كاليماخوس، صنف مؤلفاً في حوالى ستة عشر كتاباً، يعد من أهم الأعمال عن الفترة الأسطورية من تاريخ أتیکا (1) .

من الفلاسفة الكبار الفيلسوف كارنيادس بن إبيكوموس وهو مؤسس لما يعرف بالمجمع الجديد فى أثينا، وكان ينتمى إلى مذهب الفلاسفة المتشككين Sceptus، أو مايعرف بالمدرسة الاحتمالية، وهم أولئك النقاد الأوائل الذين اكتفوا بالنقد دون التعبير عن الرأى، ومن المذاهب الفلسفية المعروفة جداً، والتي أثارت الجدل لمدى طويل، مذهب اللذة للفيلسوف أرسطوبوس من كوريني، حتى صارت تعرف باسمها، وكان من تلاميذه ثيودوروس Theodorus، وهناك آخرون من طرحوا آراء عديدة بخصوص هذه الفلسفة وصار من أكبر دعائها أو معارضيها، ومنهم هيجسياس الناصح وأنيسيريس Annieceris، وفى المصادر الفلسفية لابد أن يذكر مذهب الاحتمال او المدرسة الاحتمالية التي ذاعت شهرتها فى أثينا كما ذاعت شهرة مؤسسها الفيلسوف الكوريني كردنياس، ومن الفلاسفة والكتاب البارزين المتأخرين أيضاً سونييسيوس الكوريني، والذي يرد ذكره فى بعض المصادر بسونييسيوس الكورينائى أو البرقاوى، كتب مقالات وأناشيد وخطابات أفادت فى إعطاء صورة واضحة عن الحياة التعليمية فى مدن كيرينايا، وينتمى إلى أسرة كورينية قديمة وعريقة، درس فى الإسكندرية وأقام فترة فى أثينا، وأوفد مبعوثاً إلى القسطنطينية، واستطاع أن يحصل على مساعدة لكوريني من الإمبراطور أركاديوس Arcadius 395-408 م، وفى عام 410 م. عين أسقفاً لمدينة بتوليمائيس، وحينها كانت قد صارت عاصمة للأقليم (2) . من الأدباء كُتاب النثر اللاتينى الكاتب من أصول " ليبيية " بوبليوس ترنتيوس آفر 195-159 ق.م. Publius 1Terentius Afer وقع أسيراً عندما كان صغيراً حيث أخذ إلى روما، وهناك استطاع الحصول على تعليمه وحرية (3) .

الخلاصة من أبناء كوريني، فلاسفة اسسوا لمدارس فلسفية كبرى، ومنهم من قال بآراء جديدة لم تطرح من قبل، لدرجة أنها عُرفت بالمذاهب الكورينية أو بفلسفة كوريني لتمييزها عن مدارس أثينا، وإن كثيراً

(1) نفسه، ص ص 152-154 .

(2) بدوى، مرجع سابق، ج1، ص ص 5-22: نفسه، مرجع سابق، ج2، ص ص 17-22 . (3) نصحى، تاريخ الرومان، ج1، ص 416 .

من العلماء كان كورينياً، أو تتلمذ على يد علماء كوريني، أو ربطتهم علاقات ثقافية متينة مع العلماء فيها، وبرغم فقدان وضياع مؤلفات معظمهم، إلا هناك الكثير من الأدلة المادية التي لاتزال تشي بالدور التعليمي والثقافي البارز الذي شهدته المدينة، برغم كل محاولات الطمس والتجاهل " بالاستقصاء والاستقراء والمقارنة يتضح لنا أنه ما من مدينة في الوجود غمطت حقوقها الثقافية والحضارية كما غمطت حقوق مدينة كوريني، وما من بلد في الكون تم التنكر لمنجزاته الثقافية والحضارية مثلما النكران لكيرينايا منذ أمد مديد .. لانريد منهم أن يتزيدوا أو أن يدعوا، ولكننا فقط نريد منهم أن يذكروا وينشروا ما كان وما هو كائن، لا أكثر ولا أقل، فلا يبخسوا وطنهم قدره بين الأوطان، ولو بحثوا ونقبوا لوجدوه قدراً عالياً علواً كبيراً " (1) .

من مدارس العهد البطلمي، مدارس خاصة وحررة شيدتها ودعمتها المدن الإغريقية، ومدارس ومكتبات عامة دعمتها السلطة، دار العلم ومكتبة الإسكندرية هي أول مؤسسات إغريقية حكومية بناها البطالمة، واصبحت جميع تلك المؤسسات الخاصة العامة مفتوحة للدراسات العلمية والأدبية، ثم وجدت مؤسسات رسمية شبيهة بها ومنافسة لها في جُل مدن العالم الإغريقي، ولكن مؤسسات الإسكندرية؛ دار العلم ومكتبتها الكبرى خاصةً، فاقت سائر هذه المؤسسات الملكية، إلى حد نكرها بدون تخصيص عند الحديث عنها، إذا أصبحت علماً على الحركة العلمية والتعليمية في كل العالم الهيلينيستي؛ واحتضنت هذه المؤسسات الفارهة مئات من النشء الذين أصبحوا في مستقبلهم علماء أفادوا الحياة الثقافية والسياسية والاقتصادية، ويؤكد على ذلك الزخم في أسماء وأعداد النابغين، وما بلغته الرعاية بالنواحي العلمية والتعليمية، فالاهتمام بالتعليم وبالأمر التربوية في حقبة البطالمة لم تكن أوضح منها في أي عهد آخر من العهود السابقة لها، إذ كانت أكثر ونشاطاً وتنوعاً، ولا يكاد يوجد مثال من الأمثلة التعليمية الماضية، إلا وترى لها في هذا العهد شكلاً للتطبيق في مدرسة من المدارس (2) .

كانت في دور العلم مجموعات وحلقات كبيرة للبحث العلمي، ووجدت بقربها وحولها أعظم مؤسسات حوت معظم تراث الإغريق والإنسانية آنذاك، وأصبح في متناول العلماء وطلبة المرحلة العليا، محتويات كل

(1) شلوف، عبد السلام، المقال السابق، ص 134 .

(2) غرمبريتش، إرنست، مختصر تاريخ العالم، (ت. ابتهال الخطيب)، الكويت، عالم المعرفة، 2013، ص 173 .

المكتبات، ولذلك فإن مكتبة الإسكندرية هي أول مكتبة جامعية عرفها التاريخ الحضاري، قامت بدور كبير في تطور المعرفة والثقافة، بل هي القاعدة أو الأساس الذي ارتكزت عليه أهم مؤسسات للبحث العلمي، لذلك فلا يقتصر الأمر هنا على سياسات الملوك التي كانت سبباً من أسباب هذا النشاط والرواج التعليمي، فقد كان العلماء و الأدباء هم أساس لعهد زاخر، العهد الذي صارت العلمية سمة من سماته، وتعددت وتنوعت مؤسساته، فكان بحق عصر ازدهار ونهوض آخر للإغريق (1) .

أصبح إنشاء دور للكتب بشكل علمي ومنظم ضرورة ملحّة ومحتومة، لإن متطلبات البحث، ووجود المدارس، والحاجة للمؤلفات أصبحت كبيرة إلى الحد الذي برزت فيه في هذا العهد فكرة مكتبة كبيرة عامة، إذا أنه قد توفرت في وقت لاحق كل الظروف والشروط الضرورية لإنتاج ضخم للبحوث والكتب، فنمت مكتبة الإسكندرية وحوث خلال وقت قصير على مئات الآلوف من الكتب، ومدارس المدن البطلمية أصبح في متناول مثقفها وقراءها من المعلمين والمتعلمين عدد ضخم من المؤلفات المتنوعة والنادرة في الأدب الإنساني والإغريقي الكلاسيكي بشكل كبير، وأن المكتبة الفرعية امتدت إليها الحركة العلمية، حتى أن المحاضرات والدروس كانت تُلقى في أروقة معبد السراييون وفي مبنى المكتبة (2) .

لقد ظلت المكتبة الكبرى أهم وأبرز المظاهر الحضارية المميزة للإسكندرية، ولذلك احتلت مكانتها المعروفة بين مكتبات العهد الهيلينيستي إلى العصر الروماني (3) .

حفرت المكتبات والمدارس والجمنازيوم والمسارح اعمالها في الذاكرة، فحلقت بمحيطها في آفاق عليا، وظلت تُمثل روح الانفتاح والبحث التي ميزت المرحلة، حيث صارت مراكز رفيعة ومتميزة في إنتاج ونشر المعرفة، وملتقى للحوار ومصدر إشعاع ثقافي بين مناطق الشرق والغرب، إن هذه المؤسسات ليست نقطة مضيئة في سجل الحضارة الإغريقية الشرقية فحسب، بل إنها تُمثل عبرة للعصرية الإنسانية .

(1) انظر ستيتيفيتش، مرجع سابق .

(2) Diod, III, 36, 3 .

(3) Jouguet, P., Trois, Et., 1929, p. 116 .

خاتمة

إن التعليم غير التلقيني واللا نمطى الذى يتجاوز الشكل والإطار التقليدى يعود بجذوره وأصالته إلى هذه الفترة التاريخية البطلمية الهيلينستية، وهذه الدراسة محاولة اخرى من محاولات سابقة لكشف جوانب وأتجاهات هذا التعليم، وهى رؤية شبه تفصيلية بعض الشئ عن قيمه ومراحلته وتطور مؤسساته، فالرؤية التاريخية والحضارية الكلية امر مهم لمن يريد ان يصل إلى أبعد من مجرد الإلمام العام والسطحى بجوانب الدراسات الإنسانية، والأهم هو استيعاب تلك التجارب التعليمية، فقلما وجدت أفكار ونظريات ومدارس لم تكن من نتاج هذا العصر، ولم تجد لها مجالاً للبحث والتطبيق إلى اليوم، فذلك التفوق التعليمى الإغريقى البطلمى القديم حقيقةً لا يحتاج إثباتها لدليل، فلقد فرضت واستحوذت نظرياته ونظمه وطرائقه وأساليبه على تقدير وإهتمام الباحثين فى التاريخ التربوى والفلسفى والإجتماعى، ولاعجب ولاغرابة فالتجربة التعليمية البطلمية المثمرة، والتي أتت بأبهر النتائج فى زمن قياسي، استندت على شكل وواقع حضارى بعيد وعميق كان سائداً فى المجتمع البطلمى، وهى لذلك تجربة جديرة بالإعجاب والتقدير وبالوقوف أمامها طويلاً والبحث فيها .

إن كل من يبحث فى تاريخ التربية والتعليم الإغريقى عامةً والبطلمى خاصةً، سيرى الفرق ويكتشف تلك الطفرة غير المسبوقة للتجربة التعليمية البطلمية، وذلك العدد والكم الهائل من المؤسسات؛ المدارس والمكتبات والعلماء المعروفين وغير المعروفين الذين يخطئهم الحصر والوصف، وهذا أوضح دليل على الشغف بالبحث وحُب المعرفة، وعن قوة وأثر ذلك التعليم، وإن كثير من القضايا والمشكلات التى تناقش وتلقى الأهتمام فى الدوائر العلمية اليوم، كانت فى مجال البحث والتفكير عندهم وفى مؤسساتهم، وقد حاولوا وضع الحلول لها ومعالجتها، فنجحوا فى بعضها، وظلت بعضها مجالاً للدراسة، فضلاً عن مدى نجاح ملوك الدولة فى إعادة تشكيل وصياغة المجتمع المتعدد الأعراق والثقافات والديانات برؤية كلية وبرنامج تعليمى شامل .

كان للعصر البطلمي الهيلينيستي فضل كبير في تقدم التعليم، وفي الواقع أن المؤسسات والمدارس التي نشأت وازدهرت في هذه الفترة هي من رفعت إلى مستوى عال، وقامت بالدور الأكبر، فالزخم والمنافسة التي بعثتها هذه المؤسسات في كل جوانب ومسائل التربية والتعليم، جعلت من مدن البطالمة منذ ذلك الوقت من أهم مراكز التعليم الإغريقي، فقد كانت نظمها ومستوياتها قائمة على أسس وقواعد علمية ومنهجية عليا، ولهذا اخذت هذه المؤسسات التعليمية المعروفة تبرز منذ هذا النهوض الثانى للإغريق، وتنتشر ليس في مدن المملكة البطلمية فقط، بل في كل مناطق الثقافة الهيلينستية، انتشاراً بلغ من قوته وزخمه أن قيل " أن جميع الأمم المتحضرة أضحت مستعمرات لهلاس في كل ما يتصل بالنشاط الذهنى " .

إن هؤلاء البطالمة الإغريق هم اول بنى المؤسسات العامة، ففي المدن البطلمية أنشأت المكتبات والمدارس وساحات الألعاب ومدارس الرياضة البدنية، وأصبح يوجد نوعاً أو شكل من الإشراف عليها، وأن هذه المؤسسات أوجدت لنفسها تقاليد ونظم تربوية وتعليمية متميزة، وأصبح التعليم فيها متاحاً للجميع تقريباً، ولا يقتصر على أبناء المواطنين المقدونيين والإغريق، ولم يعد التعليم في معظمه خاص ومن مسؤوليات الأسرة، بل أصبحت توجد مدارس عامة تقدم مناهج وطرق دراسية، ومكتبات تشييدها وتديرها الدولة، إلى جانب استمرار التعليم الحر والخاص، وربما رأت بعض مدن الدولة أن المنافسة في التعليم أفضل، وهو ما يفسر إعمارها لأكبر المكتبات وأهم المدارس، فأنشأت دار العلم التي كانت من أبرز الدور أو الجامعات القديمة آنذاك، ومكتبتى الإسكندرية التي قدر لهما أن تكونا أقدم وأكبر مكتبات حكومية في التاريخ القديم .

منذ ان بدأت هذه المؤسسات تكسب اتباعاً ورعاة، والعلم والتعليم بمختلف فروعه يلقى انتشاراً ورواجاً، إذ ان قواعد التفكير العلمى غدت أساس لكل عمل وبناء وكشف، فالواقعية والعلمية التي أرست اساسها ودعائمها مؤسسات البطالمة أتت بنتائجها تبعاً بعد ذلك على يد تلاميذهم، عندما أخذت اتجاهات العلم تقاوم المعوقات وتتححر من الأساطير والخرافات، وهذا الاتجاه العلمى الواقعى بدأ بالمدارس الفلسفية التي ظهرت في القرن الرابع ق.م، وكل تلك الأفكار العديدة التي خرجت على الفكر النظرى الذى كان سائداً وقتذاك .

إن قيم التعليم الهيلينيسي قامت على الأسس التي وضعتها مؤسساته التعليمية، فتلك النظريات والأفكار والعلوم التي نشرها، هي التي أرست قواعد التفكير العلمي الذي لم يكن له وجود من قبل، ففي هذا العصر بدأ اهتمام العلماء أكثر بدراسة ظواهر الواقع ورصدها، فوضعوا التطبيق العملي والتجربة في المرتبة الأولى، بعد أن كانت القيمة للأفكار النظرية، فغدت التجريبية اتجاهاً وسمة من سمات المعرفة في هذه الفترة، وأسفرت التطبيقات العلمية عن نتائج واكتشافات، أسهمت بشكل عملي وواقعي في رفع ورقى الحياة التعليمية في ذلك الوقت .

إن العقلية العلمية والمنهجية الإغريقية أنطلقت في هذا العصر ولم تتوقف عن الابتكار، ونشر علماء وأساتذة المؤسسات البطلمية نتائج أبحاثهم وتجاربهم في محاضرات وفصول، وأصبحوا بذلك مؤسسين للدراسات العليا فيما بعد، وقد جذبوا إليها الكثير من الطلبة الشباب من كل الطبقات، وعلموا فن المناقشة أو المناظرة للمجتمع العلمي، وكافحوا بثقة وصبر الأفكار التقليدية أموراً مسلماً بها، مقدمين مقاييس جديدة وأفكاراً غير مسبقة تركز على العقل وحده، فالعلم ينهض من حيث الجوهر على أساس التجربة ونتائجها، وهي ذات الطريقة التي طبقها خلال القرنين الرابع والثالث والثاني ق.م. فالعلوم الإغريقية بلغت شأناً بعيداً في العصر الهيلينيسي بعد الخطوات الأولى الموفقة التي خطتها منذ ذلك العهد .

قصارى القول إن في العصر الهيلينيسي تنامى الميل العلمي والتعليمي، وغدا عصر العلم والرغبة في الوقوف على أرض الواقع، وغدت العلمية سمة وطابع وهدف ومطلب يتنافس من أجله الجميع، ولذلك سادت رغبة كبيرة في المعرفة سواء في مجال العلم أو التعليم، ففي المجال الأول، أسفر التطبيق العملي للفكر النظري عن اكتشافات عديدة غيرت من مظاهر الحياة إلى حد ملموس، فلقد كان العصر بحق عصر إزدهار للعلم، فبعد أن تسلط الفكر النظري طويلاً على العقلية الإغريقية أقبل العلماء على التطبيق العملي للنظريات، فازدهر العلم والبحث بالتجربة، ووجدت ميادين وآفاق أخرى للمعرفة .

ظهرت نتائج ومخرجات هذا التعليم النوعي المتفوق في ذلك الكم الكبير من العلماء الرواد وتلاميذهم البارزين في كل نواحي العلوم والآداب والفنون، فالنبوغ والعبقرية الإغريقية في كثير من الأحيان بلغت مراتب عالية، ولقد كان هؤلاء أداة هذا البحث، وأصبحوا حافزاً قوياً لطلب المعرفة، وجعلوا من التعليم

سمة العصر، وأنهم جأوا بأفكار وأسباب للتفكير جديدة، وأساليب للبحث غير مسبوقه، وأيقظوا الوعي والنضوج الذهني، فأصبحوا يجيزون التجارب العملية ليتوصلوا بها إلى فهم النظريات، كما كانوا يستخدمون النظريات لما عساها أن تؤدي إليه من نتائج عملية، فكان الاتجاه الأبرز إلى التجريبية والعلمية، وأخذت تلك الآراء التي كانت من قبل أفكاراً تنضج وتتشكل مع الوقت، وأضحت مدارس ونظماً مستقرة ظلت مصدر الحركة العلمية والتعليمية عدة قرون .

إن النهضة التعليمية البطلمية الإغريقية لم تنتهي بإنتهاء الدور السياسي للدولة البطلمية، إذ ظلت الأجيال الهيلينية التالية تعده من أهم عهود تاريخهم التعليمي، فقد كان هذا العهد بحق متنوع بأفكاره، ومنطلق في تحديه لجميع المعايير والعقائد التقليدية، وما من عهد من العهود اللاحقة نafs العهد الكلاسيكي في كثرة مدارس وأنطلاقه العلمي، وفي الثقة التي كانت تُطرح بها الأفكار، إلا هذا العهد البطلمي، فقد كانت كل المسائل التي تشغل المجتمع آنذاك تُدرس وتناقش في مدارس وجامعات تحررت من الأساطير والتقاليد، وانصرف اتباعها إلى البحث والدرس، واتخذوا من تراثهم وحاضرهم نقاط انطلاق، لإن التعليم لا يمكن أن ينشأ ويزدهر في أجواء الكبت المعنوي والمادي، فالنشاط التعليمي الإغريقي واكبه نشاط ثقافي وسياسي وإقتصادي واجتماعي، وسمحت هذه البيئة بحرية التفكير والنقد، وأدت المناقشات العلمية إلى الوعي، وتناولت مناقشاتهم وخطاباتهم القائمة كل شيء، وما تمخض من نتائج وواقع علمي عنها بعد ذلك، كان نتيجة طبيعية للظروف التي واكبت وساعدت على هذا النشاط والزخم من الإبداع والابتكار .

في هذه البيئة التعليمية الباعثة على النشاط والكشوف، والبحث أثمرت مؤسسات الإغريق وتميزت عن

غيرها، فالبيئة العلمية الجاذبة والمشجعة نتيجة طبيعية لاتساع المعرفة ونهوض التعليم وازدياد المعلومات، والتعليم الإغريقي كان مزيجاً من كل هذا؛ من الإتقان والتفرد، وأنتج وأخرج علماء وأدباء وفلاسفة وفنانين، فالتعليم والبيئة لا الوراثة فقط هي التي تخلق العقول، والحرية والفردية والكشف العقلي، كانت من أسباب تقوية أساليب التعليم الإغريقية، كما هي التي ألهمتهم ما أبدعوه في الفلسفة والآداب والعلوم والفنون، وتشكل جيل ناشئ متحمس للعلم والمعرفة، يجد سعادته في البحث وجمع الكتب، وتقدير المكتبات الكبيرة .

في التعليم الأولى البطلمي كانت توجد مرحلة تسبق المرحلة الأولية، وهي فترة يلعب فيها الأطفال ولا يتلقون أى نوع من التعليم المقصود، ثم في عمر أكبر يبدأون التعلم المنتظم، حيث لا يتضمن المنهج التعليمي مبادئ الكتابة والقراءة فقط، بل تعليم الموسيقى والرياضات البسيطة الأقرب للألعاب، ثم في عمر أكبر يبدأ شكل آخر من التعليم ملائم لأعمارهم ومستوياتهم العقلية والجسدية، وهو أشبه بالتعليم المتوسط، وحتى في هذه المرحلة المتوسطة ظلت توجد مرحلة تمهيدية، وهي فترة تهيئة لدخول التلاميذ إلى ما عرف عند الإغريق بالجمنازيوم؛ النظام والشكل الشهير، الذي هو أشبه بالنادى الثقافي والرياضي في ذات الوقت، حيث يتلقون فيه تعليم أعلى، فبالإضافة إلى الرياضات البدنية والموسيقا، يشمل الدراسة الأدبية؛ قواعد اللغة الإغريقية والخطابة ودروس في الفلسفة، وبعض من جوانب العلوم الطبيعية، ولكن غلب في هذه المرحلة المنهج الأدبي والفنون، ثم صار تدريجياً التركيز على كل الدراسات سواء الأدبية أو العلمية بنفس القدر، وبحسب ميول الطلاب، وتوصلوا بعدها إلى أن لم يعد هناك منهجاً محدد يلزم الطلبة بتعلمه، وإنما كل مجموعة تميل أو ترغب في تخصص معين تتجه إليه، وفي العادة يكون الاهتمام بمسألة أو قضية، والألتفاف في الغالب حول أساتذة معروفين باتجاههم الفلسفي أو العلمي أو الأدبي، وقد

طبعت فى البداية الفنون وخاصةً النحت، وكذلك الفلسفة الإغريقية طرائق التدريس بطابعها، فأغلب الدروس هى مشاهدات وتدريبات عملية، ونقاشات ومناظرات بين التلاميذ وأساتذتهم، وفى هذا العهد بدأت العلوم تتحرر وتنطلق، وتتجه نحو العلمية، حيث اخذ التعليم ينحو أكثر نحو الدراسات العلمية والتجريبية العملية، وغدا هناك توجه عام للعلوم الطبيعية والتطبيقية أكثر من الدراسات النظرية .

فى نظام التعليم الإغريقى لم تكن توجد امتحانات بالمعنى المعروف اليوم، والآن هناك اعتقاد أو رأى؛ إن من أبرز نقاط الضعف ومساوئ أنظمة التعليم الحالية، هو فى وضع الاساس التقييمى فى نجاح واجتياز تلاميذ المراحل الأولية والمتوسطة خاصةً، لمعيار الامتحان أو الأختبار النظرى قبل أى معيار آخر، وبديلاً عن الأنشطة العملية اليومية، والتي هي من المفترض أن تكون الأساس والمعيار الحقيقى لتقويمهم ونجاحهم، حتى اصبح ينظر إلي الأمتحان علي انه آلية التقييم الوحيدة، بدل ان يكون معياراً تقويمياً، وربما كان اعتماد هذا الأسلوب التربوي غير المجدى، يرجع لمعالجة حالة الضعف والقصور التي تصاحب إدارة وتوجيه العملية التعليمية، فالتقييم عبر الامتحان يعزز ويمنح الفرصة لحالات الغش، والذي أصبح ظاهرة متفشية، وليس فقط مجرد حالات شاذة واستثناء، الأمر أو الشئ الذى يعكس حالة الفشل والعجز والفساد فى المؤسسة التعليمية ككل فى اداء الواجب أو الدور المطلوب منها بالشكل الامثل، وهذا ليس مسئولية ودور المعلم فقط، وفى الحقيقة الامتحان لا يمنح المؤشر الحقيقى والواقعي للفشل او النجاح، وإنما المقياس والمؤشر يكمن فى اعمال المتابعة اليومية أن ادي المعلم عمله علي اكمل وجه، واستطاع طلبته كذلك استيعاب وفهم المواد لا حفظها عن ظهر قلب، لأجل اجتياز الأمتحان، وربما اصبحت الحاجة ملحة للتخلص من هذه الآلية، خاصة بعدما اصبحت الظاهرة شائعة بل مستفحلة فى مدارسنا، وربما التغيير لهذا الأسلوب سيحد منها ويقلصها الي ادنى نسبة، وفى رأىى ان لا يمنح الامتحان

أكثر من عشرة بالمائة من معدل تقويم الطالب، مع وضع ضوابط دقيقة للأعمال اليومية .

إن التعليم في البداية والنهاية هو استعداد طبيعي عند الجميع في كل المجتمعات، ولكن لا بد أن تتوفر لهذا الأمر الفطري الظروف والبيئة الملائمة التي تيسر وتساعد على إنتاج تعليمي بالشكل المطلوب والأفضل، وأما استمراره إلى مستويات أعلى بعد ذلك، فهو ينبأ لا شك عن قدرات فردية ترتبط بالذكاء والمهارات والعبقرية، فلا يستطيع الحصول من المعلمين أو الطلاب على السواء على تعليم أعلى واستفادة محددة وحقيقية، إذا لم يكونوا ذوي مواهب طبيعية، أو بالأدق لن يكون في وسعهم، أن يدرسوا ويدرسوا العلوم الطبيعية ويتفوقوا فيها، إذا لم يكن لديهم الدافع والرغبة والميول إليها .

لهذه الأسباب وغيرها، فإن الاتجاه التربوي الإغريقي ظل يتصل بمعاني ودلالات عميقة لها علاقة بالبحث عن الإنسان الناجح والكامل، الذي يحقق الإنسجام بين الكمال الروحي والجسدي، ومنذ ذلك التاريخ لم يكن يفهم من التربية سوى تكوين وبناء مكونات الروح والجسد معاً، وكان يُنظر إليها والتعليم شيئاً واحداً، إذ رأوا فيها العناية التي يجب أن تُقدم للنشء في كل النواحي، ومنذ العصر الكلاسيكي حتى العهد الهيلينيستي احتدم النقاش بين فلاسفتهم، حول أهداف هذه التربية العقلية أو الخلقية، وهل يكون التركيز على العلوم العملية أو بتعليم العلوم النظرية البحتة، ولكنهم اتفقوا على قيمة المعرفة، وأن رسالة التعليم هي تحقيق سبل ووسائل هذه المعرفة الطبيعية والإنسانية .

كانت استراتيجية وأساليب التعليم العالي البطلمي تتعدى الأشكال والمناهج التعليمية العادية، ولا ترتبط بشروط وقيود محددة، والتركيز على التعليم الثقيفي والعلوم التي تغذي العقل والفكر، وتركز على إعطاء مُطلق الحرية في البحث والتعبير عن الأفكار والآراء، وتوفير المواد والإمكانات والفرص المادية والمساحة

المكانية والزمنية لمناقشة تلك الأفكار، ليس من أجل عرضها وتقييمها أو رفضها وتغييرها، بل من أجل طرح كل المشكلات والنظريات المختلفة أمام الطلبة، فالمنهج في البداية لا يتعدى غالباً بعض المعلومات عن قضية أو موضوع ما، ولكن يُطلب من الطلبة البحث والقراءة الكافية عنه في الكتب المرافقة والمقالات، ومن ثم تُتاح الفرصة والوقت لهم للمناقشات حولها، وكثيراً ما يتم التطرق إلى قضايا سياسية واقتصادية، علمية وأدبية، تجريبية وفلسفية، وتكون نتائج هذا الشكل والأسلوب التعليمي على مستوى جماعي، وهذا الأسلوب يُتيح انتقال المعرفة بشكل اجتماعي، ويكون محورها وأقطابها؛ الأساتذة والطلبة على نفس المستوى، والدليل أن تلك الأساليب استطاعت أن تحقق نتائج قيمة، فعرفت الدول الهيلينية عامةً، ودولة البطالمة خاصةً العديد من النواحي .

بعد هذه الحقبة أي بعد نهاية العهد البطلمي الهيلينيستي، وبالرغم من انه لم يعد لمدن البطالمة من الناحية السياسية دورها، إلا انها ظلت لفترة زمنية طويلة من أهم البؤر الثقافية بمؤسساتها وبمعاهدها العلمية، وخاصةً الإسكندرية إذ استمر الكثيرون يذهبون إليها من اجل الدراسة العليا، وظلت تحتفظ بالصدارة لقرون بعد هذا العصر، فالشهرة التي تمتعت بها المكتبات والمدارس التي ظهرت فيها، كمدارس الأدب والهندسة والفلك والطب والفلسفة، اجتذبت إليها الجميع، وجعلتهم يفضلون ممارسة نشاطهم العلمي هناك على ممارسته في مدن أخرى، ولا عجب أن استمرت مؤسسات البطالمة تجتذب الطلاب إليها من كل مكان، كما اجتذبت إليها العلماء من قبل، وذلك يدل على قاعدتها الواسعة وعلو شأنها وشهرتها وتوظيفها لدعائمها، وتأثيرها على تطور التعليم الإغريقي، فهي لم تستحوذ على الفكر الهيلينيستي وعلى الحياة الثقافية في هذا العهد فحسب، بل امتد هذا التأثير إلى العصر الروماني، وإلى عصر النهضة الأوروبية الحديثة .

كما حظى العهد الهيلينيستي باهتمام مؤرخي الحضارة على نحو استثنائي، عهد آخر حظى أيضاً باهتمام الباحثين والمؤرخين فى الحضارة، لأنه بدأ بإعادة أحياء وتعليم فنون العصر الكلاسيكى، وهو عصر النهضة الأوروبية، إذ يرى كثيرون أن الأفكار التي امتاز بها هذا العصر لها أصول فنية كلاسيكية، تماماً كما بدأ وأنهى العصر الهيلينيستي بالبحث والأهتمام والدراسة لهذه الأصول، فقد كان الاعتماد الأكبر خلال هذه الفترة على الفنون والعلوم التي تخلفت عن الحضارة الإغريقية، ومن أكبر إنجازات وتطبيقات عصر النهضة هو جلب الإنتاج الفنى الثقافى الإغريقي كاملاً إلى غرب أوروبا للمرة الأولى منذ العصور القديمة، بعد هجرة عدد كبير من العلماء والباحثين في الدراسات والنصوص الإغريقية بعد سقوط القسطنطينية، وحملوا معهم ما استطاعوا من مدونات وإرث إغريقي، وتم العثور على هذه المجلدات والمخطوطات بداخل الأديرة والكنائس، فتم ترجمتها إلى اللغات الأوروبية المحلية لتسهيل قراءتها، وتم نسخ عشرات النسخ من كل كتاب وإيداعها بالمكتبات العامة، لجعلها في متناول كافة الفئات والأطياف، فقد كانت حقيقة هذه النهضة هو الاهتمام الفنى والمهنى بالنواحي الجمالية التي شهدت ازدهاراً، وكذلك إبداعاً في الأدب اللاتيني، وفي الأدب باللغات المحلية، ونهضةً في التعليم الأكاديمي المعتمد على المصادر الكلاسيكية .

إن عصر النهضة هو حركة ثقافية تنويرية بدأت بالفنون، والحديث عنه لا يمكن أن يكون بمنأى عن ذكر النهضة الفنية، فقد خصصت العديد من أعمال هذا العصر للفن وخاصةً الرسم والنحت، وسمى لذلك بعصر النهوض الفنى والعلمى بعد ذلك، لأن أسسه وسماته ومقوماته، هو اهتمام رواده بفتح آفاق المعرفة أمام الجميع، وجعلوا من الفن والعلم جسراً ينتقلون عبره من عمق التخلف إلى التحضر والرقى، والجدير بالذكر هنا إن الفنون خلال هذه الحقبة لقيت دعماً كبيراً من التجار، ثم من الكنيسة والمدن التي قامت

برعاية العديد من تلك الأعمال الفنية، إذ كانت المدن الإيطالية وحكامها من أكبر رعاة الفنون والآداب، فأقاموا الأندية والمجامع الفنية لنشرها وتشجيع تعليمها، وبرزت مراكز كبرى لها الأثر الأكبر في رسم توجهاته، فظهرت موجة فنية كبيرة من أواخر العصور الوسطى، واستمرت إلى القرن السابع عشر الميلادي تقريبا، وانطلقت تحديداً من بؤر تجارية معروفة بتجاريتها وعلاقاتها التجارية الواسعة، واتسمت بشكل ما بحريات نسبية وفردية، وهي فلورنسا والبندقية وجنوه وميلان وبيزا بإيطاليا، ثم أخذت في الانتشار، ولكن لم تنتشر تغييراته بنفس الشكل في جميع أنحاء أوروبا .

كان لفنون وآداب الإغريق والرومان انعكاسات وتأثيرات عميقة على الحياة في العصور اللاحقة، وإن بعث الثقافة الإغريقية واللاتينية وتطويرها في قالب وشكل جديد في هذا العصر، كان نواة وبعث للنهضة حضارية جديدة، ولكن لماذا بدأ عصر النهضة بالفنون، وليس بأى أعمال وعلوم أخرى ؟

كان هذا السؤال مطروحاً دائماً ومحلاً للنقاش، وربما البعض يتسلم بأن مولد النهضة في مدن بعينها، لإن رجالاً عظماء ولدوا ووجدوا هنالك بشكل قدرى أو بمحض الصدفة، بينما يعتبر باحثو التاريخ أن هؤلاء النابغين أو العظماء كانوا قادرين على الوصول للتأثير والشهرة بسبب الظروف الثقافية السائدة في ذلك الوقت، فقد كانت إيطاليا تاريخياً المهد الطبيعي للنهضة الفنية، حيث بنى الرومان؛ وهم أجداد بناة هذا العصر معظم فنونهم على نمط الفن الإغريقي، فقدموا أهم الإسهامات والأقتباسات في فن النحت والرسم والعمارة، وحدثوا تطويراً في نحت اللوحات الواقعية، وابتكروا الأقواس والدعامات الخرسانية التي ساعدت في تشييد أبنية أضخم مما بنى الإغريق .

من الأسباب الأخرى لهذا النهوض استخدام القادة السياسيين والزعماء الدينيين من أتباع الكنيسة

الرومانية الفنون للتأثير على تفكير رعاياهم، وأن فنانو وأدباء عصر النهضة؛ الكتاب والرسامون الموسيقيون، كانوا معجبين بالتراث الإغريقي والرومانى القديم، فقلدوا الشكل والنمط الكلاسيكي في أدبهم ومعمارهم ونحتهم وتصويرهم، فصوروا الأشكال والمساحات بدقة متناهية، وأن السياسة والمال والفن والعلم اتحدا معاً، وأن المنافسة بين الفنانين والمتقنين لأجل الفوز بالمشاريع الفنية الكبرى كانت نقطة الإنطلاق والإبداع في هذا العصر .

فى النهاية وبالمحصلة عوامل عديدة أنتجت هذا الواقع الحضارى، ولم يكتسب هذا الوصف من فراغ، بل كان نتيجة من نتائج مجتمعة حققت التقدم في شتى المجالات، فمؤرخى هذا العهد أكدوا على الدور الذي قام به التجار ورجال الدين في وقت لاحق برعاية واسعة وتحفيز للفنون، كما شجعت المدن التجارية مواطنيها لتعميد أعمالاً فنية راقية لأبرز الفنانين، وسخرت ثرواتها المتدفقة لتعميد المشاريع العامة أو الخاصة، وأيضاً صار بإمكان الأفراد تخصيص أوقات أكبر للدراسة والمنافسة، واستمر الفنانون في إبراز الموضوعات الدينية، إلا أنهم بدأوا أيضاً في معالجة موضوعات الحياة اليومية، فاتجهوا لرسم لوحات وصور للمناظر الطبيعية والشوارع والناس، وبدأ اهتمام المعماريين بتصميم المنازل والمباني العامة التي تميزت بالقوة وبواجهاتها البسيطة وبجمال طرزها الكلاسيكية، وإن هذا الانتقال الفنى والفكري كان جسراً بين العصور الوسطى والعصر الحديث، واتسم برفض قيم هذه العصور ومثلها المعنوية والاجتماعية والسياسية، وذلك بإحياء تراث العصور الكلاسيكية الإغريقية والرومانية، وإغناء قيمها الفكرية والفنية والحياتية بإنجازات الحاضر؛ لتصبح إحدى المكونات الأساسية في الحضارة الأوروبية الحديثة .

إن النماذج الإغريقية أثرت في الفن الرومانى قبل أن يصل هذا التأثير لعصر النهضة، وتجدرت كحركة

فنية وأدبية، فقد أبدع النحاتون والمهندسون الإغريق في العمارة وفن النحت بكل صوره وأشكاله، ولا تزال التماثيل والمباني العامة ذات الطراز الإغريقي تحتل مرتبة متميزة بين المنحوتات والأبنية في العالم من حيث التصميم إلى اليوم، فلقد كان لأعمال الفنانين الإغريق أثر دام لأكثر من ألفي عام في العمارة والنحت، وفي كل شيء، مثلما تأثيرهم العميق في كتابة الأدب اللاتيني، وهم من أنشأوا الأدب المسرحي كما يُعرف ويُقدم الآن في المسارح، وفي هذا ما يدل دلالة واضحة وحية على دورهم الرائد في التعليم، وإن أشكال وطرق وأساليب التعليم الإغريقية من أكثر أساليب التعليم استمراراً وبقاءً .

إن تجربة التعليم البطلمي بكل مراحلها ومستوياته، تجربة فريدة من نوعها، بل هي من أوضح التجارب التعليمية في تاريخ التربية والتعليم، وفي المحصلة لا مجال للشك أن هذا التعليم بكل صوره وأشكاله لم يكن تعليماً تقليدياً وجامداً، وعلى قدر اهتمامهم الكبير بالدراسات العلمية والأدبية، كان الاهتمام الأكبر وغير المسبوق بالدراسات الفنية، وما من أمة في التاريخ القديم خلقت آلهات للفنون وأقامت لها الطقوس مثلما فعلت أمة الإغريق، وحيث نشأت الأجيال الإغريقية على الشغف والتذوق لكل ما له علاقة بالفنون والجمال العقلي والبصري والحسي؛ الرياضة والموسيقا والشعر والغناء والنحت والتصوير والمسرح، لما لها من أهمية في إرهاب الحس والوجدان، فتلك الجوانب أحتلت الحيز الأبرز والأهم من حياتهم ووقتهم وتعليمهم، فهي بالنسبة لهم كانت غذاءً للروح، حيث ترى العقلية الإغريقية أن الفنون تهذب غرائز الإنسان وترفعه وتنقذه من القبح والعنف والتلوث السمعي والبصري الذي يحيط به: الفن هو صناعة الجمال، ومن يحرم من تعلم هذه الصناعة وممارستها لن يستطيع ان يصنع أي شيء ايجابي، او يمارس أي سلوك راق، ويقول المثل الإغريقي " ابق حيث الغناء فالاشرار لا يغنون " .

فى الواقع لم تتربخ جوانب فى حضارة الإغرىق أكثر من تربىخها للفنون، عبر التعلیم الموسىقى والرياضى، بتضمینها الموسىقا والرسم والرياضة الى المناهج التعلیمیة فى كل المراحل، حصص النشاط؛ فى المدارس الإغرىقیة تشكل نصف المنهج، والنجاح لاشك لم یكن لتركیزهم فقط على الفنون والرياضات بل على كل الجوانب والمهارات العقلیة والجسدیة والروحیة، ولكن الفنون احتلت جانباً كبیراً من وقتهم وتعلیمهم بعكس غیرهم من الشعوب الاخرى الذین اعتبروها من الترفیه، أو أنها غیر اساسیة، وربما لهذا یتبادر إلى ذهن بعض من یمارس مهنة التعلیم أو قریب منها الأسئلة الآتیة: هل التعلیم فى العصر البطلمى كان ناجحاً لأن المحتوى قلیل ومناسب لمستوى التلامیذ أم لاستخدام طرائق تدربس فعالة ؟ وهل النجاح كان لمجرد التركيز على الفنون والرياضات ؟ وهل ماینقص التعلیم فى مدارسنا هو تعلیم هذه الجوانب، أم أن التركيز یجب أن ینصب على بناء شخصیة التلمیذ بكل جوانبها ؟ واستثمار طاقاته الفكریة والجسمیة والروحیة، كذلك توجیهه نحو میوله سواء كانت فنیة أم علمیة أم ریاضیة ؟

الیوم تثبت نتائج الأبحاث التربویة بان تعلیم الفنون بوجه خاص ینعكس باثره على الأبیال الحاضرة والقادمة، ویجعل النشء أكثر رقیماً وتهذیباً، فیرى الفیلسوف الألمانى هیجل " أن التعلیم هو فن جعل البشر أخلاقیین "، وفى رأى فیکتور شیا، خبیر جودة التعلیم فى كوريا الجنوبیة: " لا توجد دولة تتحمل إنتاج جیل كامل دون تعلیم جید، فهذا الجیل سیدمر الدولة داخلیاً لتتفتت وتفقد وجودها، الشرق الأوسط أهمل التعلیم والآن یدفع الثمن " وقد كتب العدیة من المفكرین والكتاب أجانب وعرب عن هذه القزیة الجوهریة، فكتب میخائیل نعیمه " عندما تصبىح المكتبة ضرورة كالتاولة والسریر والكرسى والمطبىخ؛ عندئذ یمكن القول بأننا أصبحنا قوماً متحضربین " وكتب مدون قریب من واقعنا وبیئتنا هنا ما معناه " نستطیع أن نتخیل ونرى حجم السقطة المدویة للتعلیم الذی أدار ظهر التجاهل لضرورة تطوبر آلیاته ومناهجه البدائیة

التي لن تنجب إلا أجيالاً مشوشة تعيش بالأفكار المستعملة التي تجافي الإبداع، ولا تصلح للإستهلاك الإنساني في عالمنا، وإن لم تكن لدينا الرؤية والشجاعة الكافية لتدارك راحلة حلمنا، يجب أن نخشى على الأقل من الخطر الوجودي الذي تمثله هذه الأجيال على مستقبلنا، أن جيل شبابتنا الذي انعدمت لديه الغايات وضاعت منه الوسائل، يحصد اليوم النتائج المترتبة على غياب المواد الفنية وحصص الموسيقى عن المجموع الأساسي التراكمي للطالب داخل المؤسسات التعليمية، ولا عاصم لنا في هذه المرحلة المعقدة من تداعيات سقطتنا الحضارية إلا الفنون الجميلة وتعلمها وتعليمها، لنقلب المفاهيم التي لا تناسب إنسان العصر، ونقول علموا أولادكم الموسيقى والرسم وركوب خشبة المسرح، اسسوا في كل مدينة معهداً فنياً، واركوا للجمال الذي تُلقيه العلوم الفنية في قلوب النشء مهمة مكافحة فكرة الموت، ويوم أن تكتظ شوارع المدينة بحاملي الآلات الموسيقية بدل حاملي السلاح، هذا يعني أنّ صوت الرصاص والقذائف بات نشازاً لا تستسيغه عين وأذن المجتمع، عندما يفرض الجمال إحساساً وجودياً على واقع الحياة سيقترع بعضهم عن حمل السلاح، وعندما تهتف الشبيبة جنناكم بالموسيقى بدل جنناكم بالذبح، وعندها لن يكون التفكير بمستقبلهم ومستقبل الوطن مدعاةً للقلق " .

قبل عهد هؤلاء الكتاب بأكثر من ألفى سنة كتب الفيلسوف الإغريقي أرسطو " إن الشعوب يقودها الحكماء والمتعلمين " ولهذا فإن التفسير المنطقي الأقرب لكل ما وصل وانتهى إليه هؤلاء الفلاسفة والمفكرون هو الحقيقة التالية: إن الأزمت الفكرية والأخلاقية التي يعيشها ويمر بها مجتمع ما لا تظهر فجأه، بل هي حصاد ونتاج لسنوات من العمل الممنهج لفكر وعقل جيل بأكمله، افتقد لفترة طويلة الحكم الرشيد والبناء الإنساني والعمراني معاً، والمحصلة في النهاية مجتمع فاقد للهوية، ومتخلف بكل المقاييس؛ من الفساد الإداري والمهني والمالي إلى الأقتتال والحروب، فمن سيؤسس لبنية وجيلاً متعلماً تعليماً جيداً

وجديداً، التعليم الجيد هو بناء الإنسان وتنمية ونهضة وقوة المجتمع، مسألة في غاية الأهمية والخطورة،
واساس كل امة واعية ومتطلعة نحو المستقبل الأفضل، فالإنسان هو القيمة والثروة الحقيقيه التي من
المفترض الإستثمار فيها والتعويل عليها، والتعليم لا يعنى فقط المدارس والمناهج وطرق التدريس
والقائمين عليها، بل العقول والرؤى والكوادر والخطط والأستراتيجيات؛ أى الدولة والمؤسسات والمسؤولين
والمعلمين والمربين والأسرة والبيئة المحيطة الأجماعية والإقتصادية والثقافية، فأى خلل في إحدى
مكونات هذه العملية الكلية المترابطة، سيستدعي ضعفاً وتدهوراً في المنظومة التربوية والتعليمية، ومن ثم
تصدعاً وانهياراً فى المنظومة الفكرية والأخلاقية على المدى القريب والبعيد، والخلاصة، إن معضلتنا
الحقيقية هي معضلة ثقافية وحضارية .

هذه الدّراسة تطرقت لجانب من أهم جوانب التاريخ الحضارى، سواء فى إطار التجربة التعليمية
الإنسانية الشاملة، أو بالخبرات والنتائج الواقعية التي جربتها المجتمعات الإغريقية من أجل الوصول
للتغيير والرقى المنشود، فهي دعوة لمزيد من الإهتمام بتلك التجارب الحضارية، واستيعابها واستخلاص
الدروس والعبر منها، فالعبرة دائماً بالنتيجة، وينبغى ألا توضع هكذا بحوث جانباً، وأن يعرف سبل
تطبيقها، وكيف يمكن الإستفادة من طرائقها وتوطينها، وأن تعطى الأولوية بتركيز الضوء عليها، وذلك لما
لهذا الجانب من أثر جوهري في البناء الإنسانى، وفى التنمية والنهضة الشاملة .

نجاه جادالله

بنغازى

28 فبراير 2018 م

12 جماد الآخرة 1439 هـ

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- (1) Athenaus, Hist, Loeb Classical Library, Vols .
- (2) Diodorus Siculus, Bibliotheca Historica, Loeb Classical Library, Vols .
- (3) Herondas, Mimiambes, Loeb Classical Library, Vols .
- (4) Josephus, Hist, Loeb Classical Library, Vols .
- (5) Livius, Hist, Loeb Classical Library, Vols .
- (6) Pausanias, Loeb Classical Library, Vols .
- (7) Plutarchus, Loeb Classical Library, Vols .
- (8) Polybius, Hist, Loeb Classical Library, Vols .
- (9) Strabon Geographaia, Loeb Classical Library, Vols .

ثانياً: المراجع العربية:

- (1) أبوالغيط، الحسين إبراهيم، مكتبات العصر الهيلينيستي 323-30 ق.م، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط1، 2002 .
- (2) ابراهيم، محمد حمدي، الأدب السكندري، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1985 .
- (3) أبوريان، على، تاريخ الفكر الفلسفي " أرسطو والمدارس المتأخرة "، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، ط2، 2010 .
- (4) أحمد، سعد موسى، تطور الفكر التربوي، الإسكندرية، دارالمعارف، ط1، 1987 .
- (5) البسيوني، أحمد دويدار ، التعليم فى مصر، القاهرة، مركز الأهرام للنشر، 2015 .
- (6) التومي، عمر محمد، تطور النظريات والأفكار التربوية، بيروت، دار الثقافة، 1971 .
- (7) التومي، عمر محمد، دور التربية فى بناء الفرد والمجتمع، وحدة التأليف والترجمة، وزارة الإعلام والثقافة، 1974 .

- (8) التومى، عمر محمد، تطور الأفكار والنظريات التربوية، ط2، تونس، الدار العربية للكتاب، 1977.
- (9) الخولى، أمين (وآخرون)، تاريخ الحضارة المصرية " العصر اليونانى والرومانى والأسلامى"، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 1960.
- (10) الشيخ، رأفت غنيمي، تطور التعليم فى العصور الحديثة، دار التنمية للنشر والتوزيع، ط1، 1972
- (11) الشنونى، أحمد، الخالدون من أعلام الفكر العربى، بيروت، دار الكتاب العربى، 1986 .
- (12) الصوفى، عبداللطيف، لمحات من تاريخ الكتاب والمكتبات، بيروت، دار طلاس للدراسات والترجمة، 1987 .
- (13) العبادى، مصطفى، مكتبة الإسكندرية القديمة، القاهرة، 1977 .
- (14) العبادى، مصطفى، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2009
- (15) العبادى، مصطفى، العصر الهيلينىستى، بيروت، دار النهضة العربية، 1988 .
- (16) العابد، مفيد رائف، تاريخ الإغريق، دمشق، 1984 .
- (17) المسلمى، عبدالله، كاليماخوس القورينى " شاعر الإسكندرية "، بنغازى، كلية الآداب، منشورات الجامعة الليبية، ط1، 1973
- (18) بدوى، عبدالرحمن، تاريخ الفلسفة، جزان، بيروت، منشورات الجامعة الليبية، دار صادر، 1969
- (19) بدوى، عبدالرحمن، موسوعة الفلسفة، ج3، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1984
- (20) بدوى، أحمد، ومختار، جمال الدين، سلسلة التربية والتعليم فى مصر، القاهرة، دار الفكر العربى، 1973 .
- (21) حافظ، أحمد غانم، دراسات فى تاريخ العصر البطلمى والرومانى، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2010 .
- (22) حسب الله، سيد، وغندور، محمد جلال، تاريخ الكتب والمكتبات عبر الحضارات الإنسانية، دار

المريخ، ط1، 1996.

- (23) حسين، عاصم احمد، دراسات فى تاريخ وحضارة البطالمة، القاهرة، مطبعة غاديكوا، ط2، 1991
- (24) حسن، هلا، مصر فى عهد الإغريق والرومان، الجيزة، دار الأمل للنشر والتوزيع، 2001 .
- (25) خفاجة، محمد صقر، تاريخ الأدب اليونانى، إدارة الثقافة العامة، مكتبة النهضة المصرية، 1993
- (26) خليل، فادى، تثقيف الكبار، القاهرة، دار الحمامى للطباعة، مكتبة القاهرة الحديثة، ط1، 1963 .
- (27) زايد، مصطفى، التربية والتعليم فى الحضارة اليونانية والرومانية، مج1، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 2006 .
- (28) سلامة، أمين، هسيود الشاعر اليونانى، القاهرة، دار الفكر العربى، (د.ت).
- (29) سمعان، وهيب إبراهيم، الثقافة والتربية فى العصور القديمة، القاهرة، دار المعارف، 1961 .
- (30) شيخانى، سمير، صانعو التاريخ، ج1، بيروت، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر، ط1، 2010 .
- (31) صادق، هانى نبيل، الإسكندرية "مجد سالف وأحياء حاضر"، القاهرة، كلية اللاهوت الأسقفية، 1911 .
- (32) طوطح، خليل، التربية، بيروت، دار الطليعة، ط1، 1978.
- (33) عبد العليم، مصطفى كمال، دراسات فى تاريخ ليبيا القديم، بنغازى، 1966 .
- (34) عبد الحق، سليم عادل، روما والشرق الرومانى، دمشق، المطبعة الهاشمية، 1975.
- (35) عبد العزيز، صالح، التربية وطرق التدريس، ج2، القاهرة، دار المعارف، 1971 .
- (36) عبدالعزيز، صالح، التربية والتعليم فى مصر القديمة، القاهرة، دار المعارف، 1966.
- (37) عبد الدائم، عبدالله، التربية عبر التاريخ " من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين "، بيروت، دار العلم للملايين، ط3، 1978 .
- (38) عثمان، أحمد، الشعر الإغريقى " تراثاً إنسانياً خالداً "، سلسلة عالم المعرفة، 77، الكويت، 1984
- (39) على، سعيد إسماعيل، تاريخ التعليم فى مصر، القاهرة، دارالهدى، 1967 .

- (40) على، سعيد إسماعيل، التربية فى الحضارة اليونانية، القاهرة، مهارات النجاح، عالم الكتب، 1995
- (41) على، زكي، مظاهر الحضارة فى عصر البطالمة، الإسكندرية، جامعة الاسكندرية، 1944 .
- (42) على، أحمد، فى التربية، القاهرة، دار الكشاف للطباعة والنشر، 19954 .
- (43) عمار، حامد، السياق التاريخى لتطور التعليم المصرى، الإسكندرية، مكتبة الدار العربية للكتاب، 2005 .
- (44) عواد، كوركيس، مكتبة الإسكندرية " تأسيسها وإحراقها "، بغداد، 1955 .
- (45) غالب، مصطفى، ابقراط، مج1، القاهرة، دار ومكتبة الهلال، ط1، 1986 .
- (46) فايز، أحمد، التربية والتعليم فى الحضارة اليونانية والرومانية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، (د. ت) .
- (47) فالوقى، محمد هاشم، اتجاهات حديثة فى التربية، طرابلس، مركز التوثيق الجماهيري، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1987 .
- (48) فرج، أبو اليسر، الشرق الأدنى فى العصرين الهيلينى والرومانى، القاهرة، مركز عين القاهرة، ط1، 2002 .
- (49) فوده، حسين سليمان ، فى التربية، بنغازى، جامعة قاريونس، ط1 ، 1980 .
- (50) كريم، علي، التربية اليونانية، بيروت، مبنى بيت الحكمة، 1997.
- (51) محمود، أشرف، التربية فى المجتمعات القديمة، الغردقة، كلية التربية، 2009 .
- (52) مرسى، محمد منير، تاريخ التربية فى الشرق والغرب، القاهرة، عالم الكتب، 1977 .
- (53) مكاوى، فوزى، الشرق الأدنى فى العصرين الهيلينى والرومانى، المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات، 1999.
- (55) نصحى، إبراهيم، تاريخ التربية والتعليم فى مصر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1975 .

- (56) نصحي، إبراهيم، مظاهر التقاء الحضارتين المصرية والإغريقية ودراسات في تاريخ مصر في عهد البطالمة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1959 .
- (57) نصحي، إبراهيم، تاريخ مصر في عصر البطالمة، 4 أجزاء، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، ط4، 1976.
- (58) نصحي، إبراهيم، تاريخ الرومان "من أقدم العصور إلى عام 133 ق.م"، جزءان، بيروت، دار النجاح، منشورات الجامعة الليبية، 1971 .
- (59) نورالدين، عبدالحليم، التربية والتعليم في مصر القديمة، القاهرة، جامعة القاهرة، 1991 .
- (60) وهبه، محمد حسن، محاضرات في الأدب الهيلينيستي، مركز التعاون الجامعي، أكاديمية حلوان، 2007 .
- (61) يحيى، لطفى عبدالوهاب، الاسكندرية عاصمة البطالمة، دار النهضة العربية، بيروت، 1977 .
- (62) يحيى، لطفى عبد الوهاب، دراسات في تاريخ العصر الهيلينيستي، بيروت، دار النهضة العربية، 1977 .
- (63) يحيى، لطفى عبدالوهاب، عصر البطالمة، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1967 .

ثالثاً: المراجع المترجمة :

- (1) امبير، رونييه، التربية العامة، (ت. عبدالله عبد الدائم)، بيروت، دار العلم للملايين، ط1، 1967 .
- (2) بال، ودوس، في تاريخ العلوم والرياضيات، نيويورك، الناشر دوفر، 1960 .
- (3) الإسكندري، وسفدج، تاريخ مصر، القاهرة، مطبعة المعارف، ط4 ، 1938 .
- (4) بارت، رحلات إلى بلاد المتوسط، ج1، (د.ت)
- (5) بريو، كليير، اليونانيون في مصر، بروكسل، 1947.

- (6) برهيه، إميل، الأدب الهيلينيستي الروماني، (ت جورج طرايشي)، بيروت، دار الطليعة، 1982 .
- (7) برهيه، إميل، الفلسفة الهيلينيستية والرومانية، (ت جورج طرايشي)، بيروت، دار الطليعة، 1983 .
- (8) بل، هارولد آدرس، الهيلينية فى مصر، (ت. زكى على)، القاهرة، دار المعارف، مكتبة الدراسات التاريخية، 1959 .
- (9) بورتر، هارفى، مختصر التاريخ القديم، (ت. إبراهيم حوراني)، القاهرة، مكتبة مديولى، 1991 .
- (10) بيبى، تشارلز، التربية الإغريقية " الأدب والمجتمع"، (م. إيثاكا)، ط2، نيويورك، جامعة كورنيل جاردن سيتي، 1975 .
- (11) تارن، وليم وود ثورب، الحضارة الهيلينيستية، (ت. عبدالعزيز توفيق جاويد)، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1966 .
- (12) داونى، جلانفيل، المدن القديمة، (ت. إبراهيم نصحي)، القاهرة، دار النهضة العربية، 1970 .
- (13) روان، بيبى تشارلز، "اليونانية القديمة الأدب والمجتمع"، (مراجعة. إيثاكا)، نيويورك، مطبعة جامعة كورنيل جاردن سيتي، ط2، 1975 .
- (14) سارتون، جورج، تاريخ العلم، 4 أجزاء، (ت. مجموعة من العلماء)، القاهرة، 1979 .
- (15) ستبفتيش، ألكسندر، تاريخ الكتاب، (ت. محمد الأرنؤوط)، 1، 19، سلسلة عالم المعرفة، 169، 1993
- (16) سيلك، مايكل، هوميروس "الإلياذة"، كامبردج، مطبعة جامعة كامبردج، 2002 .
- (17) سيجل، جانيس، التربية والتعليم فى اليونان القديمة، المملكة المتحدة، هامبدن للنشر، 2003 .
- (18) شامو، فرانسو، الإغريق فى برقة، (ت. محمد عبدالكريم الوافى)، ط1، بنغازى، جامعة قاريونس، 1990 .
- (19) غرمبريتش، إرنست، مختصر فى تاريخ العالم، (ت. ابتهاج الخطيب)، الكويت، عالم المعرفة، 2013 .

- (20) كارسون، آن، سافو الشاعرة الإغريقية، (ت. أحمد مرسى)، نيويورك، فيوتشر برس، 2012 .
- (21) كويل، فرانك ريتشارد، الحياة فى روما القديمة، نيويورك، بوتمان، 1961 .
- (22) كوفاليف، ف.، دياكوف، س.، الحضارات القديمة، (ت. نسيم واكيم اليازجى)، جزءان، دمشق، منشورات دار علاء الدين، ط1، 1997 .
- (23) لاروند، أندريه، برقة فى العصر الهيلينيستي من العصر الجمهورى حتى ولاية أغسطس، (ت. محمد عبد الكريم الوافى)، بنغازى، منشورات جامعة قاريونس، ط1، 2002 .
- (24) لامب، هارولد، الإسكندر المقدونى، (ت. عبد الجبار المطلبى، محمد ناصح الصانع)، بغداد، المكتبة الأهلية، 1995 .
- (25) هيث، توماس، تاريخ الرياضيات اليونانية، جزءان، نيويورك، الناشر دوفر، (د.ت) .
- (26) هيث، توماس، إقليدس والتقاليد عنه، نيويورك، مكتبة بروسييس الرقمية، ط1، 1956 .

رابعاً: المراجع الأجنبية :

- (1) Abdealiem, M. K., Alexandrian Trade in the Graeco-Roman Times, 1954 .
- (2) Alic, Margaret, Hypatias Heritage, A history of Women in Medicine, Beacon Press, 1986 .
- (3) Arcibald, Euclid's Book O Divisions, 1915 .
- (4) Barrow, Rodin, Greek and Roman Education (Macmillan Education. London, 1976 .
- (5) Bevan, E., History of Egypt under the Ptolemaic, Dynasty, London .
- (6) Bell, H. I., Cults and Greeds in Graeco-Roman Egypt, I, Philosophical Library, 1954 .
- (7) Blum, Rudolf, Kallimachus: The Alexandrian Library and the Origins of Bibliography, Trans. Hans H. Wellisch, University of Wisconsin Press, 1991 .
- (8) Bouche, Leclercq, Hist. des. Lagides, 1 vols., Paris, 1903 .
- (9) Brubacher, J. Seiler, A History of the Problems of Education, Newyork, Mc Graw. Hill Book Company. Inc, 1947 .
- (10) Brochard, Victor, Les Sceptiques Grecs, Ned Paris, 1959 .
- (11) Cary, M. & H. Suullard, A History of Rome, London, 1974 .

- (12) Cary, M., *A history of Greek World*, London, 1986 .
- (13) Chiappetta, Michael, *"Historiography and Greek*, Oxford University Press, 1996 .
- (14) Chamoux, f., *Surquelque inscription Greeques Trovees Apollonia der Cyrenaique, Libya in History*, Benghazi, 1968 .
- (15) Dobson, J. F., *Herophilus of Alexandria*, Proc Roy. Soc. Med, London, 1925 .
- (16) Druon, H., *Oeuvres de Synesius, eveque de Ptolemais, dans la Cyrenaique*, Paris, Librairie Hachette, 1878 .
- (17) Dzielska, Maria, *Hypatia of Alexandria*, University of California Press, 1995 .
- (18) Edwards, F., *Libraries and Founders of Libraries*. Newyork, University Press, 1996 .
- (19) Elaabadi, M., *The life and Fate of the Ancient Library of Alexandria*, Unesco/ UNDP, 1990 .
- (20) Elaabbadi, M., *" The Great Library and Mouseion*, Unesco/ UNDP, 1990 .
- (21) Erskine, Andrew, *Culture and Power in Ptolemaic Egypt: The Museum and Library of Alexandria. Greece and Rome*, vol xlii. Oxford University press 1955 .
- (22) Farrington, B., *Greek Science*, Pelican Book, Harmonds Worth, 1949 .
- (23) Ferguson, *Hellenistic Athens*, London, 1911 .
- (24) Forbes, C. A., *" Expanded Uses Of The Greek Gymnasium "*, Class. Philol, 1945 .
- (25) Fraser, P. M., *Ptolemaic Alexandria*, 3vols., Oxford University Press, 1984 .
- (26) Goodchild, R. G., *Cyrene and Apollonia*, in *Historical guide Department of Antiquiles*, 4th edition, 1981 .
- (27) Cohoon, Andrew, *Ancient Education*, New York, 2014 .
- (28) Gordiner, Alan H., *The House of life*, London, 1938 .
- (29) Gow, *Ashort History Of Greek Mathematics*, 1921 .
- (30) Grassi, Teresa *"Musica, Mimicae Danza"*, Studi della Scuola, III, Milan, 1920
- (31) Freedman, Charles, *Egypt, Greek and Roman*, Oxford, 2005 .
- (32) Gunthes, H., *A history Of The Ptolemaic empire*, (trams. Tina Sauvedre) London, 2002 .
- (33) Guthrie, W. K., *A History of Greek Philosophy, IV, Elementary Education Provincial Code*, london, 1996 .

- (34) Heath, T., *The Thirteen Book Of Euclid's Elements*, 1926.
- (35) Heath, T., *A History of Greek Mathematics*, 1921 .
- (36) Howatson, Ibid, Beye, R. & Harles, G., *An Cient Greek Literature and Society*, Anchor Books, New york, 1975 .
- (37) Hubert, Rene, *Traite de Pedagogie generale*, Presses Uni. de France, Paris, 1946 .
- (38) Jougue, Pierre, *Macedonian Imperialism and The Hellenization of The East*, The Institut Francaisd, Archeologie Orientale, 1926 .
- (39) Jouguet, Pierre, *Trois, Et*, 1929 .
- (40) Jones, A. H. M., *Cities of Eastern Roman Provinc 'es* .
- (41) Keegan, John, *A History of War Fare*, New York, 1993 .
- (42) Kenyon, Frederic G., *Books and Readers in Ancient Greece and Rome*, The Clarendon Press, Oxford, 1932 .
- (43) Kilpatrick, William, *Philisophy Education*, New York, The Macmillan Co., 1957 .
- (44) Lateiner, D., *The Historical Method of Herodotus*, Uni. Tornto, 1989 .
- (45) Lampela, A., *Roman and Ptolemies of Egypt B. C*, Helsink, 1998 .
- (46) Lesky, Albin, *History of Greek Literature*, German, 1963 .
- (47) Mahaffy, J. P., *History of Greek Nation*, London, 1979 .
- (48) Mahaffy, J. P., *Empire of the Ptolemies*, London, 1895 .
- (49) Manning, J. G., *Egypt Under The Ptolemies*, Princeton, 305- 30 B. C, 2013 . 1956 .
- (50) Marrou, H. I., *Ahistory of Education in Antiquity 3rd Eng. Ed*, Milne, 1908 .
- (51) Maspero, C. *Horapollon et lafin du Paganisme Egyptian*, II, BIFAO, 1913
- (52) Mentz, A., "Beittage Zur Hellenistis ehen Tachggraphie", *Archiv*, XI, 1934 .
- (53) Milne, H. J. M., *Greek Shorth Hand Manuals*. London, 2001
- (54) Nilsson, M. P., *Die Hellenists Che Schule*, Munchen, 1955 .
- (55) Old father, Charles Henry, *The Greek Literary Texts from Greco- Roman*, University of Wisconsin, 1923 .
- (56) Otto E. Neugebauer, *A History Of Ancient Mathematica Astronomy*, new york, 1975 .

- (57) Parsons, E. A., *The Alexandrian Library*, London, 1952 .
- (58) Pastore, Giovanni, *About Hipporachus*, Privately Published, Rome, 2006.
- (59) Petrie, M. A., *Greek History and Literature*, Trns. Yowell Y. Aziz, Oxford Uni. Press, 1932 .
- (60) Pfeiffer, Rudolff, *History of Classical Scholarship from the Beginnings to the End of the Hellenistic Age*, Oxford at the Clarendon Press, 1998.
- (61) Preaux, Claire, *Les Grecs en Egypte, de après les Archives de Zenon*, Bruxel, 1947 .
- (62) Preaux, C., *L' Economi Royal des lagides, chron. d' Eg., XI*, 1939 .
- (63) Preaux, C., *Letteres Priveesare Cquesd Eg, Rev, Belge, VIII*, 1929 .
- (64) Robinson, Eric, *Ancient Greek Literature*, Wiley Library, 2004 .
- (65) Robertson, D. S., *Greek and Roman Architecture, 2nd.*, Cambridge University Press, 1943 .
- (66) Roberts, C. H., "Literature and Society in The Papyri" , VII Congr. Intern De Pap. Geneve (Museum Helveticum, X.Fasc.,1953 .
- (67) Robertson, E. F., *Herophilus*, University Of Combridge, 2007 .
- (68) Rostovzeff, M., *Social and Economic History of the Hellenictic World, I*, Oxford, 1953 .
- (69) Rusk, Robert, *The Philisophical Vases Of Education*, University of London Press,1929 .
- (70) Sarton, Gorge, *Hellenis Science and Culture in The Last three Cent. B.C., Vols*, Green Wood Press, 1959 .
- (71) Scott, Michael, *Women in Ancient Greece*, History Press, 2009 .
- (72) Singer, *Greek Biolagr and Greek Medicine*, 1922 .
- (73) Schubart, *Enfuehrung in die papyrus Kunde,III, Loc., Berline*, 1918 .
- (74) Tarn, W.& Griffith, G. T., *Hellenistic Civilisation, 3Vols, ed, London*, 1955 . (75) Tarn, W., *Alexander the Great, 2 Vols*, Cambridge: University Press, 1948 .
- (76) *Tabula, Peutingeriana 7, Pentapolis History an Geography*, Harvard Uni .
- (77) Thompson, *Ancient. Libraries*, Berkeley, California, 1940 .
- (78) Tennery, *Hypatia, 2ieme annee, II* .
- (79) Too, Ynu lee, *Education in Greek and Roman antiquity* (Bos ton Brill, 2011
- (80) West, M. L., *Hesiod: Theogony*, Oxford University Press, 1966.

- (81) Werner, Paul, Life in Rom in Ancient Times, Geneva Editions Minerva. S. A ., Wisconsim press, 1991 .
- (82) Wider, K., " Women philosophers in the Ancient Greek World ", Brill Academic Publishers, 1989.
- (83) Withington, Edward Theodre, Medical History From The earliest Times, The Scientific Press, London, 1894 .
- (84) Wilcken, E.G., Ostraka 1226, 1310, Thompson, Proceedi- ngs Soc. Bibl. (1912) .
- (85) Willis, W. H., " Greek Literary Papyri From Egypt and, The Classical Conon" Hary. Libr. Bull. Vol. XII. 1(Winter 1958).
- (86) Wood, Richard Hay, the Ancient World, David Mckay Company, Inc, 1971 .
- (87) Wright, F., A History of Greek, N.Y., 1932 .
- (88) Zeller, Stoics, Epicureaus and Sceptics, London, 1870 .

خامساً: الموسوعات:

• الموسوعات العربية :

- (1) الموسوعة المصرية، تاريخ مصر القديمة وآثارها -العصر اليونانى الرومانى، مج1، ج2، الإسكندرية، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 1964 .
- (2) الموسوعة الكلاسيكية، " الأدب الإغريقى "، مج 9، ج 2، القاهرة، ط 3، 2001 .
- (3) الموسوعة الحرة، التسلية والألعاب فى مصر الإغريقية .
- (4) الموسوعة الحرة، اليونان القديمة، ويكيبيديا، 2002
- (5) الموسوعة الفلسفية، (لجنة من العلماء الأكاديميين)، بيروت، دار الطليعة، ط1، 1974 .
- (6) الموسوعة الشاملة، " العصر الذهبى للفلسفة السقراطية"، بيروت، دار العلم، 1989 .
- (7) الموسوعة الحرة، تاريخ الرياضيات، (احمد محمد عوف)، ويكيبيديا، 2014 .
- (8) الموسوعة الفلكية، بداية الفيزياء وعلم الفلك، (بيدرسن)، بيروت، (د.ت) .
- (9) الأطلس التاريخي من اليونان القديمة، المملكة المتحدة، المهاد للنشر، 2003 .
- (10) دائرة معارف القرن العشرين، (ت.محمد فريد مجدي)، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1989
- (11) قاموس العلم الفلكى، (ت.عبد الأمير مؤمن)، بيروت، دار العلم للملايين، 2006 .

- (12) قاموس المورد، (ت.منير البعلبكي)، بيروت دار العلم للملايين، 1991.
- (13) موسوعة قصة الحضارة، ول وأيريل ديورانت، (ت. زكى نجيب محمود - محمد بدران)، بيروت، دار الجيل، 1998.
- (18) موسوعة بريتانكا، الرياضيات الإغريقية (إقليدس)،
- (14) موسوعة تاريخ العالم، وليم لانجر، (ت. مصطفى زيادة)، مكتبة النهضة المصرية، د.ت .
- (15) كلاسيكيات أكسفورد العالمية، (ت. جيه. لوس)، 1998 .
- (16) موسوعة كيمبردج في التاريخ القديم، (إن لتارن)، بيروت، دار المعرفة، 1995.
- (17) موسوعة الفكر الإغريقي، (ت. أشرف السيد)، القاهرة، 1983 .
- . 1978

• الموسوعات الأجنبية :

- (1) Classical Library, Homer: Iliad, I, William, F. Wyatt, Homer: Odyssey, II, George, E. Dimock, Harvard Uni. Press, 1995 .
- (2) Columbia- The Zenon Papyri .
- (3) Encyclopedia, Education of the Jews of Alexandria in the Hellenistic Age, Cairo, 1975 .
- (4) Dictionary of Scientific Biography, Conon of Samos, , Bulmer, Thomas, 3. 1990 .
- (5) Encyclopedia of Educational Reseach, 3, Mecomillan Company, Newyork, 1960
- (6) Encyclopedia of Library and Callimachus, Information Seience, Vols .
- (7) Oxford Class Diet., Siv. Manetho.
- (8) Oxford Classical Dictionary, Greek Education, Third Edition, Oxford University Press, New York, 1996 .
- (9)The Oxford History Of The Classical World (Oxford University Press, 1986 .
- (10) The Oxford History Of Classical World, (Boardman, John, Griffin, Jasper, The Oxford Classical " Murray, Oswyn), Oxford University Press, Oxford, 1986 .
- (11)Dictionary 3, " Euclid
- (12) The Oxford Classical Dictionary, 3, Herophilus .
- (13) Theophrastus, De his toria Plantarum, De Causis Plan Tarum, Greene, Landmarks of Botanical History 1909, Hort, The Ophrastus, Enquiry in to Plants, 1916 .
- (14) Wikipedia, The Free Encylopedia P. Oxy, XIII- IV, Select Papyri, I, No. 15- S. E. G., IX 1 .

سادساً: الرسائل :

- (1) أحمد، أميمة على، المرأة العالمة تحت حكم البطالمة والرومان - دراسة تاريخية أثرية، (دكتوراه غير منشورة، جامعة الإسكندرية، 2004) .
- (2) يوسف، حنان السيد، الطب فى مدرسة الإسكندرية القديمة فى العصرين البطلمى والرومانى، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإسكندرية، 2001) .

سابعاً: الدوريات:

الدوريات العربية :

- (1) مجلة الدراسات الهيلينية، 34، مكتبة الإسكندرية " بزوغها وآثارها ودمارها"، بارسون، 1985
- (2) مجلة البحوث والدراسات التاريخية، العدد 1، 34، تنقيحات وتصحيحات فى تاريخ كورينى الثقافى، عبد السلام محمد شلوف، المركز الوطنى للمحفوظات والدراسات التاريخية، 2012 .
- (3) مجلة البيان، العدد 176، "مكتبة الإسكندرية ودورها الحضارى فى حفظ التراث الكلاسيكى وإنعاش الدراسات الأدبية"، أحمد عثمان، أحمد، الكويت، 1980 .

• الدوريات الأجنبية :

(1) Journal of Hellenic Studies, Cook, R. M., Amasis and Greek in

Egypt .

(2) History of Education Journal,,No, 4 (Micael Chiappeta, " Historiography and Roman, 1953) .

(3) The Classical Journal, 79, no. 4,(Pascal, Nanette R., " The Legacy of Roman Education" in the Forum", 1984) .

(4) O. G. I. S., p. 51; CF. Noshy, Arts in Ptolemaic Eg .

Education in Ptolemaic State (323 - 31 BC)

Preparation

Najat Jadallah Ibrahim Al Obeidi

Supervisor

Abdul Salam Mohammed Shalouf

Summary

The education of the Ptolemaic state, which witnessed a great diversity and diversity, as much as it took the character and the ancient Greek form, as much as it had its identity and its civilizational uniqueness, and this educational development of the Ptolemies often reflected a scientific renaissance is solid and distinctive, Of the methods, methods and characteristics of this Greek Ptolemaic education, science is not after them as much as it was ancient Greek education, but a means to reach the highest levels of society and serve and achieve its interests, and prepare its members for life and work preparation required, and focus on training and preparation for the life of Uncle The study collected a great deal of information and data on the educational life in this historical and cultural period. It dealt with the systems, stages and educational institutions of the Ptolemies which emerged and spread and developed in that period, especially Schools, institutes and major libraries, these institutions have given and made important additions in the field of education when published and established to a large extent methods of research and natural science, and imposed the experimental scientific trend on theoretical to a large extent methods of studies .



Education in Ptolemaic State (323 - 31 BC)

Provided by :

Najat Jadallah Ibrahim Al Obeidi

Under supervision

Dr. Abdul Salam Mohammed Shalouf

**This thesis is an update of the requirements for obtaining a master's degree in
ancient history**

Benghazi University

college of Literature

January 2018